يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي

المؤسسة المالكة	المكتبة البريطانية: مخطوطات شرقية
المرجع	Or 14293
التاريخ/ التواريخ	١٤ جمادى الآخرة ١٠٨٥ (هجري)
لغة الكتابة	العربية في العربية
الحجم والشكل	كوديكس؛ صص. i+١٢٥
حق النشر	المُلكية العامة

BRITISH LIBRARY

حول هذا السجلّ

دراسة واسعة النطاق عن الظواهر الطبيعية المتعلقة بالبحار، لعبد القادر بن أحمد بن علي بن ميمي البصري، توفي ١٦٧٤). ألف النص، المعروف أيضًا باسم "وري الزند بالجزر والمد"، في عام ١٠٨٤\١٦٧٣، واكتملت النسخة الحالية وفقًا لحرد المتن (انظر أدناه، ص ١٢٢ ظ، الأسطر ١٥-١٦) بخط يد مختلف في البصرة في ١٤ جمادى الآخرة ١٠٨٥ (٠٦ سبتمبر ١٦٧٤). الأوراق ١ و٢ و٤١ هي أوراق بديلة.

تصف الدراسة البحار والجزر المعروفة والمخلوقات التي تعيش بها والظواهر الرائعة؛ والإبحار؛ والمد والجزر والنظريات المتعلقة بهما. وتناقش أيضًا موضوعات متعددة عن الكون والفلك والأبراج والتقويم والأرصاد الجوية، وتصف الأنهار الإقليمية، وتستشهد بالعديد من المراجع بما في ذلك رواة الحديث وفلاسفة ما قبل الإسلام والعديد من علماء العصر الإسلامي.

تعرّف الملاحظات الهامشية في صص. ٣٥و و٩٩ظ و١١٢و شيخ المؤلف المذكور كثيرًا بأنه عالم الدين البارز والصوفي إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري (١٦١٦-١٦٩٠)، ويقال إنه شيخ المؤلف ابن ميمي.

الرسوم البيانية:

- رسم تخطيطي لمجمع البحرين: الأخضر (الأطلسي)، والأسود (الفارسي)، والرومي (البحر الأبيض المتوسط) (ص. ١٨ظ).

- رسم كوني (على ورقة بديلة)، يوضح العلاقة بين منازل القمر وفصول السنة، والكواكب وعناصر المجال الفرعي القمري (ص. ٤١ظ)

البداية (ص. ١ظ، الأسطر ٢-٥):

الحمد لله الذي خلق الماء وكون منه الأرض والسماء أنشأها

واحدة واحدة رتقا رتقا وفتقها سبعا سبعا فتقا فتقا رفع السماء

بقدرته وزينها بالكواكب والجمال ودحى الأرض بحكمته وأرساها

بالجبال...

النهاية (ص. ١٢٢ظ، سطر ١١-١٥):

...ففي دقائق

التقدير المحكمة في رقائق التصوير عليها يدور أمر الأيات القاهرة

والمعجزات الظاهرة ومنها تنشاء الكرامات الباهرة خلق الله

من هذه السماء ملائكته ليس لهم عبادة إلا إرشاد الخلق

إلى أنوار الحق...

حرد المتن (ص. ١٢٢ظ، سطر ١٥-١٧):

...تم هذا لكتاب (!) بعون عناية الملك الوهاب يوم الأحد يوم أربعة عشر

صفحة الغلاف

في جمادى الثاني سنة ١٠٨٥

وقد وقع فراغه في البصرة المجيد

يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي
[أمامي] (١/٢٦٠)



يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي

[خلفي] (٢/٢٦٠)



يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي [صلب] (٢٦٠/٣)



يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي
[حافة] (٢٦٠/٤)



مكتبة قطر الوطنية
Qatar National Library

BRITISH LIBRARY

يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي [رأس] (٢٦٠/٥)



يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي [ذيل] (٦/٢٦٠)



يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي
[أمامي-داخلي] (٧/٢٦٠)



يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي [i-و] (٢٦٠/٨)

يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي [١و] (٢٦٠/١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الماء وكون منه الارض والسماء انشأها
واحدة رتقا رتقا وفتقها سبعا سبعا فتقا فتقا رفع السماء
بقدرته وزينها بالكواكب والجمال ودحى الارض بحكمته وارساها
بالجبال ميز البحر من البحر وجعل المد والجزر وانزل الغيث والبذر
فتفجرت عيون وانهار وتكونت حدائق وازهار فسبحانه من حكيم
تاهت في بيداء معرفته العقول وعجزت عن ادراك حقيقته اجلاء
الفحول والصلوة والسلام على سيدنا محمد اول من اسلم وانقاد
واعترف بالعجز بعد الاجتهاد وعلى اله واصحابه نجوم الاهتداء
وبدور الاقتداء ما طلعت شمس في فلك واضاء بدر في حلك
اما بعد فيقول العبد الفقير الى الله الغني عبد القادر بن احمد بن علي
ابن ميمي كان الله له في جميع حالاته وعفا عن معاصيه وزلاته
وستر عوراته هذا ما سبق الوعد به اولا من بيان المد والجزر وحصل
الامتثال به ثانيا طاعة لولي الامر مع زيادات اقتضاها المقام

ومناسبات

2

ومناسبات استطردها الكلام فجاء بحمد الله كتابا يرضي الوجه الغضبان
ويقصد زلال منهله الراوي والظمآن سائلا ممن حسن خيمه وسلم من
دآء الحسد اديمه اذا عثر على ما طغى به القلم وزلت به القدم ان يدفع
بالحسنة السيئة فان الحسود دابه ان يحسب الحسنة وزرا ويعد
المعجزة سحرا والعبرة بمستبصر لا يصده الحسد عن الحق ولا يرده عن
الاتباع ملاحظة الخلق شعر اذا رضيت عني كرام عشيرتي
فلا زال غضبانا علي لئامها والله اسئل ان يصب عليه سجال القبول
ويجعله لمبتغي الفوائد غاية السؤل ولما كان البحر متعلق المد والجزر
البنآء الامران نصدره بمقدمة مفيدة في الكلام فيه من اوجه عديدة
فاقول وعلى الله الاتمام ومنه الامداد والاعتصام قال الجوهري
البحر خلاف البر سمي بذلك لعمقه واتساعه والجمع ابحر وبحار
وبحور وكل نهر عظيم بحر قال عدي سره ملكه وكثرة ما يملك
والبحر معرضا والسدير يعني الفرات وسمي الفرس الواسع
الجري بحرا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في مندوب فرس
ابي طلحة وان وجدناه لبحرا وماء بحر اي مالح قال نصيب

وقد عاد ماء الارض بحرا فردني الى مرضى ان ابحر المشرب العذب
ويقال ابحر فلان اذا ركب البحر عن يعقوب والبحر عمق الرحم ومنه
قيل للدم الخالص الحمرة باحر وبحراني والباحر الاحمق حكاه ابو عبيد والبحرين
بلد والنسبة اليه بحراني وبنات بحر سحائب يجين في الصيف منصبات رقاقا
بالحاء والخاء جميعا والبحرة بلدة يقال هذه بحرتنا اي ارضنا ولقيته صحرة
بحرة اي بادرا ليس بينك وبينه شيء وبحرت اذن الناقة بحرا اي شققتها
وخرقتها ومنه البحيرة قال الفراء وهي ابنة السائبة وحكمها حكم امها
وتبحر في العلم وغيره اي تعمق فيه وتوسع قال الاصمعي بحر الرجل بالكسر يبحر بحرا
اذا تحير من الفزع مثل بطر ويقال ايضا بحر اذا اشتد عطشه فلو برق من الماء
والبحر ايضا داء في الابل وقد بحرت والاطباء يسمون الذي يحدث للعليل دفعة
في الامراض الحادة بحرانا يقولون هذا يوم بحران بالاضافة باحوري على
غير قياس وكانه منسوب الى باحور وباحورا مثل عاشور وعاشورا وهو شدة
الحر في تموز وجميع ذلك مولد انتهى زاد في المجمل يقال للحارات والفجوات البحار
والبحار الارياف قال بعض اهل التاويل في قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر اراد
بالبر البادية وبالبحر الريف والبحر لسلال يصيب الانسان والباحر الرجل

الاحمق

3

الاحمق انتهى اذا تقرر ذلك فاعلم ان قول الجوهري البحر خلاف البر تفسير بالاعم
لانه شامل للعيون والابار والجداول والسراة وغيرها مما ليس ببحر واهل اللغة
لا يتحاسنون عن التفسير بالاعم فتراهم يقولون سعدانة نبت والاراك شجر
وامثال ذلك واما اهل الميزان وساير ارباب النظر فانهم يعيبون ذلك
اذا كان الشيء ظاهرا معروفا لا يحتاج الى التفسير لان تفسيره ان ساواه
في الظهور فلا فائدة والا كان تفسيرا بالاخفى وهو عيب لانه مناف للغرض
المقصود من التعريف فاذا علمت ذلك فاعلم ان البحر معروف مستغن عن التعريف
والتفسير وهو وان كان لفظا مشتركا كما نقلنا الان المتبادر منه عند
الاطلاق هو مقابل البر مما كان ملحا اجاجا او مرا زعاقا لانه مجاز في
غيره من معانيه التي وضع له بالاشتهار بذلك وكثرة استعماله وتبادره
المعنى لكثرة الاستعمال والدوران لا يدل على مجازيته ماعدا المعنى المتبادر
مما وضع له اللفظ والبحر الذي قلنا ان المد والجزر من خواصه نعني به ذلك
لان ماعداه من الانهار وان حصل فيه المد والجزر كنهر البصرة ونهر سورة
البندر الهندي فانما ذلك بتبعية مد البحر لا بطريق الاستقلال فلنقتصر
على الكلام فيه اذ هو موضوع المسئلة فنقول وبالله التوفيق اما صفة

فهو كما قال الله تعالى في كتابه العزيز والبحر المسجور اي المملو وهو المحيط او الموقود
من قوله تعالى واذا البحار سجرت بالتخفيف كما هو قرات ابن كثير وابي عمرو
وروح او التشديد كما هو قراة الباقين لان تضعيفه للمبالغة دون التعدية
اي احميت من سجر التنور اذا املاته بالحطب لتحميه وروي ان الله تعالى
يجعل البحار يوم القيمة نارا تسجر بها جهنم والمختلط من التسجير وهو الخليط
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن العاص رضي الله عنه صف لي
البحر فقال يا امير المومنين مخلوق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود
فقال عمر رضي الله عنه لا جرم لولا الحج والجهاد لضربت من يركبه بالدرة
ثم منع من ركوبه ثم رجع عن ذلك بعد مدة وكذلك وقع لعثمان ومعاوية
رضي الله عنهما واما خواصه التي فيه والجارية فيه فقد قال سيدي زروق
قدس الله سره يطول ذكرها ولا يقدر على القيام بها وحسبك انه كله
رحمة وبركة ونجاة وهلكة فظهره مجار للفلك وقعره لال للملك وماؤه
طهور وميته حلال واخرج الدارقطني انه طهور الملائكة اذا عرجوا
واذا انزلوا واما حكم ركوبه من حيث هو فلا خلاف اليوم في جوازه وان
اختلف فيه نظر السلف ثم هو ممنوع في احوال خمسة اولها اذا ادى لترك

الفرائض

4

الفرايض ونقصها الثاني اذا كان مخوفا بارتجاجة من الغرق فيه فانه لا يجوز
ركوبه لانه من الالقاء للتهلكة قالوا وذلك من دخول الشمس في العقرب الي اخر
الشتا الثالث اذا خيف فيه الاسر واستيلاء العدو في النفس او المال
بخلاف ما اذا كان معهم امن والحكم للمسلمين لقوة ايديهم واخذ رهاينهم
وما في معنى ذلك الرابع اذا ادى ركوبه للدخول تحت احكامهم والتذلل
لهم ومشاهدة منكرهم مع الامن على النفس والمال بالاشتياق منهم
الخامس اذا خاف بركوبه عورة كركوب المرأة في مركب صغير لا يقع لها
بها سترة بخلاف ما اذا انحصت بموضع في مركب كبير كذا ذكرها سيدي
زروق في شرح الحزب وقواعدنا لا تاتي ذلك الا ان التحديد لوقت المنع
من الركوب بسبب الارتجاج والخوف من الغرق بدخول الشمس في العقرب الى آخر
الشتا ينبغي ان يخصص ببعض البحور التي شانها ذلك في هذا الوقت المحدود
دون البعض الاخر الذي لا يستوعب فيه ذلك جميع المدة المضروبة كبحر فارس
واما بيان حكم مايه فالطهورية لقوله صلى الله عليه وسلم فيه هو الطهور
ماؤه والحل ميتته وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال ماء البحر لا يجزي
عن وضوء ولا عن جنابة ان تحت البحر نارا ثم ماء ثم نارا اخرجه السيوطي

عن ابن ابي شيبة في مصنفه وعن ابي جعفر الرازي عن الربيع عن انس
عن ابي العاليه قال ركبت مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ففني ماؤهم فكرهوا الوضوء من ماء البحر وتوضوا بالنبيذ آخر
شمس الائمة الدبري في المسائل الشريفة **واما** حكم الصلوة فيها فجواز
جالس في الفرض بلا عذر عند ابي حنيفة رضى الله عنه مع الاسائة و
عند وعند اكثر اهل العلم لايجزيه لابي حنيفة رضى الله عنه
حديث ابن سيرين قال صلى بنا انس في السفينة ونحن قعود ذكره بن حزم
في المحلي وذكره صاحب المبسوط والمحيط وفيه ولو شئنا لخرجنا الى
الجدود **وقال** مجاهد صلينا مع جنادة بن ابي امية في السفينة قعود
ولو شئنا لقمنا ذكره في المحيط فثبت هذان الاثران عن الصحابيين
عند ابي حنيفه فعمل بما ثبت عنده وللاكثرين حديث بن عباس
رضي الله عنه قال لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر الى الحبشة
قال يا رسول الله كيف اصلي في السفينة قال صلى قائماً الا ان تخاف
الغرق وفي سنده حسين بن علوان **قال** ابو حاتم الرازي والدارقطني
متروك وقال ابن معين كذاب **وقال** ابن عدي يضع الحديث وعن ميمون بن

مهران

5

مهران عن ابن عمر رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف اصلي في السفينة قال صلّ قائماً الا ان تخاف الغرق رواه الدارقطني
والحاكم في المستدرك على الصحيحين قال ابو الفرج بن الجوزي في
التحقيق فيه بشر بن فافا وهو لا يعرف كذا في المسايل الشريفة قال في البحر بعد
ان حكى الخلاف بين ابى حنيفة وصاحبيه وعلل وجه قول ابي حنيفة
يكون الغالب فيها دوران الراس وما هو كالمتحقق الا ان القيام افضل
لانه ابعد عن شبهة الخلاف والخروج افضل ان امكنه لانه اسكن لقلبه
ما نصه والخلاف مبنى في غير المربوطة بالشط والمربوطة بالشط كالشط
هو الصحيح كذا في الهداية وهو مقيد بالمربوطة بالشط اذا كانت مربوطة
في لجة البحر فالاصح ان كانت الريح تحركها شديدا فهى كالسائرة والا فكالواقفة
ثم ظاهر الهداية والنهاية والاختيار جواز الصلوة في المربوط في الشط
مطلقاً وفي الايضاح فان كانت موقوفة في الشط وهي على قرار الارض
فصلى قائماً جاز لانها اذا استقرت على الارض فحكمها حكم الارض
فان كانت مربوطة ويمكنه الخروج لم تجز الصلوة فيها لانها اذا لم تستقر
فهى كالدابة بخلاف ما اذا استقرت فانها حينئذ كالسرير واختاره

في المحيط او البدايع وفي الخلاصه واجمعوا انه لوكانت بحال يدور رأسه
لوقام تجوز الصلوة فيها قاعدًا واراد في الصلوة قاعدا ان تكون بركوع
وسجود لانها لوكانت بالايماء لاتجوز اتفاقا لانه لاعذر واطلقها
فتشمل ما اذا كان منفردًا او بجماعة فلو اقتدى رجل في سفينة اخرى
فان كانت السفينتان مقرونتان جاز لانهما بالاقتران صارتا كشيء واحد
وان كانتا منفصلتين لم تجز لانه تخلل بينهما بمنزلة النهر وذلك يمنع صحة
الاقتداء وان كان الامام في سفينة والمقتدون على الحد والسفينة
واقفه فان كان بينهما طريق او مقدار نهر عظيم لم يصح اقتدائهم به لان
هذا الطريق ومثل هذا النهر يمنعان صحة الاقتداء ومن وقف على اطلال
السفينة يقتدي بالامام في السفينة صح الاقتداء به الا ان يكون امام الامام
ولا يخفى عليه حاله كذا هنا كذا في البدايع وقيد بترك القيام لانه لا يترك الاستقبال
بوجهه الى القبله وهو قادر عليه لا يجزيه في قولهم جميعًا فعليهم ان يستقبلوا
بوجوههم القبلة كلما دارت السفينة يحول وجهه كذا في الاستيجاني انتهى
واما ما يقال فيه فقد ذكر ابو الحسن الربعي في فضايل الشام قال
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عد في البحار بعين موجه وهو يكبر

عفو الله

6

غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تاخر وان الامواج والتكبير تحت الذنوب
حتا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم امان لامتي من الغرق اذا ركبوا في
السفن بسم الله الملك الحق وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون
بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم رواه ابن ابي حاتم وعن
ابن عباس رضي الله عنه انه قال من قال هذه الكلمات عند ركوب البحر او الدابة
فان غرق او عطب فعلي ضمانه يوم القيمة بسم الله الملك الرحمن وما
قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وقال اركبوا فيها بسم الله
مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وفي رواية بسم الله الملك
لله يا من له السموات السبع خايفة والارض السبع طايعة والجبال الشامخة
خاشعة والبحار الزاجرات خاضعة احفظني انت خير حافظا وانت
ارحم الراحمين وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي
لغفور رحيم ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته
ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

الله رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب
الجبال وما ارسين ورب الرياح وما ارسلن ورب البحار وما جرين ورب الرياح
وما سخرن ان تسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسي عليه السلام انك على كل شيء
قدير وصلى الله على خير خلقه محمد واله وصحبه اجمعين فاذا استويت انت ومن
معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني
منزلا مباركا وانت خير المنزلين سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وانا الي ربنا لمنقلبون ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن
زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا اني توكلت على الله
ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق
لا اله الا هو رب العرش الكريم الي اخر السورة وعن بعض العلما الديار الشامية
بدمشق المحروسه قال اذا ركبت البحر فقل السلام عليك يا ابا خالد او ابا جابر
او ابا مالك وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور
رحيم اللهم اجعلني في حفظك وفي كنفك ولا تسلبنا نعمتك ولا تغير
ما بنا من عافيتك اللهم صل على سيدنا محمد الشفيع اللهم اجر لطفك

في امري

7

في أمري يا لطيف يا لطيف يا لطيف يا لطيفا الطف بخلق السموات
والارض اسئلك ان تلطف بي في عظيم قدرتك كما لطفت بالاجنة في
بطون امهاتها واكتب في ورقة جميع ذالك وارمه في البحر عند ما تركب واجعل
الدعاء وردا لك كل يوم وليلة ترا عجبا من سهولة البحر وتيسير الطريق باذن الله
تعالى قيل يستحب ان يقول في السفينة ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد
جعل الله لكل شيء قدرا حسبي الله ونعم الوكيل لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين يا غياث المستغيثين اغثني قيل من قال يا نافعا في
السفينة الف مرة لم يصبه شيء وعن الكمال بن همام سورة الرحمن لركوب البحر
وحكي عن جماعة سافروا وفيهم ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه فهبت الريح
وهاجت الامواج فبكي والناس وقالوا لابرهيم ما ترى ما نحن فيه فرفع راسه
وحرك شفتيه وقال يا حي حين لا حي قبل كل حي ويا حي بعد كل حي يا حي
محيي الموتى يا حي يا قيوم يا محسن يا مجمل قد اريتنا قدرتك فارنا رحمتك
فهدأت السفينة واما ما جاء فيه من الاحاديث واقوال العلما والحكما وذكر شيء
من جزايره فقد اخرج السيوطي عن ابي الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال ان هذا الخلق احاط بهم بحر قيل وما بعد البحر قال هواء قيل وما بعد
الهوى قال بحر احاط بهذا الهواء والبحر الداخل الى سبعة ابحر واخرج
عنه عن وهب قال انها سبعة ابحر وسبع ارضين والارض على ظهر الحوت
واسم الحوت بهموت واخرج عنه عن ابن عمر رضى الله عنه قال تحت
بحركم هذا بحر من نارٍ و تحت ذلك البحر بحر من ماءٍ وتحت ذلك
البحر بحر من نارٍ قال حتى عد سبعة ابحر من نار وسبعة من ماء واخرج
ابن ابى حاتم ان بحرنا هذا خليج من بنطش وبنطش من وراؤه وهو المحيط
بالارض فالارض وما فيها من البحار عند بنطش كعينٍ على سيف البحر
وخلف بنطش فبنش محيط بالارض فبنطش وما دونه عنده كعينٍ على سيف البحر
وخلف فبنش الاصم محيط بالارض ففبنش وما دونه عنده كعين على
سيف البحر واخرج السيوطي عن حسان بن عطية قال بلغني ان مسيرة
الارض خمسماية سنة بحورها منها مسيرة ثلاثماية سنة والخراب مسيرة ماية سنة
والعمران مسيرة ماية سنة واخرج عن ابن ابى حاتم عن كعب الاخبار
قال انما يفصل البحر الارض بمربط ثور واخرج عنه عن سفيان قال
بلغني ان البحر يخرج من زق واخرج عنه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

قال

8

قال بلغني ان البحر رقُ بيد ملكٍ لو يغفل عنه الملك لطمي علي الارض قال في
خريدة العجايب اعظم بحر على وجه الارض المحيط المطوق بها من ساير جهاتها
وليس له قرارٌ ولاساحلٌ الا من جهت الارض و ساحله من جهت الخلو البحر المظلم
وهو مُحيطٌ بالمُحيط كاحاطة المحيط بالارض وظلمته من بعده عن مطلع
الشمس ومغربها انتهى وهذا المحيطُ عندهم يسمّى بحر المغرب ويسمّيه
اليونانيّون اذفيانس وحكي عن ارسطاطاليس ان بحر اذفياط محيط بالارض
بمنزلة الاكليل لانه محيط بها من جميع جهاتها وفي الجعفرية ان هذا البحر يسمى
بحر الظلمة لانّه بحر واحد لاتهب فيه ارياح ولا امواج له ولا ترى فيه شمس
وقالت الفلاسفة لاقعر له ولايجرى فيه السفن وانّما يسلك بالقرب من ساحله
والبحار التى على وجه الارض خلجان منه وفي هذا البحر عرش ابليس اعاذنا الله
واياكم يتشبّه بالباري سُبحانه وتعالى يحملونه نفر من الابالسه ويحيط به
ساير الجنّ فمنهم من لايفارقه من حجابه وخدمته ومنهم من يتصرف بامره في
فتنة الناس وكيدهم وتظليلهم له جزيرة اتخذها سجنا لمن خالفه من الجن امره
في تلك الجزيرة هيكل سليمان عليه السلام وفي جسده وهو قصر عجيب البنا واسع
الفنا وفي هذا البحر جزيرة لاتزال عامرة لزمان تقذف نارا تعلوا مائة ذراع

فاكثروا فيه حصون وقصور تظهر على وجه الماء وفيه الاصنام التى عملها
ابرهة ذو المنار الحميرى قايمة على الماء احدها اصفر يومى بيده كانه يخاطب
من ركب هذا البحر يأمره بالرجوع والثاني اخضر رافعًا يديه مباسطًا
كانه يقول الى اين تذهب والثالث ابيض اسود الشعر يومى باصبعه الى البحر
كانه يقول من جاوز هذا المكان غرق مكتوب على صدر هذا ما صنع ابرهة
ذو المنار الحميرى لسيدة الشمس يتقرب اليها وفى هذا البحر ينبت شجر المرجان
قال في الخريدة وفى هذا البحر مداين تطفوا على وجه الماء وفيها اهلها من الجن
فى مقابلة الربع الخراب من الارض وتظهر فيه الصورة العجيبة والاشكال
الغريبة ثم تغيب في الماء وفي الانسان الكامل للشيخ عبد الكريم الجلى
قدس الله سره اعلم ان البحر المحيط المذكور ما كان منه منفصلاً عن جبل
قاف مما يلى الدنيا فهو مالح وما كان منه متصلاً بالجبل وهو وراء المالح
فهو البحر الاحمر الطيب الرايحة وما كان منه وراء جبل قاف متصل بالجبل فانه
البحر الأخضر وهو مر الطعم كالسم القاتل ومن شرب منه قطرة هلك وفنى
لوقته وما كان وراء الجبل بخلاف الانفصال والحيطة والشمول وجميع
الموجودات فهو البحر الاسود الذى لا يعلم له طعم ولا ريح ولا وقع به احد

لا وقع

9

بل وقع به الاخبار فعلم وانقطع عنه الاثار وكتم **وذكر** قدس سره ان في
البحر المالح الذى اشار اليه في مجمع البحرين منه عين الحيوة وان الاسكندر
سافر ليشرب منه اعتمادًا على كلام افلاطون ان من شرب من ماء الحيوة
لا يموت لان افلاطون انه كان قد بلغ اهل هذا المحل وشرب من هذا البحر
قال وهو باق الى يومنا هذا في جبل يسمى داوند وكان ارسطو تلميذ افلاطون
وهو استاد الاسكندر قد صحب الاسكندر في مسيره الى مجمع البحرين فلما
وصلوا الى ارض الظلمات ساروا وتبعه نفر من عسكره واقام الباقون في مدينة
تسمى ثبت برفع المثلثة والواحدة واسكان المثناة من فوق وهو حد ما تطلع
عليه الشمس وكان من جملة من صحب الاسكندر الخضر عليه السلام وساروا مدة لا يعلمون
عددها ولا يدركون امدها وهم على ساحل البحر وكلما نزلوا منزلا شربوا من الماء
فلما ملوا من طول السفر اخذوا في الرجوع الى حيث اقام العسكر وقد كانوا
مروا بمجمع البحرين على طريقهم من غير ان يشعروا به فلا اقاموا عنده ولا نزلوا به
لعدم العلامة وكان الخضر عليه السلام قد الهم ان يأخذ طيرا فيذبحه ويربطه على
ساقه فكان يمشي ورجله في الماء فلما بلغ هذا المحل انتعش الطير واضطرب
عليه فاقام عنده وشرب من ذلك الماء واغتسل منه وسبح فيه فكتمه

عن الاسكندر وكتم أمره الى ان خرج فلما نظر ارسطو الى الخضر عليه السلم علم
انه قد فاز بذلك من دونهم فلزم خدمته الى ان مات واستفاد هو والا
سكندر من الخضر عليه السلم علوما جمة **قال** قدس الله سره اجتمعت به اى
الخضر وسئلته ومنه اروي جميع ما في البحر المحيط انتهى **قال** في بهجة الناظرين
وفي البحر المحيط من الجزاير المسكونة والخالية ما لا يعلمه الا الله تعالى
قال وفي مسالك البكرى عن بطليموس ان فيه سبعة وعشرين الف جزيرة عامرة
وعابرة **منها** جزيرة تظهر ستة اشهر بكل ما فيها **ومنها** جزيرة ترى من بعد فاذا
قرب منها القاصد لها غابت عنه فاذا رجع الى موضع الذى راها منه نظر اليها
ويقول البحريون ان في ذلك البحر سمكة صغيرة يقال لها الشاكل اذا حمله الانسان
معه ابصر الجزيرة **وقيل** ان بها شجرة تطلع بطلوع الشمس فلا تزال طالعة الى نصف النهار
ثم تعود الى الانحطاط حتى تغيب بمغيب الشمس **ومنها** الجزيرة السايرة فيها
شجر وجبال وعماير فاذا هبت ريح من المغرب سارت الى المشرق واذا هبت
ريح من المشرق سارت الى المغرب هذا دابها وهي ثابتة باجماع البحريين ويذكرون
ان حجارتها هفافة زنة الحجر الذي يقدر بالقناطير عشرة ارطال ويحمل الانسان
القطعة الكبيرة من جبالها **ومنها** جزيرة بيضاء واسعة كثيرة الاشجار

والانهار

١٠

والانهار فيها قوم وجوههم في صدورهم للواحد منهم فرجان فرج امرأة و
فرج رجل يتكلمون بمثل كلام الطير وطعامهم نبات يشبه القطن والكماة **ومنها**
جزيرة النمل وهم خلق كثير ذوا اجنحة وشعور وخراطيم يمشي على رجلين كمشي
الناس وعلى اربع كمشي البهايم ويطيرون في اجنحة في الهوى مع الطيور **ومنها**
جزيرة فيها اقوام رؤسهم كروس الكلاب العظام بادية الانياب يخرج من افواهها
مثل لهب النار **ومنها** جزيرة فيها امة طوال الوجوه ومعهم قضبان الذهب
يعتمدون عليها ويحاربون بها على رؤسهم الذهب وثيابهم منسوجة بالذهب
وطعامهم الموز الى غير ذلك من الجزاير **ومن** ذكر شيء من بحار الارض المتشعبة
من بحر المحيط **حكى** الامام فخر الدين عن الكسائي وغيره من العلماء ان البحور
المعروف خمسة **الاول** بحر الهند وهو الذي يقال له بحر الصين **الثاني**
بحر المغرب **الثالث** بحر الشام والروم **الرابع** بحر بنطش **الخامس** بحر جرجان
فبحر الهند متصل بالمحيط من المشرق وليس على وجه الارض بحر اكبر منه الا المحيط
وهو كثير الموج عظيم الاضطراب فيخرج من المحيط ثم يمر اولا بالصين ثم بالهند
ثم بالسند ثم يمر على جنوب اليمين وهنالك ينتهي الى باب المندب فتكون
مسافته من المحيط في المشرق الي باب المندب في المغرب اربعة الاف فرسخ و خمسماية

فرسخ **وقال** الفخر عن الكسائى في غير طوله ثمانية الاف ميل وعرضه الفا ميل
وسبعماية ميل ويمتد هذا البحر من ارض الحبشة من المغرب الى اقصى ارض الهند
والصين من المشرق ويجاوز خط الاستواء بالف ميل وسبعماية ميل
ويخرج منه اربعة خليج **الاول** عند ارض الحبشة قال الفخر ويمتد الى ناحية
البربر ويسمى الخليج البربرى وطوله مقدار خمسماية ميل وعرضه ماية ميل
الثانى خليج بحر ايله وهو بحر قلزم وبداه من باب المندب فيمر في جهت
الشمال مغربا قليلا فيفصل بين تغرى اليمن ويمر بتهامة والحجاز وينتهى الى مدينة
القلزم واليها ينسب وهذا البحر الذى اغرق الله فيه فرعون وهو
بحر مظلم وحش لاخير فيه ثم ينعطف راجعا في جهت الجنوب فيمر بشرقى
بلاد الصين الى عيذاب الى جزيرة سواكن الى زيلع من بلاد البجه الى بلاد الحبشه
ويتصل بالبحر الهندي وطوله الف واربعماية ميل وعرضه سبعماية ميل
قال الفخر وعلى شرقية ارض اليمن وعدن وعلى غربيته ارض الحبشه
الثالث بحر فارس ويسمى الخليج الفارسى والخليج الاخضر فيخرج من بحر
الصين الى ان ينتهى الى عبادان ثم ينعطف راجعا الى جهت الجنوب
فيمر ببلاد البحرين واليمامة ويتصل بعمان وارض اليمن وهناك اتصاله بالبحر

الهندى

قال الهندي وهو بحرٌ مبارك كثير الخير دايم السّلامة وطيّ الظهر قليل الهيجان
الامام الفخر وهو بحر البصرة وفارس طوله الف واربعماية ميل وعرضه خمسمايةٌ قال
وبين هذين اعني خليج ايله وخليج فارس وارض الحجاز واليمن وساير بلاد
العرب فيما بين مسافة الف وخمسماية ميل الرابع خليجٌ يخرج الى ارض
الهند يسمّى خليج الارض وطوله الف وخمساية ميل قال الفخر وفي بحر الهند
من الجزاير العامرة الف وثلثماية وسبعون جزيرةً وفي البحرين اي في هذا البحر
جزايرٌ كثيرةٌ قيل انها تزيد على عشرين الف جزيره وفيها من الامم لا يعلمها
الّا الله تعالى اما ما يصل اليه الناس فاقل قليل فمنها ايضا في بحر الصّين
اثني عشر الف جزيرة عامرة مسكونه وفي بعض جزايره ينبت الذّهب البحر
الثّاني بحر المغرب وهو المسمّى عندهم بالمحيط وهو قد مرّ ذكره ويتّصل به بحر الهند
ولا يُعرف طرفه الّا في ناحية المغرب والشمال عند محاذات ارض الرّوم والصّقالبة
فيأخذ من اقصى المنتهى في الجنوب محاذيا لارض السّودان مارا على حدود
السّوس الاقصى وطنجه وقاهو الي المشرق قال الفخر فيه ستة جزاير تقابل
ارض الحبشه تسمّى جزاير الخالدات ويخرج من هذا البحر خليجٌ عظيمٌ في شمال
الصّقالبة عند الى ارض المسلمين طوله من المشرق الى المغرب ثلثماية ميل وعرضه ميل

البحر الثالث بحر الروم وافريقيه ومصر والشام طوله مقدار خمسة الاف ميل
وعرضه ستماية ميل ويخرج منه خليج الى ارض البربر طوله ميل **قال** في الخريده
مخرجه من المحيط ثم ياخذ مشرقا فيمر من شمالي الاندلس ثم ببلاد الفرنج الى
قسطنطينيه ويمتد ببلاد الجنوب الى سبتة الى طرابلس ثم الغربي الى الاسكندرية
ثم الى سواحل الشام الى انطاكيه وهناك مجمع البحرين **وذكر في كتاب**
اخبار مصر انه بعد هلاك الفراعنه كانت ملوك بني دلوكه في شق البحر المحيط
من المغرب فانقلب الماء على بلاد كثيرة وممالك عظيمة فخربها وامتد
الماء الى الشام وبلاد الروم وصار حاجزا بين بلاد مصر وبلاد الروم على
احدى ساحليه النصارى وعلي الاخرى المسلمون قال الفخر وفي هذا البحر
مايتان واثنتان وستون جزيرة عامرة منها خمسون جزيره عظيمة
وذكر ابو حامد انه لما غاص بحر الروم انكشف عن مدن وعمارات لا تصف
البحر الرابع بحر نيطش ومبداه من البحر الشامي قال الفخر وهو يمتد
من الازرقية الى خلف قسطيطنية وارض الروم والصقالبة طوله الف
وثلثماية ميل وعرضه ثلثماية ميل **وفي** الخريده عن هذا البحر فيتصل
بالقسطنطنية فيكون عرضه هناك ستة اميال ويمر من جهة المشرق

فيتصل

12

فيتصل في جهت الجنوب من ارض هرا قلة الى سواحل اطراف برنده الى
ارض الشكالة الى ارض لاينة وينتهى طرف هذا الخليج هناك ثم ينعطف
راجعًا الى مكان يتّصل ببلاد الرّوميه وبلاد برجان ولايزال حتّى ينتهى الى
مضيق ثم خليج قسطنطنية ويمر بمشرقي مقدونيه الى ان يتصل بالموضع الذى
منه ابتدا وبين ساحله وبين ارض الترك ارضونٌ وجبالٌ مجهولة البحر الخامس
بحر جرجان والدّيلم وهو بحرٌ واسع ولا اتصال له بشيٍ من البحار غير انه
مخلوق في مكانه من غير مادّة لكن يصبّ في المحيط بواسطة خليج
القسطنطنيّة وهو بحر هابل ويقع فيه انهار كثيرة وعيون دائمة
الجريان وذكر الحوقلى انّ هذا البحر مظلم القعر وانّه يتصل ببحر بنطش
من تحت الارض ويتصل بهذا البحر من جهت الغرب بلاد اذربيجان
ومن جهت الجنوب بلاد طبرستان ومن جهت المشرق ارض الغربيّة
ومن جهت الشمال ارض الخزر وطوله الف ميل وعرضه على ما قال الفخر
ستمائة ميل وفيه جزيرتان كانتا عامرتين ويعرف هذا البحر ببحر السكونه
قال الفخر فهذه البحور الخمسة هي البحور العظام واما غيرها فبحيرات
وبطايح كبحيرة خوارزم وبحيرة طبرية وبحيرة فلسطين بالغور في ذكر شيء

من جزاير بحر الهند قد مرّ فيه من الجزاير ما يزيد على عشرين الف جزيرة منها جزيرة
كوله قال صاحب الجعفرية هي جزيرة عظيمة دورها في البحر خمسماية فرسخ
وفيها خمس مداين وهي اخصب جزاير السند واطيبها رايحة ومنها
يجلب المسك من حيوان عندهم على شبه المعز لها اعناق طوال ولا قرون لها
في اعناقها صرر على قدر البيض فاذا امتلات سقطت فتوخذ فتجفف
تيبس ثم تفتح فيخرج منها المسك العجيب ثم ينبت في اعناقها غيرها
تعمل ذالك في كل ثلاثة اشهر وفيها من الفلفل والقرفا واللبان والجوز
الهندي شي كثير ويستخرج من الجوز اطيار على شبه الزرازير يطبخونها
ولا ياكلون لحماً غيرها ومنها جزيرة كبيرة قدرها خمسون فرسخا
في مثلها فيها العود القاري وهو اعجب العيدان نكهة وافوحها
لاسيما ان جعل في خمر عتيق وساير اجناس العود عشرة كل جنس لا يشبه
الاخر وفيها كثير من القاقلا والزنجبيل ومنها جزيرة ارين حكى صاحب
الجعفرية انها نقطة الارض كلها قفرها ومعمورها واذا توسطت الشمس
الحمل لم يكن في هذه الجزيرة ظل لشي قايم وهي اعدل الارض هواء واعتدالاً
ليلها ونهارها طول الدهر لا يزيد ولا ينقص ولا يسقط من شجرها ورقة

كادلا يموت

13

كادلايموت فيها انسان الاعلى مايةعام وفيها من الاعاجيب المنارة التى وصفها
المسعودى وارتفاعها كارتفاع منارة الاسكندرية فى وسطها طلسم
ظهره مما يلى الجنوب ووجهه مما يلى الشمال ويده اليسرى مما يلي وسط
المغرب وذراعه اليمنى مبسوطة مما يلى وسط المشرق وقد قبض انامل كفه ومد
السبابة على وسط مطلع الشمس فاذا طلعت كان اصبعه فى قاعة افق المشرق
فكلما طلعت رفع اصبعه معها حتى تكون على سمت رأسه فتكون اصبعه قائمة
معها فاذا مالت الشمس الى المغرب امال اصبعه الى تحت الارض كانه يشير
الى الشمس حتى اذا كان نصف الليل كان اصبعه فى نصف الارض ثم لايزال
كذالك فى الليل حتى تطلع الشمس واصبعه على الشمس وهكذا طول الدهر
وهذا اعجب مافى بلاد الهند **ومنها** جزيرة النهروان هى اخر جزاير الهند
الي العراق **ومن** اعاجيب هذه الجزيرة شجرة الشيرج وهى شجر الكبار لها
اوراق كاوراق اللّيم تثمر كل عام بجوز عظيم الخلقة تشبع منه
الواحدة اربع واكثر فاذا بلغ اوانه ثقب فى كل جوزة ثقب وعلق فيه
آنيه فتوجد تلك الانيه مملوة لبناً اشد بياضا من لبن الغنم فيأكلونه
ويشربونه ويطبخونه ويصرفونه فى طعامهم فما بقى من ذلك اللبن الى يوم

الثالث صار خلا فيناً آدمون به فما بقى لا يتبدل ولا يتغير الى اخر الدهر و
ما لم يثقب من ذلك الجوز يسقط على الارض فاذا فتحت وجد فيها
مثل السميد فيصبون عليه الماء المسخن فيعود زيتا يا كلونه ويسرجون منه
المصابيح فسبحان الفعال لما يريد ومنها جزيرة الروح هي ثلاثة جزاير
متجاورات وهي اقرب جزاير الهند الى جزاير اليمن وفيها كثير من الفلفل
واللبان والزنجبيل وفيها جبال الياقوت الاحمر وفيها جبال الحيات
كل حية قدر النخلة ومنها الجزاير الثلاثة قال صاحب تحفة العرائب
في احديهن برق الليل كله وفي الاخرى تهب رياح شديدة الليل كله
وفي الاخرى تمطر السماء الليل كله صيفا وشتاء على ممر الايام
والليالي ومنها جزيرة سرنديب قد احاط بها البحر من كل جانب يسير بها
الراكب نحو الشهر والشهرين وفيها الجبل الذي نزل عليه ادم عليه السلام
عليه نور شعاع كلون قوس قدح لا يخلوا منه ليلا ولا نهارا له رايحة تفوق
رايحة المسك عليه الصخرة التي نزل عليها ادم عليه السلام وفيه اثر قدمه
وذكر ابن الجوزي في كتاب اعاجيب الارض ان في هذا الجبل شجرة لها
اوراق للورقة وجه احمر وباطن اخضر مكتوب في الحمرة بالبياض لا اله الا الله

وحده

١٤

وحده لا شريك له وفي الخطرة مكتوب بالحمرة سبحان الله العظيم وفي
هذه الشجرة اطيار على قدر اليمامة تسبح الله بالسنة عربية وسريانية فاذا اخذ
منها طاير لم ينطق ولم يتكلم ولم يمكث اكثر من يوم ويموت ولهذه الاطيار
اصوات حسنة يبكي السامع منها تشوقا وخيفة عند سماعها **ومنها**
جزيرة القصر وهو قصر عظيم مرتفع من بلور شفاف يبان ابيض
لمن في المركب فاذا شاهدوه تباشروا بالسلامة وهو قصر ابيض عظيم
مرتفع شاهق في الهوى لا يدرى ما داخله ولا يمكن الوصول اليه ومر به
ذو القرنين واراد التوجه اليه فمنعه بهرام الفيلسوف الهندى وقال
لا تفعل يا ملك الزمان فان من وصل الى هذا القصر غلب عليه الحذر
وقلة الحركة ولا يقدر على الخروج ويهلك واذا كان الليل ظهر لذلك القصر
شرافات تسرج بالمصابيح الليل كله **وفي بحر** الصين جزاير كثيرة يذكر
انها تزيد على اثنى عشر الفا **منها** جزيرة الطرب دورها في البحر مائة فرسخ
وارتفعت في البحر من كل ناحية كالعمود لا يستطاع الصعود اليها لارتفاعها
في الهوا فقد تدلت ثمارها واشجارها على حافتها واشتبك بعضها ببعض
فيسمع كل من مر عليها في البحر انواعا من الملاهي كالمزامير والعيدان وغير ذلك

من انواع مختلفة ولا يقدر احدًا يسمع ذالك مخافة ان يقع هناك من شدة
الفرح والطرب ويزعمون ان الدجال هنالك ويسمعون احيانا فيها صوتًا
عظيمًا كالرعد القاصف تكاد تذهل منه القلوب فاذا سمع ذالك اهل
الصين علموا بموت ملكهم او عظيم من عظمائهم وحولها جواري البحر الموصوفة
وهي حيتان في البحر لها اذان واجنحة كاجنحة الطير ولها رؤس الجواري
يظهر عليها شعور على وجه الماء يسبحن الله تعالى بجميع الالسنة من عربية
وغيرها فيجتمع السامع لذالك حتى يبكي خوفًا من الله تعالى ومنها
جزيرة النساء فيها امة على شبه النساء الحسان سبط الشعور نواهد الصدور
ويقال لهن بنات الماء لهن قهقهة وضحك وكلام لا يفهم وليس فيهن ذكر
اصلاً قيل انهن يلقحن ويحملن من الريح ويلدن نساءً مثلهن وقيل ان في تلك
الجزيرة نوعًا من الشجر ياكلن منه ويحملن وتراب هذه الجزيرة كله ذهب وقد
استولد بعض البحريين منهن غلامًا فكان يعرف بابن البحرية ومنها
جزيرة السحاب قال في الخريدة سميت بذالك لانه لا يطلع عليها
سحاب ابيض ويعلوا على المراكب في البحر ويخرج منه لسان طويل رقيق مع
ريح عاصف حتى يلتصق ذالك اللسان بالبحر فيغلي كالقدر حين يفور ويضطرب

جزيرة ...

كالزوبعة

١٥

كالزوبعة الهايلة فاذا اركت المراكب ابتلعتها **وبهذه** الجزيرة تلول
اذا اضرمت فيها النار سالت منها الفضة الخالصة **ومنها** جزيرة زامي
قال في الخريدة وهي جزيرة طويلة عريضة طيبة التراب معتدلة الهوا بها
مدن وقرى وطولها سبعماية فرسخ **قال** الفقيه بهذه الجزيرة عجايب
كثيرة منها اناس حفاة عراة على ابدانهم شعور تغطي سواتهم ياكلون
من الثمار ويفرون من الناس وطول احدهم اربعة اشبار ولا يلحقون
بسرعة جريهم **ومنها** جزيرة الرخ قال في الخريده وهذا الرخ طير عظيم
غريب مهول الخلقة حتى قيل ان طول جناح الواحد عشرة الاف باع
ذكر ذلك الحافظ ابن الجوزي **وكان** قد وصل الى هذه الجزيرة رجل
من اهل الغرب ممن سافر الصين واحضر معه قصبة ريشه من فرخ الرخ
وهو في البيضة فكانت تلك القصبة تسع قربة ماء **وذكر** انهم
راو بيضة في الجزيرة فاعتقدوها قبة بيضاء عظيمة لماعة اعلى
من مائة ذراع فقصدوها فجعلوا يضربونها بالسيف حتى انشقت
عن فرخ الرخ كانه جبل راسخ فتعلقوا بريشة من ريشه فقتلوه وحملوا
ما امكنهم من لحمه وقطعوا ورحلوا **قال** فلما طلعت الشمس والمركب ساير

اذا اقبل الرخ كانه جبل سحاب وفي رجله قطعت جبل كالبيت العظيم فلما
حاذى السفينة القى الحجر وكانت السفينة مسرعة في الجرى فسبقته والحجر
فوقع في البحر وكتب الله السلم **ومنها** جزيرة الواق الواق المشهورة
يوجد عندها سمكة تزيد على خمسماية ذراع واذا رفعت جناحها كان
كالجبل العظيم يخاف على السفن منها فاذا راوها صاحوا وضربوا
الطبول حتى تهرب عنهم **وذكروا** ان بجزاير الهند شجر اذا عمل منه
دهن ويدهن به الانسان لم يقطع فيه الحديد **وفيها** شجرة اذا اخذ
دهنها وشرب على حالة مخصوصة استغنى به عن الغذاء ولا يناله سقم ولا
مرض ولا يموت لذلك وطول حياته ابدًا **فهذا** وانواعه من الاسرار
والخواص التي اودعها الله في العالم انتهى ما اردنا نقله من بهجة الناظرين
وفي خريدة العجايب خص الله بحر فارس بالخيرات الكثيرة والبركاة
الغزيرة والفوايد والعجايب والظرايف والغرايب **منها** مغاص اللؤلؤ
الذي يخرج منه الحب الكبير البالغ وربما وقعت فيه الدرة اليتيمة التي لا قيمة لها
وفي جزايره منه انواع معادن اليواقيت والاحجار الملونة النفيسة ومعادن
الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والسنباذج والعقيق

16

وانواع الطيب **وذكر** ان من جزايره جزيرة الطورشان قال وهي جزيرة
خصبة ذات اشجار واثمار واعين وانها روبها اقوام ابدانهم ابدان الاد[ميين]
ورؤسهم رؤس الكلاب والسباع وبها نهر شديد البياض على شطه
شجرة شديدة عظيمة تظلل خمسماية رجل فيها من كل ثمرة طيبة مشرقة
بانواع الالوان وكل ثمرها احلا من الشهد والعسل وطعم كل ثمرة لا تشبه
الاخرى وتلك الثمار الين من الزبد وازكى من رايحة المسك وورقها كالحلل
الحرير والديباج **وهذه** الشجرة تسير بسير الشمس وترتفع من الغد
الى الزوال وتنحط من الزوال الى الغروب حتى تغيب بغيابة الشفق **وذكر منها**
جزيرة العباد قال وهي جزيرة عظيمة دخلها ذو القرنين فوجد فيها
قوماً قد انحلتهم العبادة حتى صاروا كالحمم السود فسلم عليهم فردوا
عليه السلام فقال ما عيشكم يا قوم فقالوا ما رزقنا من الاموال وانواع النبات
ونشرب من هذه المياه فقال الا انقلكم الى عيشة اطيب مما انتم فيه [خصب]
قالوا ما نصنع به ان عندنا في جزيرتنا ما نغتني به عن جميع العالم و[يكفيهم]
لو وصلوا اليه فانطلقوا به الى وادٍ لا نهاية لطوله وعرضه وهو يتوقد من
الوان الدر واليواقيت والزبرجد والبلخش والاحجار التى لا يوجد مثلها

والجواهر التي لا تقوّم ثم انطلقوا من سفير ذلك الوادي فأتوا به الى مستوى
واسع من الارض لا ينتهي به الابصار به اصناف الاشجار وانواع النخل والا
زهار واجناس الاطيار وافياء وظلال ونسيم ذو نزهة ورياض وجنات
وعياض فلمّا راى ذو القرنين ذلك استصغر امر الوادى وما به من الجواهر
عند ذلك المنظر البهى ثمّ قال له هل في ملك من املاك الدّنيا فقال الا
فقالوا هذا كله بين ايدينا ولا نكلف انفسنا الى شيء من ذالك ونقنع بما
نقوى به على عبادة الخالق فسرعنا ودعنا بحالنا ارشدنا الله واياك فودّ
عوه وفارقوه وقالوا له دونك والوادى فابا ان يحمل منه شيئاً **وذكر منها**
جزيرة الحكماء قال وهي جزيرة عامرة وصل اليها الاسكندر فراى بها
قوماً لباسهم ورق الشجر وبيوتهم كهوف في الصخور فسئلهم مسايل في الحكمة
فأجابوا فقالوا اسلوا حوايجكم **فقالوا** نسئلك الخلد في الدّنيا وقال
انّى به لنفسي **قالوا** فصحّة البدن **قال** وهذا لا اقدر عليه **قالوا** فمعرفة
ما بقي من اعمارنا **فقال** لا اعرف ذلك لروحي **فقالوا** دعنا نطلب ذلك
ممّن يقدر على ذالك وجعلوا ينظرون الى كثرة جيوشه وبينهم شيخ صعلوك
لا يرفع رأسه فقال له الاسكندر مالك لا تنظر الى ما ينظرون اليه **قال** ما اعجبني

الملك

١٦

الملك الذى رايته قبلك حتى انظر اليك والى ملكك قال وماذا فاك كان
عندنا ملك صعلوك ما نا فى يوم واحد فغبت عنهم مدة ثم جيت
فما عرفت الملك من الصعلوك فتركهم الاسكندر وانصرف وذكر
ان فى هذا البحر سمكة تسمى الدفين لها راس مربع لا تنفتح يقولون اذا
اكل الاجذم من لحمها مطبوخا برى وذكر ان فيه سمكة وجهها كوجه
الانسان وبدنها كبدن السمكة تظهر على وجهه شهرا او تغيب شهرا
قال وفيه سمكة تطفوا على وجه الماء فاذا رات سمكة او حيوانا من دواب
البحر قد فتح فاه دخلت فيه وصارت غذاء له قال وفيه حيوانا يخرج
من البحر الى البر ويرتع والنار تخرج من فيه ومنخريه وتحرق ما حولها
من النبات قال وفيه سمكة طيارة تطير ليلا من البحر الى البر وتاكل الحشيش
الى طلوع الشمس ثم تعود طائرة الى البحر قال وفى هذا البحر العطب
الذى يسمى الدردور واذا وقع فيه المركب يدور ولا يخرج منه طول
الدهر والازمان قال والدردور فى ثلاثة ابحر فى هذا البحر وبحر الصين
وبحر الهند وذكر ان فى بحر عمان جزيرة فيها شجرة تحمل ثمرا كاللوز
فى صفته وقدره ويوكل بقشره وهو احلى من العسل ويقوم مقام

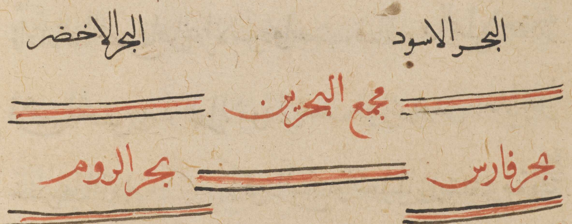
كل داء ومن اكله من الرجال والنساء يزداد نظره وشبابا ولا يهرم
ولا يشيب ابدا وان اكله طاعن في السن ذهبت قوته وابيض شعره
عاد في الحال الى قوته ونضارته واسود شعره وذكر ان في بحر القلزم سمكة
طولها نحو عشرين ذراعا تلد كالادمية وترضع وفيه سمكة تصاد وتجفف
فيبقى لحمها مثل القطن ويتخذ منه غزلا وينسج ثيابا فاخرة وذكر
ان في بحر الزنج جزيرة تسمى جزيرة الضوضاء بها جزيرة من حجر ابيض
لا ساكن بها غير انهم يسمعون بها غلبة وضوضاء وجلبة وبها ماء عذب
فيه رايحة الكافور وبقربها جبال عظيمة تتوقد نارا بالليل وحواليها
حية تظهر في كل سنة مرة فيتحيل عليها ملوك الزنج ويصيدونها ويتخذون
من جلدها فرشا يجلس عليها صاحب السل فيبرا وذكر ايضا ان فيه جزيرة
العود وهي جزيرة واسعة دخل رجل من اهل رومية فوصل الى مدينة قامات
اهلها طول ذراع واكثرهم عور فساقوه الى ملكهم فحبسوه في قفص فكسره
فامنوا عليه وتركوا الاحتجاز عليه فلما كان بعض الايام اذا هم استعدوا
للقتال فسألهم فقالوا لنا عدو ياتينا في كل سنة فيحاربنا وهذا اوانه
فلم يلبث الا قليلا حتى اقبلت عليهم عصابة من الطيور الغرانيق وكان ماءهم

عور من نقر

18

عورمن نقر الغرانيق فحملت الطيور عليهم وصاحوا بهم فلما راى ذلك
الرجل شد وسطه واخذ عصا وصاح فيها صيحة منكرة فرمى منهم جماعة
فصاحوا وطاروا فلما راى اهل الجزيرة ذلك اكرموه وافادوه مالا
وسئلوه الاقامة عندهم فلم يفعل فحملوه في مركب فجهزوه وذكر
ان مجمع البحرين هو مجمع بحر الروم والغرب وعرضه ثلثة فراسخ وطوله
خمسة وعشرين فرسخا والمد والجزر هناك في كل يوم وليلة اربع مرات
وذلك ان البحر الاسود هو بحر الغرب عند طلوع الشمس يعلوا فيصب
في مجمع البحرين حتى يدخل في بحر الروم وهو البحر الاخضر الى وقت الزوال
فاذا زالت الشمس غاص البحر الاسود وانصب فيه الماء من البحر الاخضر الى
ان تغيب الشمس ويعلوا البحر الاسود الى نصف الليل ثم يغيض ويعلوا البحر الا
خضر على الدوام قلت ما ذكره من البيان والتعليل انما يقتضي مدة وجزرة
في كل يوم وليلة مرتين وهذا الاختصاص له به فان غيره كذلك وذلك
لان الجزر كما في الصحاح رجوع الماء الى خلف اى الى جهة خلف المد
فان اعتبر انصباب بحر المغرب فيه مدا كان انصباب بحر الروم ورجوع
مايه الى بحر المغرب جزرا وان اعتبر انصباب بحر الروم مدا كان انصباب

بحر المغرب فيه ورجوعه الى بحر الروم جزرًا اللهم الا ان يقال يحصل لمائه
رجوع الى كل منهما اذا انصب فيه قبل انصباب الاخر فيه ودخوله الى
صاحبه فيكون انصباب كل منهما فيه حتى يدخل على صاحبه مدو رجوع
مائه اليه قبل الانصباب الاخر فيه جزرًا ويقال ان مائيهما لا يمتزجان فيه
بل بينهما حاجز من قدرة الله تعالى فيمد احدى حافيته بمد ماء البحر الملاقى
لها ويجزر بجزره وتمد الحافة الاخرى بمد الاخر ويجزر بجزره ولكل منهما
في كل يوم وليلة مدان وجزران ويكون في مجمعهما كل يوم وليلة مدًا
وجزرًا اربع مرات وهذه صورته على التقدير الذي ذكرنا والله اعلم بالصواب



ولكم وجدنا في نهر واحد ماءً مشرقًا وماءً مغربًا وهما متلاصقان عرضًا
وكم من عين عذبة في البحر لا يمازجها ماؤه لبرزخ من القدرة جعله الله بينهما
وقد حكى لي من اثق به انه كان في بحر فارس فوجد قطعة من الماء العذب
جاء بها الجزر من نهر البصرة فاستقوا منها فسبحان القادر الحكيم المدبر لملكه

وذكر

وذكر الواحدي في تفسير الوجيز في تفسير قوله تعا مرج البحرين يلتقيان
خلط البحر العذب والبحر المالح يلتقيان يجتمعان وذلك ان البحر المالح فيه عيون
وماء عذبة بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعا لا يبغيان لا يختلطان
ولا يتجاوزان ما قدر الله تعالى لهما فلا المالح يختلط بالعذب ولا العذب
بالمالح انتهى وذكر الواحدي وناصر الدين القاضي البيضاوي في تفسيرهما
مجمع البحرين ملتقى بحر فارس والروم زاد البيضاوي مما يلي المشرق قال
البيضاوي وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما السلام
فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن الى ان قال
روي ان موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة
بليغة فاعجب بها وقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله
اليه بلى عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون
وكان على مقدمة ذو القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عليه السلام
وقيل ان موسى سئل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني
ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع
الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه

يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي [١٩ظ] (٢٦٠/٤٧)

عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او تردّه عن ردى فقال ان كان في
عبادك اعلم منّي فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه
قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتاً في مكتل
فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني
فذهبا يمشيان فلمّا بلغ مجمع بينهما اى مجمع البحرين وبينهما ظرف
اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسى موسى ان
يطلبه ويتعرف حاله ان يذكره راى من التحيات ووقوعه في البحر روى
انّ موسى عليه السّلام رقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب في البحر
معجزة لموسى او الخضر وقيل توضّا يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء
عليه فعاش فوثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه اماره
على الظفر بالمطلوب واتّخذ سبيله في البحر سرباً فاتّخذ الحوت طريقه
في البحر مسلكا من قوله تعالى وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ وقيل امسك الله
جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني
وفي البحر حال منه او من السّبيل ويجوز تعلقه باتخذ انتهى فقد صرّحا
هذان الامامان بان مجمع البحرين هو مجمع بحري فارس والرّوم

لابن الجزري

20

لابحر المغرب والروم كما في الخريدة وانما سقطت من كلام البيضاوى
ماسقطت لان فيه ما يدل ان عين الحيوة بمجمع بحر فارس والروم او
بالقرب منه وما تقدم مما نقلناه عن الانسان الكامل يدل على انها في
بحر المحيط وفي الخريدة ما يؤيده فانه ذكر فيها ان عين الحيوة التي ذكر فيها
شرب منها الخضر في الظلمات وهي في القطعة التي بين المغرب والجنوب
انتهى فلعلها عينان او يراد بمجمعهما مجمعهما في المحيط وانهما
يتشعبان منه كما ذكره البيضاوى وفي تفسير سورة الرحمن لا جمعهما
بانطاكية كما يدل عليه ما نقلناه من البهجة انتهى فان قلت هل كان البحر قبل
الطوفان او حصل بعده قلت الظاهر كان قبل آدم عليه السلام لانه
الخليفة في الارض والخليفة انما يسكن الدار بعد تمام العمارة كيف لا وهو صفي الله
وحبيبه وكيف يسكن الحبيب دارا بنيت له وهيئت لخلافته الا بعد تمام
عمارتها فلم يهبط الى الارض الا بعد تمام عمارتها من بر وبحر وسهل
وجبل ونبات وحيوان وايضا قد علم الله تعالى آدم الاسماء كلها
ثم عرض مسمياتها على الملائكة وعرض الشيء فرع وجوده وقوله
تعالى باسماء هؤلاء يدل على ذلك فان اصل الاشارة ان تكون للمحسوس

يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي [٢٠ظ] (٢٦٠/٤٩)

موجود فدل على ان المسميات التى علم آدم باسمائها كانت موجودة
ومن جملتها ما علم الله آدم البحر كما اخرج ابن كثير في تفسيره عن الضحاك
عن ابن عباس في قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها قال هو هذه الاسماء التي
تتعارف بها الناس انسان ودابة وارض وسهل وبحر فالبحر كان موجودا وقت
التعليم والعرض وايضا فقد اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال خلق الله
تعالى وراء هذه الارض بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له
قاف السماء مترفرفة عليه الى آخره يدل على ان البحر خلق قبل قاف ولاشك
ان آدم اهبط الى الارض بعد خلق قاف وعن ابن عباس رض قال اول
من سكن الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا
قال فبعث الله اليهم ابليس فقتلهم ابليس ومن معه حتى الحقهم بجزائر البحور
واطراف الجبال ثم خلق آدم واسكنه اياها فلذلك قال اني جاعل في الارض خليفة
فهذا صريح في انها كانت قبله فان قلت قد اخرج السيوطي في الهيئة
عن اسحاق بن بشر وابن عساكر من طريق جويبر ومقاتل عن الضحاك
عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وابتلعت الارض ماءها وارتفع ماء السماء حتى بلغ عنان السما

رجالا يعود

رجا ان يعود الى مكانه فاوحى الله اليه ان ارجع فانك رجس وغضب
فرجع الماء وملح وخم وتردد فاصاب الناس منه الاذى فارسل الله الريح
فجمعه في مواضع البحار فصار زعاقا مالحا لا ينتفع به الحديث فقوله
فجمعه في مواضع البحار الى آخره يدل ان البحار انما تكونت منه ولم تكن قبل
قلت وقد اخرج ابن كثير في تفسيره عن ابن جرير حدثنا ابو كريب
حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمارة عن ابي روق عن الضحاك
عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا
من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان
الجنة قال وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي قال وخلقت الجن
الذي ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في
طرفها اذا الهبت قال وخلق الانسان من طين فاول من سكن الارض الجن
فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله
اليهم ابليس في جند من الملائكة وهم الحي الذين يقال لهم الجن فقتلهم
ابليس ومن معه حتى الحقهم بجزاير البحور واطراف الجبال الحديث فهذا
يدل على ان البحور كانت قبل آدم فضلا عن الطوفان على انا لا نسلم

ان الحديث الاول يدل على ان البحار لم تكن قبل بل انما يدل على ان الماء جمع
في مواضعها فلعلها بلعتها الارض لما أمرت ببلع ماؤها **فان قلت**
في سياق الحديث الثاني غرابة كما ذكر ابن كثير في اخره قلت وفي متن
الاول اشكال فان قوله فانك رجس وغضب بنا في قوله صلى الله عليه
وسلم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته **فوائد** الاولى اخرج السيوطي
في الهيئة عن ابي الشيخ عن ابن عباس قال **قال** رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما انزل الله كفا من الماء الا بمكيال الا يوم نوح فان الماء طغى على
الخزان قال الله تعالى إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ **الثانية** اخرج السيوطي
عن ابن ابي زمنين في اصول السنة بسنده عن سليمان الفارسي رضي الله
عنه قال تحت هذه السماء بحر ماء يطفح فيه الدواب مثل ماء بحركم هذا
ومن ذلك البحر غرق الله قوم نوح وهو ماء اسكنه الله تعالى للعذاب وسينزله
قبل يوم القيمة فيغرق به من يشاء ويعذب من يشاء **الثالث** الحكمة في
كون البحر ملحا اجاجا لا يذاق ولا يساغ لئلا ينتن من تقادم الدهور والازمان
على ممر الاحقاب والاحيان فيهلك من نتنه العالم الادمي ولو كان
حلوا لكان كذلك حكمة منه تعالى **الرابع** ان العين لما كانت شحمة

والتحم

22

والشحم لايصان الا بالملح جعل الله الدمع مالحا وكانت معمورة بحكمة
منه وفضلا **قلت** ولعل هذا حكمة المد والجزر فان الماء الدائم يتسارع
اليه لنتن بخلاف الجاري المتحرك فانه لاينتن ابدا **فرع** اختلف اصحابنا
في وجوب الحج اذا كان بحرا ففي الطيبى بفتح الطاء نسبة الى طيبة
لمحمد بن الحسين الخليفة انه لايجب وفي الشمنى ولو كان الطريق بحرا لايجب
الحج ولو كان نهرا كسيحون والفرات يجب **وقال** الكرماني ان كان الغالب
فيه السلامة يجب ولنشرع الان فيما نحن بصدده فنقول وبالله التوفيق
بسم الله الرحمن الرحيم **اختلف** الناس في سبب المد والجزر
على اقوال احدها ما قاله ارسطاطاليس ان علة ذلك من الشمس اذا حركت
الشمس الريح فاذا زالت الرياح كان منها الجزر وهو باطل من وجوه **الاول**
ان حركة الريح انما هو بتحريك الله الفاعل المختار قال تعالى الله الذي يرسل الرياح
لا لذات الريح او شيء من لوازم ذاته لا للشمس لانه ان كان الاول والثاني
لزم دوام الريح بدوام ذاته وهو منتف وان كان الثالث فاما ان يكون
الموجب لذلك طبيعة هذا الكوكب لا بشرط شيء او بشرط حصوله في
البرج المعين والدرجة المعينة والاول باطل والا لدامت الريح بدوام تلك

الطبيعة والثاني كذالك والا لوجب حركتها مدة دوامه في ذلك البرج
والدرجة ومتى حصل فيهما ولوجب ان يتحرك كل هواء عند ذلك و
ليس فليس فثبت ان حركتها انما هو بفعل الفاعل المختار خالق الليل والنهار
فان قلت قد زعمت الفلاسفة انه يرفع من الارض من اجزاء متسخنة
تسخناً قوياً فاذا وصلت الى القريب من الفلك امتنعت من الصعود فتتفرق
في الجوانب وبسبب ذلك التفرق تحصل الرياح ويجوز ان يكون المسخن
لذلك هو الشمس فصح نسبة التحريك اليها قلت رد عليهم الفخر بان صعود
الاجزاء الارضية انما تكون لاجل شدة تسخينها فاذا صعدت الى الطبقة
الباردة من الهواء امتنع بقاء الحرارة فيها فاذا بردت امتنع بلوغها
في الصعود الى الطبقة الهوائية المتحركة بحركة الفلك وايضاً لو كان كذالك
لكان نزولها على الاستقامة والرياح انما تتحرك يمنة ويسرة وايضا
فحركة الاجزاء الارضية لان تكون حركة قاهرة وهذه الرياح تقلع
الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار فيبطل ما قاله الفلاسفة الوجه الثاني
مقتضاه ان مقر الريح في قعر البحر ليحصل من تحريك الشمس لها تحريك الماء
فيحصل المد لانا نرى البحر اذا مد من سطحه الاعلى والاسفل وما بينهما من السطوح

وذلك

وذلك لاياتى الا عن تحريك الكل فلابد وان تكون الريح هايجة من القعر
الى السطح الاعلى اذ لو لم تكن كذلك لم يؤثر ذلك وايضا لو كان مقرها
غير القعر كالسطح الاعلى مثلا لم يجب تحريكه جرى الماء على عكس ما هو عليه
من الجريان حالة الجزر فانا نشاهد الانهار الجارية كدجلة والفرات عند تحريك
الريح على عكس مجراها جارية الى الجهة التى كانت تجرى اليها قبل التحريك
غير مؤثر تحريك الريح فى عكس جريها بل لم يوجب للماء جريا قويا مثل
جرى الماء اذا كان ساكنا كما نشاهد فى الغدران والبطيحات الساكنة
وان اوجب تحريكا ما فلابد وان يكون مقرها القعر وهذا باطل لوجهين
الاول انه لا شئ منها مقره ذلك ولم يقم ذلك دليل من نقل او عقل
على ذلك الثانى انما مقره ذلك انى للشمس التاثير فيه وها نحن نجد من
غاص فى شدة حر الشمس فى ماء عمقه عشرة ابواع او اقل ووصل الى
قعره يخرج ينتفض من شدة البرد بل ربما احتاج الى التدثير بل من غاص فى
ثلثة ابواع ووصل الى القعر لا يجد للشمس اثر وان كان فى الرابع و
العشرين من تموز فكيف بماء قعر مائة ابواع بل الوف ابواع
فان قلت واين مقر الرياح قلت هى مختلفة جسما وردت به السنة

النبوية والاثار **ففي** الهيئة السنية للحافظ السيوطي **اخرج** بن ابى حاتم
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الريح مسجونة في الارض الثانية فلما اراد الله ان يهلك عادا امر الله خازن
الريح ان يرسل عليهم ريحا يهلك عادا قال يا رب ارسل من الريح قدر
منخر الثور قال له الجبار لا اذن تكفي الارض ومن عليها ولكن ارسل
عليهم قدر الخاتم **واخرج** ابو الشيخ عن كعب قال ساكنة الارض
الثانية الريح العقيم لما اراد الله ان يهلك قوم عادا اوحي الى خزنتها
ان يفتحوا منها بابا قالوا يا ربنا مثل منخر الثور قال اذن تكفي الارض ومن
عليها ففتحوا منها مثل حلقة الخاتم **واخرج** بن جرير وبن مرديه في
تفسيرهما وابن ابي الدنيا في كتاب السحاب وابو الشيخ في العظمة
عن ابي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم يقول ريح الجنوب من الجنة وهي من اللواقح وفيها منافع الناس والشمال
من النار تخرج فتمر بالجنة فتصيبها نفحة من الجنة فبردها من ذلك
واخرج بن راهويه وابن ابي شيبة في مسنديهما والبخاري في تاريخه
والبزار وابو الشيخ عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ان الله

خلق

24

خلق في الجنة ريحا بعد الريح سبع سنين من دونها باب مغلق وانما
يأتيكم روح الريح من خلل ذلك الباب ولو فتح ذلك الباب لاذرّة ما
بين السماء والارض وهي عند الله الازيب وعندكم الجنوب واخرج
ابو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الجنوب سيد الارياح واسمها عند الله الازيب ومن
دونها سبعة ابواب وانما يأتيكم منها ما يأتيكم من خللها ولو فتح منها
باب واحد لاذرت ما بين السماء والارض واخرج ابو الشيخ عن
انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنوب
ريح الجنة واخرج ابو الشيخ عثمان الاعرج قال ان مساكن
الرياح تحت اجنحة الكروبيين حملة العرش فتهيج فتقع بعجلة
الشمس فتعين الملائكة على جرها ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع في البحر
تهيج من البحر فتقع برؤس الجبال ثم تهيج من رؤس الجبال فتقع في البر
فاما الشمال فانها تمر بجنة عدن فتاخذ من عرف طيبها ثم ياتي الشمال
حدها من كرسي بنات نعش الى مغرب الشمس وتاتي الدبور حدها
من مغرب الشمس الى مطلع سهيل وتاتي الجنوب حدها من مطلع سهيل

الى مطلع الشمس وتاتى الصبا حدها من مطلع الشمس الى كرسي بنات
نعش فلا تدخل هذه في حد هذه قال الفخر الرازى ومابين كل واحدة
من هذه الامهات اي من هذه الارياح الاربعة فهي نكبا انتهى فقد
علمت ما سمعت ان محالها مختلفة ولا شئ منها محله قعر البحر فان قلت
فما تدفع المعارضة الثانية بين حديث بن عمر والسابق وبين حديث
ابى هريرة وما اخرجه ابو الشيخ عثمان الاعرج فان حديث ابن عمر
باطلاقه يقتضي ان مقر الكل فى الارض الثانية والاخران يخالفانه
وحديث ابى هريرة يقتضي ان الشمال مقرها النار والجنوب مقرها
الجنة والاخر يخالفه قلت اما حديث بن عمر فمحول على الريح العقيم
كما صرح به حديث كعب واما حديث عثمان فمحول على ان الاجنحة
المذكورة مسكنهما بعد خروجهما من مقرهما واما بقية الرياح فلا
مانع من حمل مسكنها تحت الاجنحة على مقرها ابتدا خلقها اذ لا معارض
فاندفعة المعارضة بين هذه الاخبار فان قلت فما جوابك عما
اخرجه السيوطي في الهيئة عن ابي عبيد وبن ابى حاتم وبن المنذر
وابن ابى الدنيا وبن ابى الشيخ عن بن عمر رضى الله عنهما قال

الرياح

٢٥

25

الرياح ثمان اربع منها رحمة واربع عذاب **فاما** الرحمة فالناشرات والمبشرات
والمرسلات والذاريات **واما** العذاب فالعقيم والصرصر وهما
في البر والعاصف والقاصف وهما في البحر فانه معارض لما ذكرته فانه
صريح في ان ارواح العذاب مقر اثنين منها البر واثنين منها البحر
واذا ثبت ان البحر مقر اثنين منها جاز ان يكون الشمس تحركهما فيحصل
المد **قلت** لما ذكر العقيم منها ومقرها في الارض الثانية كما جاء
في الحديثين السابقين تبين ان المراد يكون بكونهن فيهما انهما
مهبهن فالبحر مهب القاصف والعاصف والبر مهب الصرصر والعقيم
وايضا القاصف والعاصف ريحا عذاب والمد ليس من اثر العذاب
وايضا لو كان المد انما يحصل منهما لهلك وعذب في كل مد خلق ممن
يركب البحر لان شانهما العذاب قال تعالى ام امنتم ان يرسل عليكم قاصفا
من الريح فيغرقكم وقال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة
وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وليس فليس
فوائد الاولى اخرج ابو داود في سننه عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله فاذا رايتموها فلا تسبوها

الرياح

واسئلوا الله خيرها واستعيذوا من شرها واخرج البخاري ومسلم والترمذي
عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت
الريح قال اللهم اني اسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به
واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به ولفظ الترمذي
كان اذا راى السحاب الثانية تسن الصلوة فرادى للريح الشديدة
كالخسوف والظلمة والفزع والزلازل والصواعق وانتثار الكواكب
والضوء الهايل بالليل والثلج والامطار الدايمة وعموم الامراض والخوف
الغالب من العدو ونحو ذلك من الافزاع والاهوال لان ذلك كله من الايات
المخوفة والله تعالى يخوف عباده ليتركوا المعاصي ويرجعوا الى طاعته التي
فيها فوزهم وخلاصهم فاقرب احوال العبد في الرجوع الى ربه الصلوة
كذا في البحر الثالثة ذكر بعضهم لكل من الرياح الاربع خاصة
فالجنوب حارة رطبة والشمال باردة يابسة والصبا
حارة يابسة والدبور باردة رطبة الوجه الثالث انا كثيرا ما
نجد المد مع سكون الرياح وكثيرا ما نرى ان زيادته مع نقصها ونقصه
مع زيادتها وكثيرا ما نراه مع الريح المخالف مهبها لمجراه كالشمال مثلا

ولو كان

26

ولو كان سببه تحريك الشمس الريح لما وجد مد بدونه ولوجب ازدياده
بازدياده ونقصه بنقصه وان لا يكون الا مع الريح الموافق مهبه
لمجراه كالتي تهب من المطلع وكل غير لازم لما ذكرناه **الوجه** الرابع لو كان
علة المد الشمس لما وجد ليلا قط واللازم باطل لانه موجود بل الغالب
ان يكون ليلا ابلغ واكثر منه نهارا **فان قلت** ان الشمس لا تفارق
فلكها لانها ثابتة فيه مركوزة كالشامة في الجسد او البرص فيه او الفص
في الخاتم فاذا غربت من وجه الارض بدورانه كانت تسير بدورانه
تحتها لان السموات محيطة بالارض احاطة البياض والقشر البيضة
بالمح الا انها اكمل استدارة لان السموات والارض كروية الشكل وكل
سماء يحك سطحها مقرع الاخرى فكما انها اذا كانت فوق الارض
توثر في تحريك الريح مع انها في الفلك الرابع ولا يحجبها تخن اجرام
السموات عن ذلك فلتوثر للطافتها فيه اذا كانت تحت الارض
واي مانع من ذلك **قلت** هذا قياس مع الفارق فان السموات انما
لا تحجب للطافتها بخلاف الارض فانها كثيفة والكثيف يحجب على ان
كل ما ذكرت من كونها لا تفارق فلكها وكونها ثابتة فيه وكون كل سطح

يحك مقعر فوقها وكون كل من في السموات والارض كروي الشكل
لا يقوم عليه دليل قاطع ولا برهان ساطع بل هو مخالف للنقل الصريح
والكشف الصحيح فهو باطل اما بطلان الاول فلما اخرج البخاري عن
ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حين
غربت الشمس اتدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب
حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد
فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث شئت
فتطلع من مغربها واخرج ايضا عنه رضي الله عنه قال سألت النبي صلى الله
عليه وسلم عن قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش
واخرج السيوطي في الهيئة عن ابي الشيخ وابن مردويه في التفسير
من حديث ابن عباس رضه انها اذا غربت رفع بها الى السماء السابعة
في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن من اين تؤمر بالطلوع
ثم ينطلق بها ما بين السماء السابعة وبين اسفل درجات الجنان في سرعة
طيران الملائكة فتنحدر حيال المشرق من سماء الى سماء الحديث وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال انها كلما غربت اتت تحت العرش

فسجدت

27

فسجدت واستأذنت في الرجوع فيؤذن لها فيه حتى اذا بدا لله ان تطلع
من مغربها وفعلت كما كانت تفعل لم يرد عليها مرةً بعد اخرى ثلاثاً
حتى اذا ذهب من الليل ما شاء الله ان يذهب وعرفت وان اذن لها
بالرّجوع لم تدرك المشرق قالت ربّ ما ابعد المشرق من لي بالناس
حتى اذا صار الافق كانّه طوق استاذنت بالرّجوع فيقال لها اطلعي
من مكانك فتطلع على الناس من مغربها واخرج السّيوطي في الهيئة
عن ابي حاتم وابي الشيخ كليهما عن عكرمة قال انّ الشمس اذا غربت
دخلت بحراً تحت العرش فتسبّح الله حتّى اذا هي صبحت استعفت ربها
من الخروج قال ولم قال اذا خرجت عُبدت من دونك قال لها اخرجي
فلا عليكِ من ذالك شيء حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ فهذه الاحاديث والآثار
دالّة على ان الشمس اذا غربت فارقت فلكها وذهبت نحو العرش
اما بواسطة الملائكة كما هو ظاهر حديث ابن عباس وامّا
بنفسها كما هو ظاهر بقيّة الاحاديث واذا ثبت انها كذلك بطل
الاول وبطل الثّاني ايضا لان مفارقتها له يدلّ على انها غير ثابتة فيه على
انّ كونها في الفلك الرابع امر غير مقطوع به فقد ذكر مرعي الحنبلي

في كتابه بهجة الناظرين وايات المستدلين ما نصه **واما** الفلك الذي فيه
فاختلفوا فيه فقال الفلكيون انه الفلك الرابع ويصل شعاعها الى العالم
السفلي لان اجرام السموات رقيقة فلا تحجب اصول النور بخلاف ما اذا
قابلها حجاب كثيف كالغيم ونحوه وذكر بعضهم ان وجهها نحو السما
وظهرها الى الارض ولولا ذلك لاحرقت الارض وقال بعضهم انها
تجري والكواكب في البحر الذي دون السماء بقدر ثلاثة فراسخ وهو موج
مكفوف قائم في الهوا باذن الله تعا لا يقطر منه قطرة والبحار كلها
ساكنة وهذا البحر يجري بسرعة السهم كانه حبل ممدود بين المشرق
والمغرب فيجري الشمس والقمر والخنس في ذلك البحر فلذلك قوله تعالى
كل في فلك يسبحون **وفي الحديث** والذي نفس محمد بيده لو بدت
الشمس من ذلك البحر لاحرقت الارض ولو بدا القمر منه لافتتن من في الارض
حتى يعبدوه من دون الله تعا الا ما شاء الله انتهى **ومما** يبطل الثاني
ايضا ما اخرجه السيوطي في الهيئة عن ابي شيبة وابن المنذر وابي الشيخ
عن سعيد ابن المسيب قال لا تطلع الشمس حتى ينخسها ثلثمائة وستون
ملكا كراهية ان تعبد من دون الله **واخرج** عن الطبراني وابي الشيخ

وابن مردويه

28

وابن مردويه عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالشمس سبعة املاك يرمونها بالثلج كل يوم ولولا ذلك ما اصابت شيئا الا احرقته **واخرج** عن ابن المنذر عن عكرمه قال ما طلعت شمس حتى يناديها سبعون الف ملك فيقال لها اطلعي فتقول كيف اطلع وانا اعبد من دون الله تعالى فيد فعها ملكان حتى تستقل ولولا برد ماء السماء لاحرقت اهل الارض من حر الشمس ولولا اصوات الروم وروميه لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب **فهذه** الاحاديث الثلاثة تدل على انها غير ثابتة بفلكها ملتصقه به دايرة بدورانه فان تحس الملائكة لها وامرهم لها بالطلوع وتوقفها عن ذلك بعد ذلك لكونها تعبد من دون الله ودفعهم لها بعد ذالك يدل على انها ليست سايرة بدورانه لكونها ثابتة فيه والا لم يكن لذلك معنى لانها حينئذٍ تكون تابعة لحركته فلا فايدة في ذلك وكذا رميهم لها بالثلج يدل على انفصالها عنه اللهم الا ان يحمل الرمي على الرش عبر به تنبيها عنه على كثرته ونكاتفه **فوايد** اختلف العلماء فيما خلقت منه الشمس فقيل من نور العرش

وقيل من نار وقيل انها ملك اجوف مملوا نارا يخرج منه هذا الوهج والشعاع
وقيل انها سحابة ممتلية نارا وقيل هي اجزاء كثيرة من نار محترقة
وقيل هو جوهر خامس زايد على العناصر الاربعة قالت الفلاسفة
هي اجتماع اجزاء نارية يدفعها البخار والصحيح الاول وقد اخرج الثعلبي
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما ابرم خلقه
فلم يبق من خلقه غير آدم خلق شمسين من نور عرشه فاما ما كان
سابق في علمه انه لا يطمسها فخلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها
واما ما كان في سابق علمه ان يطمسها ويحولها قمرا فخلقها دون الشمس في
العظم ولكن يرى صغرها من شدة ارتفاع السماء الحديث الثانية
اختلفوا في شكلها فقيل انه بمنزلة صفحة عريضة وقيل كالصفحة
المكفوفة وقيل انها كالكرة المدحرجة الثالثة اختلفوا في
مقدارها فقيل انها قدر قدم انسان وقيل انها اضعاف الارض مائة
وعشرين مرة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وستين وقيل مائة
وستة وستين مرة وربع مرة وثمن مرة وقيل مائة وسبعة وستين
مرة وثلث مرة وقيل ثلاثمائة وستة وعشرين مرة وقيل هي مثل الارض

وهو الموافق

وهو الموافق لحديث الثعلبي واخرج السيوطي عن ابي الشيخ عن ابي صالح
من طريق الكلبي عن ابن عباس ان رجلاً قال له كم طول الشمس وكم عرضها
قال تسعماية فرسخ في تسعماية فرسخ وطول الكواكب اثني عشر فرسخا
في اثني عشر فرسخا واخرج عنه عن عكرمة قال الشمس على قدر الدنيا
وزيادة ثلث والقمر على قدر الدنيا واخرج عن قتاده قال الشمس طولها
ثمانين فرسخاً وعرضها ثمانين فرسخاً الرابعة معنى غروب الشمس في
العين الحمية ليس غيبوبتها في نفس العين حقيقة وانما ذلك في رأى
العين كراكب البحر يعتقد ان الشمس قد غربت في الماء والآفاقي عين في
الارض تسع ما هو اكبر منها باضعاف مضاعفة واما بطلان الثالث
فلقوله تعالى اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ
بَيْنَهُنَّ فان اثبات البينة لهن يدل على ثبوت البعد وعدم المماسة
وقد دلت الاحاديث النبوية على ذلك والاخبار فمنها ما اخرج
السيوطي في الهيئة عن ابن راهويه في مسنده وعن ابن الشيخ
وابن البزار بسنده صحيح عن ابى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض مسير خمسماية عام وغلظ كل سماء

مسيرة خمسماية عام ومابين السماء الى التى تليها مسيرة خمسماية عام
كذلك الى السماء السابعة والارضون مثل ذلك ومابين السماء السابعة
الى العرش مثل جميع ذلك واخرج عن الامام احمد فى مسنده و
ابى داوود والترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه وابن ابى عاصم
في السنة وابى الشيخ وابى يعلى وابن خزيمة والطبرانى عن العباس
ابن عبد المطلب رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اتدرون كم بين السماء والارض قلنا الله ورسوله اعلم قال
بينهما مسيرة خمسماية عام وبين كل سماء الى سماء مسيرة خمسماية
سنة وكثف كل سماء خمسماية سنة وفوق السماء السابعة بحر بين
اعلاه واسفله كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال
بين ركبهم واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش
بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم الله فوق ذلك واخرج
عن الترمذى وابن مردوية وابن الشيخ عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت سحابة فقال
اتدرون ما هذه قالوا الله ورسوله اعلم قال هذه الغيابة هذه

زوايا الارض

زوايا الارض يسوقها الله الى اهل بلدٍ لا يعبدونه ولا يشكرونه هل تدرون
ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فانّ فوق ذلك موج مكفوف
وسقفٍ محفوظ هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم
قال فانّ فوق ذلك سماءٍ اخرى قال هل تدرون ما بينهما قالوا الله
ورسوله اعلم قال فانّ بينهما خمسماية عام حتى عدّ سبع سمواتٍ
بين كل سماءٍ مسيرة خمسماية عام ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك
قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش فهل تدرون كم
بينهما قالوا الله ورسوله اعلم قال فان بين ذلك كما بين السمائين
او كما قال ثم قال هل تدرون ما هذه هذه ارض هل تدرون ما تحتها
قالوا الله ورسوله اعلم قال ارض اخري وبينهما مسيرة خمسماية
عام حتّى عدّ سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسماية عام
واخرج عن ابي حاتم وابي الشيخ عن كعب قال ان الله خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهنّ وجعل ما بين كل سمائين كما بين السّماء والارض
وجعل كثفها مثل ذالك وجعل ما بين كل ارضين كما بين السّماء والارض
وكثف كل ارض مثل ذلك وكان العرش على الماء فرفع الماء عليه حتى

جعل عليه العرش ثم ذهب بالماء حتى جعل تحت الارض السابعة
وروي عن بن المنذر في تفسيره وعمر ابن سعيد الدارمي في كتاب
الرد على الجهمية وابن الشيخ عن بن مسعود رضى الله عنه قال ما بين السماء
والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء خمسماية عام وبصر كل
سماء وارض يعني غلظ ذلك مسيرة خمسماية عام وما بين السما
السابعة الى الكرسي مسيرة خمسماية عام وما بين الكرسي
والماء مسيرة خمسماية عام والعرش على الماء والله فوق العرش
وهو يعلم ما انتم عليه **واخرج** عن بن جرير وابن المنذر عن بن مسعود
رضى الله عنه وناس من الصحابة رضى الله عنهم قال ان الله كان عرشه
على الماء ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق
اخرج من الماء واخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما
عليه فسما سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها
فجعلها سبع ارضين في يومين الاحد والاثنين فخلق الارض على
حوت وهو الذي ذكره في قوله تعالى نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ
والحوت في الماء والماء على ظهر الصفاة والصفاة على ظهر ملك والملك

على صخرة

31

على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السما
ولا في الارض فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الارض فارسى عليها
الجبال فقرت وخلق الجبال فيها واقوات اهلها وشجرها وما ينبغ
لها في يومين الثلاثا والاربعا ثم استوى الى السماء وهي دخان
وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم
فتقها فجعلها سبع سموات في يومين يوم الخميس والجمعة
وانما سمي يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض واوحي
في كل سماء امرها قال خلق في كل سماء خلقها من الخلق والملائكة
الذي فيها من البحار والجبال البرد الذي وما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا
بالكواكب فجعلها زينة وحفظا من الشياطين انتهى **فهذه** الاحاديث
كما ترى دالة على ثبوت الفضا بين كل سماء واختها كما هو بين السماء
والارض وان مقداره مسيرة خمسماية عام فبطل القول بمماسة
كل لما فوقها **واذا** تقرر ذلك **فاعلم** انه قد ذكر في بهجة الناظرين
وايات المستدلين للشيخ مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي ما نصه وفي
حديث العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

اتدرون ما بين السماء والارض قالوا الا والله لا ندرى فقال ان بعد ما
بينهما اما واحدة او اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة اخرجه
الترمذى وفي سنن ابن ماجه ان ما بين السما والارض مسيرة ثلاث
وسبعين سنة او نحوها وكذا بين كل سماء وسماء قال بعضهم انه صحيح حديث
وهو موافق لما دل عليه علم الهيئة بان ما بين السماء والارض ثمانون سنة
مسافة كل يوم ثلاثون ميلا اذا صعدت على استواء قال فما يذكر ان بينهما
خمسماية عام لا صحة ولا دليل عليه انتهى واقول كان تضعيف هذا
البعض الذى نقله مرجح لذلك لكونه غير موافق لكلام اهل الهيئة وانت
خبير بان ذلك لا يوجب تضعيفا كما ان موافقتهم لا توجب تصحيحا
والا فقد علمت ما نقلناه عن الهيئة السنية وسمعت تصحيح البزاز
والحاكم له على ان حديث العباس بن عبد المطلب قد اخرجه الامام
وابو داود والترمذى وبن ماجة وغيرهم بان ما بين كل سماء وسماء
خمسماية عام كما سبق فينبغي ان يقال في الجواب في دفع المعارضة
انه لا مفهوم للعدد ولان التنصيص على عدد لا يدل على نفي الزايد
عليه كما فعل الفخر الرازى لما ذهب ان الافلاك تسعة فلك القمر

وفلك

32

وفلك عطارد وفلك الزهرة وفلك الشمس وفلك المريخ
وفلك المشترى وفلك زحل وفلك الكواكب الثمانية وعشرين
وفلك الاطلس عملا على الرصد مع نص القران بان السموات سبع
قال ان التنصيص على عدد السموات لا يدل على نفي الزايد تنبيه
الفوقية الثابتة لله في حديث بن مسعود وحديث العباس بن
عبد المطلب رضي الله عنهما ليست فوقية مكانا واستقرار بل فوقية
قهرا واستيلا واقتدار وكذا يجب تاويل كل ما ورد في القران والسنة
مما يوهم ظاهره الجسمية او يؤمن به على الوجه الذى اراد الشارع
منه من غير تاويل كما يفهم منه لغة وهذا هو مذهب السلف وهو
اسلم والاول مذهب الخلف وهو احكم فوايد الاولى اخرج السيوطي
في الهيئة عن بن راهويه في مسنده والطبراني في الاوسط وابن ابي
حاتم وابي الشيخ وبن المنذر عن الربيع بن انس قال السماء الدنيا
موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة
نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة
ياقوتة احمر ازاد بن ابي حاتم وما فوق ذلك صحاري من نور ولا يعلم

ما فوق ذلك الا الله وملك موكل بالحجب يقال له ميطاطروس وذكر
بعض اهل الكشف ان السماء الدنيا اشد بياضا من اللبن فعلى هذا
ما نراه من زرقتها قيل هو من خضرة جبل قاف لانه من زمردة خضرا
قال له الضحاك قال وما اصاب الناس من زمرد مما تساقط منه وقيل
ان الذي نراه هو البخار الطالع بحكم الطبيعة من يبوسة الارض ورطوبة
الماء صعد بها حرارة الشمس الى الهوا فملأت الجو الخالي بين الارض
وبين السماء ولهذا نراها تارة زرقا وتارة شمطا وتارة غبراء كل
ذلك على حكم البخار الصاعد من الارض وعلى قدر سقوط الضيا بين
ذلك البخار فهي باتصالها السماء الدنيا تسمى سما واما سماء الدنيا
نفسها فلا يقع عليها النظر لشدة البعد واللطافة ولولا ان الكواكب
يسقط شعاعها الى الارض لما شوهدت ولا رايت وكم في السماء من نجم
مضي لا يسقط شعاعه في الارض فلا نراه لبعده ولطافته وقيل
انها مخلوقة من زمردة فما نراه هو لونها وفي الهيئة السنية
اخرج ابو الشيخ بسنده واجد عن سلمان الفارسي قال سماء الدنيا
من زمرد خضرا واسمها رفيعا والثانية من فضة بيضا واسمها

ارقلون

٣٣
33

ارقلون والثالثة من ياقوتة حمرا واسمها قيدوم والرابعة من درة
بيضا واسمها ماعونا والخامسة من ذهب احمرا واسمها ديقا
والسادسة من ياقوتة صفرا واسمها دفنا والسابعة من نور واسمها
رابيا الثانية ورد في حديث المعراج انه صلى الله عليه وسلم راى
آدم في السماء الدنيا وعيسى ويحيى في الثانية ويوسف في الثالثة
وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وابراهيم في السادسة مسند
ظهره الى البيت المعمور كذا في مسلم والبخاري وموسى في السابعة
بتفضيل كلام الله تعالى صلوته وسلامه عليهم اجمعين والظاهر
ان وجود كل واحد في الفلك الذي هو فيه انما هو لمناسبة ما بينه
وبين ذلك الفلك الثالثة من فضل السماء ان الله زينها بسبعة
اشياء بالنجوم والشمس والقمر والعرش والكرسي واللوح والقلم
وجعلها قبلة للدعاء وجعل الايدي ترفع اليها وقد ذكرها
على الارض في اكثر الايات وجعل لونها اخضر وهي انفع الالوان
للبصر وتقوية له قال الاطباء ولذلك يامرون به وجميع العين ان ينظر
الى لورقة الخضراء فجعل الله اديمها ازرق نفعا للابصار وتقوية لها

ارقلون

وجعل شكلها مستديرا وهو افضل الاشكال وعن ابن عباس
في قوله تعالى والسماء ذات الحبك قال ذات البهاء والجمال وقال
الحسن ذات الخلق الحسن محبكة بالنجوم وقال ابو صالح ذات الخلق
الشديد وجعلها منزلا الابرار ومحل الصفا والطهارة والعصمة
والعباد المكرمين واما الثالث هو كون كل السموات والارض
كروي الشكل فيشتمل على ثلاث مسايل كون الارض كرة وكونها
واحدة لان القايلين بهذا وهم اهل الهيئة لم يثبتوا غير هذه الارض
التي نحن عليها وكون السموات كرة محيطة بالارض والكل باطل
اما بطلان الاولى فلقوله تعالى وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وقوله تعالى
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا اي بسطها قاله ابن عباس وغيره وعن ابن
عمر وبن عباس خلق الله الكعبة ووضعها على اربعة اركان قبل ان
يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض منها تحت البيت فان
قيل لا نسلم ان الارض بسيط واية مددناها لا تدل على بساطتها
لان الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كانت كل
قطعة منها تشاهد كالسطح والتفاوت بينهما لا يحصل الا في علم الله

قلت

٣٤
34

قلت اي ضرورة تدعوا الي القول بكونها كرة حتى ترتكب هذا التاويل
مع ان الحس مشاهد ببساطتها على ان ابن عباس وغيره من السلف
رضوان الله عليهم اجمعين اعلم بالبيان من غيرهم وقد حكوا بالبساطة
كما نقلنا واما ابطال الثانية فلقوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن ولما مر من الاحاديث الدالة على كونهن سبعا
وفي صحيح مسلم عن سعيد بن زيد انه عليه السلام قال من اقتطع شبرا
من ارض ظلما طوقه الله اياه من سبع ارضين وفي صحيح البخارى
خسف به يوم القيمة الي سبع ارضين وفي الهيئة السنية اخرج
عمر بن سعيد الدارى في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما قال لما اراد الله ان يخلق الاشياء اذا كان عرشه
على الماء واذ لا ارض ولا سماء خلق الريح فسلطها على الماء حتى
اضطربت امواجه وثار ركاما فاخرج من الماء دخانا وطينا زبدا
فامر الدخان فعلى وسما ونما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين
وخلق من الزبد الجبال انتهى فذكر الارض بلفظ الجمع يدل على تعددها
فيه ايضا واخرج ابو الشيخ عن ابو الدرداء رضى الله عنه قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم كثف الارض مسيرة خمسماية عام وكثف
الثانية مثل ذلك وما بين كل ارضين مثل ذلك واخرج ابو الشيخ
عن مجاهد في قوله تعا كانتا رتقا ففتقناهما قال من الارضين ست
فلك سبع ومن السموات ست فلك سبع واخرج ابن ابي حاتم والحاكم
عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الارضين
بين كل ارض الى التي تليها مسيرة خمسماية عام الحديث واخرج ابو
الشيخ عن الديناري قال الريح العقيم في الارض الثانية والثالثة
فيها حجارة النار والرابعة فيها عقارب النار والخامسة فيها حيات
النار والسادسة فيها كبريت النار والسابعة فيها ابليس واخرج
ابو الشيخ عن ابن عمر قال ان على الارض الرابعة وتحت الارض الثالثة
من الجن ما لو انهم ظهروا لكم لم تروا معهم نور الشمس على كل زاوية منها
خاتم من خواتم الله على كل خاتم ملك من الملائكة يبعث الله اليه
كل يوم ملكا عنده ان احتفظ بما عندك وفي بعض التواريخ انه
قيل لعيسى عليه السلام يا روح الله ما تحت هذه الارض قال بحر من ماء
قيل فما تحت البحر قال ارض قيل فما تحت الارض قال بحر ماء حتى بلغ

سبع ارضين

٣٥

سبع ارضين وسبع ابحر قيل فما تحت الارض السابعة قال صخرة مجوفة
قيل فما تحت الصخرة قال هي على منكب ملك قائم قيل فما تحت الملك
قال هو على ظهر ثور قيل فما تحت الثور قال هو قائم على ظهر حوت وقد
التقى طرفاه تحت العرش قيل فما تحت الحوت قال الماء قيل فما تحت الماء
قال الريح قال فما تحت الريح قال هواء وظلمة قيل فما تحت ذلك قال
الى هيهنا انتهى علمي وعلم العلماء **وذكر شيخنا** قدس سره ولا زال في
عافية شاملة في كتابه قصد السبيل نقلا عن بعض اهل الكشف ان سكان
الطبقة الثانية من الارض مؤمنو الجن وسكان الثالثة مشركو الجن
ليس فيها مؤمن وسكان الرابعة الشياطين على انواع كثيرة وسكان
الخامسة عفاريت الجن والشياطين وهم رجل ابليس وسكان السادسة
المردة الذين لا يتحكمون لاحد من عباد الله وهم خيل ابليس وسكان
السابعة الحيات والعقارب كامثال الجبال واعناق البخت وبعض
زبانية جهنم وهي محل ابليس انتهى **فهذه** الاحاديث والاخبار
كلها دالة على تعدد الارض وانها ليست بواحدة بل هي سبع بعضها
فوق بعض بين كل سماء وما فوقها مسافة خمسمائة عام كما صرح

ضين
به حديث عبد الله بن عمرو وحديث ابي هريرة السابق فبطل القول بحمل الار
السبع على الاقاليم السبع كما ذهب اليه بعض اهل النظر من المسلمين او بكونها
سبعًا على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقي كما ذهب اليه البعض مع انه
مخالفة الظاهر من غير ضرورة تدعوا اليه قال الشيخ الاكبر قدس سره
في الفتوحات المكية واعلم ان الله تعالى قد جعل هذه الارض بعد
ما كانت رتقًا كالجسم الواحد كما كانت السماء واحدة ففتق رتقها
وطلعها اطباق كما فعل بالسموات وجعل لكل ارض استعداد انفعال
لاثر حركة فلك من افلاك السموات وشعاع كوكبها فالارض الاولى
وهي التي نحن عليها للفلك الاول الى ان قال فلذلك قال صلى الله عليه
وسلم من غصب شبرًا من الارض طوقه الله به من سبعة ارضين
لانه اذا غصب شيئًا من الارض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوبًا
الى منتهى الارض ولو لم تكن طباقًا بعضها فوق بعض لبطل معقول هذا
الخبر وكذلك الخبر الوارد في سجود العبد على الارض طهر الله بسجدته الى
سبع ارضين قال ان السموات والارض كانتا رتقًا كل واحدة منهما
مرتوق ثم قال ففتقناهما يعني فصل بعضها عن بعض حتى تميزت كل واحدة

منهما عن صاحبتها

٣٦
36

منهما عن صاحبتها كما قال خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الظاهر
انه يريد طباقا ثم قال يتنزل الامر بينهن اى بين السموات والارض
ولو كانت واحدة لقال بينهما انتهى فان قلت اذا كانت الارض سبعا
فلم لم يات بلفظ الجمع كما جاءت السماء قلت اجيب عنه بان
السموات لما كانت اجناسا مختلفة اتى فيها بصيغة الافراد تنبيها
على ذلك والارضين لما كانت اجناسا مختلفة اتى فيها بلفظ
الجمع تنبيها على ذلك وقيل ان الارض اذا جمعت ثقل التلفظ
بها لكونها لا بد لها من تحرك الوسط بخلاف السماء فوايد اختلف
القدماء من الفلاسفة واهل الهيئة فى الموجب لسكون الارض حتى
نكون فراشا لنا ويمكننا التصرف عليها بالبنا وغيره على اقوال فقيل
لان الارض لا نهاية لها من جهة السفل فلا مهبط لها اذا قال الفخر وهذا
باطل لتناهى الاجسام وقيل الموجب لسكونها جذب الفلك لها من كل
جانب فليس بعض الجوانب اولى بجذبها من بعض فوجب وقوفها
وقيل رفع الفلك لها من كل الجوانب وقيل لان الارض بطبعها تطلب
وسط الفلك والحق ان سكونها فعل الواحد القهار والعقل لا يقع

علي جميع حكم الله في المخلوقات لحصول العجز الثانية في المسالك للبكري
ان الارض كلها مسيرها خمسماية عام ثلث عمران وثلث بحار وثلث
براري غير مسكونة وعن مكحول مسيرة ما بين اقصى الدنيا الي ادناها
مسيرة خمسماية عام مايتين في البحر ومايتان ليس ساكنها احد وثمانون
فيها امواج ياجوج وماجوج وعشرين فيها ساير الخلق وفي عيون
الاخبار لابن قتيبة الدنيا كلها اي المعمور منها اربعة وعشرين الف
فرسخ اثني عشر الفا للسودان وثمانية الاف للروم وثلاثة الاف لفارس
والف للعرب وقال قتادة الارض المعمورة هي اربعة وعشرين الف فرسخ
اثني عشر الف فرسخ للسند والهند وثمانية الاف لياجوج وماجوج
وثلاثة الاف للروم والف للعرب كذا في بهجة النفس وقال بعض
المورخين اتفق الفلاسفة وكل من عنا بمساحة الارض ان تكسير الارض
اثنان وعشرون الف فرسخ وحكي البكري عن ابي عبيد انه حكي اتفاقهم
على ان طول عمران الارض ثلاثة عشر الف ميل وخمسماية ميل وذلك
من اقصى الجزاير الست بالبحر المسمى ادفانس وهو البحر المحيط الذي لا يعلم
ما وراءه غربا الى اقصا عمران الصين شرقا وذكر بعضهم ان استدارة الارض

ستة وثلاثون

37

ستة وثلاثون درجة والدّرجة خمسة وعشرين فرسخاً والفرسخ اثنى عشر الف
ذراع والذراع اثنان واربعون صُبعًا والاصبع ست حبّات وتسعان
مصفوفة بعضها الى بعض قال الامام الفخر اتفقوا على ان جعلوا
ابتدآء العمارة من المغرب الا انهم اختلفوا في التعيين فبعضهم
ياخذه من ساحل البحر المحيط وهو بحراد فيانس وبعضهم ياخذه
من جزاير غله وهي التي تسمّى الخالدات زعم الاوايل انها كانت
عامرة في قديم الدهر قال الفخران بعد هذه الجزاير عشر جزاير
قال فليلزم على هذا وقوع الاختلاف في الانتها ايضا ولم
يوجد عرض العمارة الا بعد ستة وستّين درجة من خط الاستواء
الا ان بطليموس زعم انّ من وراء خط الاستواء عمارة الى بعد ستة
عشر درجة فيكون عرض العمارة قريبًا من الاثنين وثمانين
درجة واما مقدار سعة الارض في المراحل ففي الخريدة ان من مصر
الى اقصى المغرب نحو مائة وثمانين مرحلة واذا قطعة من القلزم
شرقي مصر الى حدّ الصّين على خطٍّ مستقيم كان مقدار تلك المسافة
نحو مائتين مرحلة فجملة ما بين اقصى المغرب الى اقصى المشرق

نحو اربعماية مرحلة هذا طول الارض واما عرضها من اقصاها في حد الشمال
الى اقصاها في حد الجنوب فمن ناحية ياجوج وماجوج الى بلغار وارض
الصقالبة نحو اربعين مرحلة ومن الارض الصقالبة الى بلاد الروم
الى الشام الى نحو ستين مرحلة ومن ارض الشام الى مصر نحو ثلثين
مرحلة ومنها الى اقصى النوبة نحو ثمانين مرحلة حتى تنتهي الى البرية
فلذلك مايتان وعشر مراحل كلها عمارة واما بين ياجوج وما
جوج الى البحر المحيط فغير معلوم وذلك لان سلوكها غير ممكن لفرط
البرد ومابين براري السودان الى البحر المحيط قفر خراب ليس فيه نبات
ولا طير ولا وحش ولا شيء من المخلوقات ولا يعلم احد مسافة هاتين
البريتين كم هي المحيط وذلك لان سلوكهما غير ممكن لفرط البرد
المانع من العمارة والحيوة في الشمال وفرط الحر المانع من ذلك
في الجنوب واما جميع ما بين الصين والمغرب فمعمور كله والبحر المحيط
محتف به كالطوق واما عدد اقاليم الارض فمذهب الفلكيين ان
الاقاليم سبعة وذكر بعضهم ان طول كل اقليم من الاقاليم تسعماية
فرسخ في مثلها فالاول فيه ارض بابل وخراسان وفارس والاهواز

وموصل

وموصل وارض الجبل وله من البروج الحمل ومن النجوم المشتري والثاني السند والهند والسودان له من البروج الجدي وزحل والثالث مكة والمدينة والحجاز واليمن له العقرب والزهرة والرابعة مصر وافريقيه والبربر والاندلس وله الجوزا وعطارد والخامس الشام والروم له الحزين وله الدلو والقمر والسادس الترك والخزر والديلم والصقالبه وله السرطان والمريخ والسابع الذبيل و صفين وله الميزان والشمس ولاهل الهيئة وغيرهم اختلاف واضطراب في تعيين هذه الاقاليم السبعة وذكر ان الاقاليم الاول اطول ايام واعدل ساعات من الثاني والثاني اعدل من الثالث ثم كذلك الى اخرها وان ماوراء السابع لا يسكن ولا يعيش فيه حيوان ولا يدخل اذا كانت الشمس في آخر الابراج الشمالية في راس السرطان وزعمت الفلاسفة ان الشموس شموس كثيرة والاقمار اقمار كثيرة ففي كل اقليم شمس وقمر ونجوم كذا في بهجة الناظرين الثالثة اختلف المفسرين اهل السماء مخلوقة قبل الارض وبعدها فذهب بن عباس الى ان الارض خلقت قبل وبه قال الزمخشري وجماعة وذهب اخرون ان السماء خلقت قبل والعادة تشهد للاول لان من يبني بيتا يبني اساسا فلم

قبل اعاليه **الرابعة** قال صاحب كشف الاسرار اختلفوا في تفضيل الارض
على السماء وعكسه والاكثرون على تفضيل الارض على السماء لان الانبياء
خلقوا منها وعبدوا الله فيها ودفنوا فيها **الخامسة** هذه الارض
العليا افضل مما تحتها لاستقرار ذرية آدم ولانتفاعنا بها ودفن الانبياء
بها وهي مهبط الوحي وغيره من الملائكة قاله في كشف الاسرار وايضا
ومما يدل عليه ما اخرجه الدارمي عن ابن عباس انه قال سيد السموات السماء
التي فيها العرش وسيد الارضين التي نحن عليها **واما** بطلان الثالثة
فلما اخرج السيوطي عن ابن ابي حاتم عن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله على عرشه وعرشه على سمواته وسمواته على ارضه هكذا وقال
باصبعيه مثل القبة **واخرج** عن ابن ابي حاتم عن السدي في قوله تعالى
والسماء بناء قال السماء على الارض كهيئة القبة وهي سقف على الارض
واخرج عن ابن جبير عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله تعالى
والسماء بناء قال سقف على الارض كهيئة القبة **واخرج** ابن ابي حاتم
عن القاسم بن ابي بزة قال ليست السماء مربعة ولكنها مقببة يراها الناس
خضرا **واخرج** عن ابي الشيخ عن اياس بن معوية قال السماء مقببة

على الارض

39

على الارض مثل القبة واخرج عن عبد بن حميد وابي الشيخ عن وهب بن
منبه قال شي من اطراف السماء محدق بالارضين والبحار كاطناب الفسطاط
واخرج عن ابي حاتم عن بن عباس قال خلق الله تعالى وراء هذه الارض بحرا
محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف الدنيا السماء مترفرفة
عليه ثم خلق من وراء ذلك الجبل ارضا مثل تلك الارض سبع مرات ثم
خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها ثم خلق وراء ذلك جبلا يقال له قاف
السماء الثانية مترفرفة عليه حتى عد سبع ارضين وسبع ابحر وسبعة
اجبال وسبع سموات قال وذلك قوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
تتمة تتعلق بما نحن بصدده نقل شيخنا قدس سره في فصل السبيل
عن الشيخ الاكبر قدس سره قال في الباب ٣٤٦ من الفتوحات المكية
بعد ما اثبت الفضا بين كل فلك فلك ما نصه ولا يعلم ذلك الا بالمشاهدة
والذين لا علم لهم يقولون ان الافلاك بحك مقعر كل فلك منها
سطح الذي تحته ولا علم لهم بان بينهم فضاء الى اخره وقال في الباب ٣١١
خلق السموات وجعلها كالقباب على الارض قبة فوق قبة كما سنوقفك
في هذا الباب على شكل وضع هذه الاجرام وجعل هذه السموات ساكنة

وخلق فيها نجوماً جعل لها في سيرها وساحتها في هذه السموات حركات
مقدّرة لا تزيد ولا تنقص وجعلها عاقلة سامعة مطيعة واوحى
في كل سماءٍ امرها الى ان قال وهي سريعة السير في جرم السماء فتخترق الهواء
المماس لها فتحدث بسيرها اصوات ونغمات مطربة لكون سيرها على
وزن معلوم قد علم بالرصد مقادير تلك الحركات الى ان قال فجعله
اصحاب الهيئة للافلاك ترتيباً جايزاً ممكناً في حكم العقل اعطاهم
ذلك علم رصد الكواكب وسيرها وتقدمها وتاخرها وبطؤها وسرعها
واضافوا ذلك الى الافلاك الدايرة بها وجعلوا الكواكب في الافلاك
كالشامات على سطح الجسم وكلما قالوه يعطي ذلك ميزان حركاتها
وان الله لو فعل ذلك كما ذكروه لكان السير بعينه ولذلك يصيبون
في علم الكشوفات فهم يصيبون بالاوزان مخطيون في ان الامر كما رتبوه
وان السموات كالاكر وان الارض في جوف هذه الاكر الى ان قال
وليس الامر الا كما ذكرنا شهوداً او كشفاً انتهى وقال المحقق مؤيد الدين
الجندي قدس سره ان الاصول المذكورة في علم الهيئة من الاوضاع
الفلكية واكرة العناصر وفي كرية السموات وكونها افلاكاً محيطات

متحركات

40

متحركات حركات دولابية على راي المتأخرين من حكماء الرسوم لا توافق
مقتضى الكشف والشرع والبراهين التى اسسوا علمهم عليها فى زعمهم
انما هى فروض وتقادير ليس شئ منها واقعة بل هى واهية وجميع براهينهم على
كروية السموات واحاطتها بمركز الارض بضعة عشر وجها كما ذكرها
الشيخ ابو ريحانة فى قانونه المسعودى اكثرها يتعلق باحاطة فلك
الثوابت ونحن قايلون بان فلك الثوابت والاطلس فلكان محيطان
فلا يرد علينا وارد واحد منها وثلاثة وجوه باقية تتعلق بغروب الشمس
والكواكب السايرة وهى ايضا مدفوعة بفرض حركة منطقة البروج و
الكواكب السايرة فيها حمايلة لا دولابية انتهى ماذكره سلمه الله فى
قصده **قلت** فلك الثوابت وفلك الاطلس فلكان محيطان بالسموات
السبع والارضين السبع والثور والصخرة والهواء والظلمة كما نسقف
عليه فى تمثيل الشيخ الاكبر قدس سره وهما المعبر عنهما بلسان اهل
الشرع بالعرش والكرسى على ما فى شرح المواقف ففلك الثوابت هو
الكرسى والفلك الاطلس هو العرش وسمى اطلسا لانه غير مكوكب
قال المحقق الشمس الفنارى رحمه الله فى المصباح عن المحقق الفرغانى

قدس سره كما نقله شيخنا قدس سره عنه في قصده ان كلا من العرش والكرسي
اعتبر صورتهما المثالية تارة بحكم المرتبة التي ظهرت الهيئة فيها
فسميا العرش والكرسي واعتبر صورتهما الجسمانية المركبة من الطول
والعرض والعمق فيسمي العرش باعتبارها فلك الافلاك والفلك
الاطلس والمحدود ويسمى الكرسي باعتبارها فلك الكواكب والمنازل
تنبيه قال الامام فخر الدين الفلك في كلام العرب كل شيء دائر وجمعه
افلاك وفيه قولان فقيل اجسام تدور عليه النجوم قاله اكثر المفسرين
وقيل انه ليس بجسم وانما هو مدار النجوم فاذا قلنا بالقول الاول
ففي كيفيته اختلاف فقيل ان الفلك موج مكفوف تجري فيه
الكواكب وقال جمهور الفلاسفة واهل الهيئة هي اجرام صلبة لا ثقيلة
ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام وانما اشبعنا القول في
هذا المقام وخرجنا عن المقصد الذي نحن بصدد بيانه لان كثيرا
من الناس بل كثيرا من فضلاء زماننا يعتقدون مذهب اهل الهيئة
غاية الاعتقاد ويعتمدون عليه غاية الاعتماد ويرتكبون التاويل
البعيد اذا سمعوا ما يخالف شربهم من نصوص الكتاب والسنة ويخبطون

خبط من به

41

خبط من به جنة ولعمري انه لا سبيل الى معرفة السموات
والارض الا بالخبر لانه غيب لا يدرك الا بالوحي
والمشاهدة والعيان لا بالقياس والتخمين والحسبان والعجب
العجيب العجاب انهم يسلمون لائمة الدين والسلف ما نقلوه
من الاحاديث وبيان الاحكام وتفاسير القران التي
لا تخفى ولا تخالف مشربهم مما له تعلق بالدين ويدينون
الله بالتعبد باقوالهم وافعالهم واذا راوا منهم ما
يخالف مذهب الحكماء والفلاسفة رفضوه وراء
ظهورهم فما مثلهم الا مثل من يؤمن ببعض الكتاب
ويكفر ببعض اعاذنا الله من مذاهب الحكماء والفلاسفة
وهذه صورة ما سبق الوعد به في كلام الشيخ الاكبر قدس
سره كما نقله عنه شيخنا سلمه الله ولا زال في عافية شاملة
قال في الفتوحات صورة الفلك المكوكب وقباب السموات
وما تستقر عليه وهي الارض والاركان الثلاثة والعمد
التي يمسك الله بها القبة والمعدن والنبات والحيوان


وهي هذه
الرشاء
الشرطين
البطين
الثريا
الدبران
الهقعة
الهنعة
الذراع
النثرة
الطرف
الجبهة
زحل
مشتري
مريخ
شمس
زهره
كاتب
قمر
ماء
هواء
ظلمة
فان قلت

42

فان قلت قد افدت واجدت في الافادة ولو بينت كيفية صورة
هذه المنازل ووقت طلوع الطالع منها والغارب والشامي منها
واليماني وانقسامها على الفصول وبينت البعد بين كل منزلة واختها
وتكلمت على الانواء لكان اكمل للفائدة قلت اما بيان كيفية
صورتها فالشرطان كوكبان نيران معترضان من الشمال الى
الجنوب بينهما اقاب قوسين وبقرب الجنوبي منهما من شرقيه
كوكب صغير بينهما قدر نصف ذراع ماخوذ من تثنية شرط وهو
العلامة لانها علامة اول الربيع واعتدال الزمان والبطين
ثلاثة كواكب خفية على هيئة مثلث متساوي الاضلاع وبينهم
وبين الشرطين قدر رمح في رؤية العين والثريا ستة كواكب
وقيل سبعة صغار مجتمعة كعنقود العنب والدبران كوكب احمر
يتربع اربع كواكب اصغر منه وهو معها كصورة الدال وسمي
دبران لاستدباره الثريا يسمي المخدع وعاري النجم والهقعة
ثلاثة كواكب خفية مجتمعة كنقطة الثا كانها لطخة سحاب
والهنعة كوكبان احدهما صغير والاخر انور منه ويتصل بهما

أنجم فتري الجمع كصورة الصولجان وقبل كناء منكوسة الراس والذراع
كوكبان نيران معترضان بين الشمال والجنوب وهو ذراع الاسد و
للاسد ذراعان مقبوضة وهي الشامية وسميت مقبوضة لانها
مقبوصة لانها تخفى عند طلوع الاسد فكانه قبضها ويقاربها
نجوم صغار تسمى الاظفار وهي اربع واحد كوكبي الذراع الشعراء
الغميضا والاخر الاحمر يسمى مرزم الذراع والشعراء شعريان احدها
الشعري العبور وهي يمانية نيرة تقطع السماء عرضا ويقابلها الشعرا
الغميضا التي هي الذراع الاسد المبسوطة وتقابل العبور وهي في
المجرة من شماليها ومن اكاذيب العرب يقولون ان سهيلا والشعرا
كانا مجتمعين في يماني المجرة فخطبه سهيل الشعر العبور فلم تتزوج
فمال عن المجرة فصار يمانيا فندمت على رده فعبرت اليه المجرة في
طلبه فلذلك سميت الشعراء العبور وبقيت الشعراء الغميضا
في الجانب الشمالي فبكت لفراق اختها فغمضت عيناها فصارت
اقل نورا من العبور ويقال الغميضا والعميصا بالمعجمة والمهملة
والنثرة وهي كواكب صغار مجتمعة سحابية كانها لطخة غيم

والطرف

43

والطرف كوكبان معترضان من الجنوب الى الشمال سمي بذلك لانهما عيني
الاسد وقدامهما كوكب صغار تسمى الاشفار والجبهة اربعة كواكب على
اثر الطرف كالنعش الا ان فيها اعوجاج وهي معترضة بين الشمال والجنوب
والجنوبيان منهما احمران والزبرة كوكبان نيران معترضان بين الشمال والجنوب
والصرفة كوكب ابيض نير عنده كواكب صغار وتسمى الصرفة لانصراف
الحر عند طلوعه بالعشا والعوا هي خمسة كواكب متقاربة الاقدار متباينة
الابعاد ثلثة منها مصطفة واثنان في المغرب الى المشرق كهيئة لام
قد كتبت باليد اليسرى والسماك كوكب نير في الجنوب منه اربعة كواكب
كمربع فيه انحراف ويسمى عرش السماك ويسما ايضا الخبا ويسمى سماكا لانه
مرتفع سامك وهو الاعزل ويسمى الاعزل لخلوه عما خطر لسميه من هيئة
السلاح فان الاعزل الرجل الذي لاسلاح معه والسماك الرامح كوكب
نيرا في الشمال بين يديه كوكب صغير يقال له رمح السماك ولله در القايل شعرا

لا تطلبن بغير حظ رتبة ⁝ قلم البليغ بغير خط معزل
سكن السما كان السماء كلاهما ⁝ هذا له رمح وهذا اعزل

وهو الحد بين النجوم الشمالية والجنوبية لقربه من مطلع الاستواء فما كان

والطرف

مطلعه فوق السّماك الاعزل فهو شمالى وما كان تحته فهو جنوبى والغفر
ثلثة كواكب معترضة من الجنوب الي الشّمال على خط فيه تقوس بسبب بروز
الاوسط منها عن الاستواء الخط على جهة الغرب وهي خفية وانورها
الاوسط والزبانا كوكبان صغيران في الشمال والجنوب بينهما
قدر رمح والاكليل ثلاث كواكب محر نيّر لماع بين كوكبين شرقي
وغربّي والشّولة كوكبان صغيران متقاربان بينهما قدر فتر في
راى العين والنّعايم ثمانية كواكب اربعة منها في المجرّه وتسمّى
النّعايم الصّادرة وكانّها هذه قد صدرت من الماء ووردت
تلك لتروى من المجرة لان المجرة عند العرب مشبهة بالنّهر
والبلدة رقعة في السّماء ليس فيها كواكب وسمّيت ايضا المفازة
وهي خلف القلادة والقلادة ستة كواكب ثالثة شمالية وثلثة
جنوبيّة صورة دايرة غير تامة الاستدارة تشبه بالقوس حيا
ولهن كوكب يقال له سهم الرامى وهو عصى الرّاعى وسعد الذابح
كوكبان معترضان من الشّمال الى الجنوب بينهما قدر باع وليسا
بالنيرين بل الشمالى منها كوكب صغير وسعد بلع ثلاثة كواكب

معترضة

44

معرضة بين الشمال والجنوب على خط فيه تقويس جذبته الى المغرب
واوسطها اخفاها **وسعد السعود** ثلاثة كواكب على خط فيه
تقويس بين الشمال والجنوب جذبته الى الغرب والشمالي انور من اخويه
وسمي بذلك لانه يتيمن اقبال الربيع وانكسار حر البرد وتليين الزمان
وسعد الاخبية اربعة كواكب ثلاثة منها على شكل مثلث والرابع فى
وسطه **والفرغ** المقدم بالعين المعجمة كوكبان نيران معترضان بين الشمال
والجنوب بينهما قدر رمح **والمؤخر** مثله والاربعة على صورة مربع
متساوي الاضلاع **والرشا** وهو بطن الحوت كوكب احمر من جملة كواكب
السمكة وتسمى قلب الحوت عليه كواكب خفية احاطة بصور سمكة
واما بيان طلوعها فاعلم ان المنازل لما كانت ثمانية وعشرين كانت
ثلثة عشر منها ظاهرة في الافق الاعلى وثلثة عشر في الافق الاسفل
والطالع في حكم الطلوع والغارب في حكم الغروب فاذا عرف الطالع
كان رقيبه الخامس عشر وانما سمي الغارب رقيبا تشبيها له برقيب
يرصد ليسقط من المغرب اذا ظهر ذالك من المشرق والطالع والغارب
كما يعدان لاهل الافق الاعلى كذالك يعدان لاهل الافق الاسفل

معترضة

وبقية الثلاثة عشر الظاهرة واحدا متوسط في خط وسط السماء وستة
منها الي جهة المشرق وستة الي المغرب وكذلك الثلاثة عشر السفلية
فاذا غربت منزلة طلعت من المشرق اخري فيتوسط ما بعد المتوسط
في العدد ومهما كان الطالع فالغارب الخامس عشر والثامن منه
متوسط فاذا عرفت هذا فاعلم ان الشرطين يطلع مع الفجر في اربع
عشر نيسان ويتوسط سعد الذابح ويغرب العقرب وتكون الزبره قبله
وقت المغرب والبطين يطلع مع الفجر في سابع ايار ويتوسط سعد
بلع وتغرب الزبانا وتكون الصرفة قبلة وقت صلوة المغرب والثريا
تطلع مع الفجر في عاشر ايار ويتوسط سعد السعود ويغرب الاكليل وتكون
العواء قبلة وقت صلوة المغرب والدبران يطلع مع الفجر في ثاني حزيران
ويتوسط سعد الاخبية ويغرب القلب ويكون السماك قبلة
وقت المغرب والهقعة تطلع مع الفجر في خامس حزيران ويتوسط
الفرغ المقدم وتغرب الشولة وتكون الغفر قبلة وقت المغرب والهنعة
تطلع مع الفجر والذراع يطلع مع الفجر في حادي عشر من تموز و
يتوسط الرشا وتغرب البلدة ويكون الاكليل قبلة وقت المغرب

والنثرة

45

والنثرة تطلع مع الفجر رابع عشر من تموز ويتوسط السرطان ويغرب
سعد الذابح ويكون القلب قبلة وقت المغرب والطرف يطلع مع الفجر في
سادس آب ويتوسط البطين ويغرب سعد بلع وتكون الشولة قبالة
وقت المغرب والجبهة تطلع مع الفجر في تاسع عشر من آب ويتوسط الثريا
ويغرب سعد السعود وتكون النعايم قبله وقت المغرب والزبرة تطلع
مع الفجر ثاني ايلول ويتوسط الدبران ويغرب سعد الاخبيه وتكون
البلدة قباله وقت المغرب والصرفه تطلع مع الفجر خامس عشر ايلول
ويتوسط الهقعة ويغرب الفرغ المقدم ويكون سعد الذابح قبلة وقت المغرب
والعوا تطلع مع الفجر في ثامن عشر ايلول ويتوسط الهقعة ويغرب
الفرغ الموخر ويكون سعد بلع قبلة وقت المغرب والسماك يطلع مع الفجر
في حادي عشر تشرين الاول ويتوسط الذراع ويغرب بطن الحوت
ويكون سعد السعود قبلة وقت المغرب والغفر يطلع مع الفجر في
اربع عشر تشرين الاول ويتوسط النثرة ويغرب السرطان ويكون
سعد الاخبية قبلة وقت المغرب والزبانا تطلع مع الفجر في سادس
تشرين الثاني ويتوسط الطرف ويغرب البطين ويكون فرغ الدلو المقدم

قبلة وقت المغرب **والاكليل** يطلع مع الفجر في تاسع عشر تشرين ويتوسط
الجبهة ويغرب الثريا ويكون فرغ الدلو المؤخر قبلة وقت المغرب **والقلب**
يطلع مع الفجر في خامس عشر كانون الاول ويتوسط الزبرة ويغرب
الدبران وحينئذٍ يكون الرشا قبله وقت المغرب **والشولة** تطلع مع
الفجر في خامس عشر كانون الاول ويتوسط الصرفة ويغرب الهقعة ويكون
السرطان قبلة وقت المغرب **والنعايم** تطلع مع الفجر في ثاني عشر كانون
الاول ويتوسط العوا ويغرب الهنعة ويكون البطين قبلة وقت المغرب
والبلدة تطلع مع الفجر في عاشر كانون الثاني ويتوسط السماك
ويغرب الذراع وتكون الثريا قبلة وقت المغرب **وسعد الذابح** يطلع مع الفجر
في ثالث عشرين كانون الثاني ويتوسط الغفر وتغرب النثرة ويكون الدبران
قبلة المغرب **وسعد بلع** يطلع مع الفجر في خامس شباط ويتوسط الزبانا ويغرب
الطرف وتكون الهقعة قبلة وقت المغرب **وسعد السعود** يطلع مع الفجر ثامن
عشر شباط ويتوسط الاكليل وتغرب الجبهة وتكون الهقعة قبلة وقت
المغرب **وسعد الاخبية** يطلع مع الفجر في ثالث اذار ويتوسط القلب الزبرة
ويكون الذراع قبلة وقت المغرب **والفرغ** المقدم يطلع مع الفجر في

سادس

46

سادس عشر اذار ويتوسط الشوله وتغرب الصرفة وتكون النثرة قبلة
وقت المغرب والفرغ الموخر يطلع مع الفجر في الثلاثين من اذار و
يتوسط النعايم وتغرب العوا ويكون الطرف قبلة وقت المغرب
والرشا يطلع مع الفجر في حادي عشر نيسان ويتوسط البلدة و
يغرب السماك وتكون الجبهة قبلة وقت المغرب واعلم ان هذه المنازل
تنقسم علي البروج الاثني عشر فيحصل لكل برج منها منزلتين وثلث
والقمر ينزل كل منزل منها ليلة ويسير سيرًا من غير توقف ويستتر
ليلتين من الشهر ان كان تامًا وليلة ان كان ناقصًا فاذا قطعها
دق وتقوس وذلك معنى قوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد
كالعرجون القديم واما بيان الشامي واليماني فاعلم ان هذه
المنازل تنقسم الى شامي ويماني وان شيت قلت شامي وجنوبي
فالشامية من الشرطين الى السماك واليمانية من الغفر الى بطن الحوت
واما انقسامها علي الفصول فاعلم ان لكل فصل من فصول السنة
سبع منازل فللربيع من الشرطين الي الذراع وللصيف من النثرة
الى السماك وللخريف من الغفر الى البلدة وللشتا من الذابح الي الرشا واما

بيان البعد بين هذه المنازل فاعلم ان البعد من الشرطين الى البطين اثنى عشر
درجة ومن البطين الى الثريا ثلاثة عشر درجة ومن الثريا الى الدبران خمس عشر
درجة ومن الدبران الى الهقعة اربع عشر درجة ومن الهقعة الى الهنعة
ستة عشر درجة ومن الهنعة الى الذراع ومن الذراع الى النثرة ثلاثة عشر
درجة ومن الطرف الى الجبهة عشر درج ومن الجبهة الى الزبرة اربع عشر
درجة ومن الزبرة الى الصرفة ثلاثة عشر درجة ومن الصرفة الى العواء
ست عشر درجة ومن العواء الى السماك اثنا عشر درجة ومن السماك
الى الغفر مثل ذلك ومن الغفر الى الزبانا مثل ذلك وتسمى هذه متساوية
الابعاد ومن الزبانا الى الاكليل اربع عشر درجة ومن الاكليل الى
القلب خمس عشر درج ومن القلب الى الشولة ست عشر درجة ومن الشولة
الى النعايم عشرون درجة ومن النعايم الى البلدة تسع درجات وهو
اوسط الابعاد ومن البلدة الى سعد الذابح احدى عشر درجة ومن الذابح
الى سعد بلع عشر درجات ومن سعد بلع الى سعد السعود مثل ذلك
ومنه الى سعد الاخبية كذلك ومنه الفرغ المقدم كذلك وهذه الاربعة
متساوية الابعاد ومنه الى الفرغ المؤخر تسع عشر درجة ومنه الى

بطن الحوت

47

بطن الحوت عشر درجات ومن بطن الحوت الي الشرطين ست عشر درجة
واما بيان الانواء فاعلم ان العرب قسمة المنازل على سبعة
اقسام بالنسبة الى انوائها والنوء عبارة عن سقوط النجم في الغرب
مع وقت الفجر فالاول من الانواء البدري وهي تسعة وثلثون يوما
من سبعة ايام خلون من ايلون الى ثمانية عشر خلون من تشرين الاول
ونوء سقوط الفرغ المقدم والمؤخر والحوت والثاني الوهي وهو
اثنان وخمسون يوما ومبداه من ثلاثة عشر يوما بقين من تشرين الاول
الى تسعة ايام تمضي من كانون الاول ونوء سقوط الشرطين والبطين
والثريا والدبران الثالث الولا وهو ماية وثلاثون يوما ومبداءه
من تسعة ايام تمضي من كانون الاول الى ثمانية عشر تمضي من نيسان
ونوء سقوط الهقعه والهنعة والذراع والنثر والطرف والجبهة
والزبرة والصرفة والعوا والسماك الرابع العمر والمذ وهما متداخلان
وهما اثنان وخمسون يوما من ثمانية عشر من نيسان الى تسعة
ايام تمضي من حزيران ونوء سقوط الغفر والزبانا والاكليل والقلب
الخامس النهري وهو ستة وعشرون يوما ومبداه من تسعة

بطن الحوت

ايام تمضى من حزيران الى خمسة ايام تمضى من تموز وتسمية العامة النفاخ
لانه يكبر فيه البلح فيصير بسرا وكذلك الفواكه والسمك ونوؤه سقوط
الشولة والنعايم السادس بارح القيض وهو السموم الشديد وتسميه
العامة الطبوخ لانه يطبخ البسر الذى ينحر البهوى فيصير رطبا
وكذا الفاكهة كالتين والاجاص والعنب وما اشبهه وهو تسع وثلاثون
يوما ومبداه من خمسة ايام مضين من تموز الى ثلاثة وعشرين يوما
تخلوا من آب ونوءه سقوط البلدة وسعد الذابح وسعد بلع السابع
احراق الهوى وهو تسعة وعشرون يوما من ثلاثة عشر يوما من آب
الى ثلاثة ايام من ايلول ونوءه سقوط سعد السعود وسعد الاخبية
تنبيه ذكر في تدبير الازمنة ان مزاج الربيع حار رطب وطبيعة
الدم يصلح فيه الاسواغ بالقى والفصد والحجامة والجماع والاسهال
والختان والاعتماد على الاغذية المعتدلة كالفرايج والبيض النيم برشت
ولبن الماعز والضان والصيف حار يابس وطبيعته المرة الصفرا يتوقى
فيه كل حار يابس ويوكل فيه كل بارد رطب ويقلل فيه اللبث في الحمام والحركة
والجماع واجود ما كان القى من ايام السنة فيه والخريف بارد يابس

وطبيعة

48

وطبيعة المرة السودا ينوفي فيه البارد اليابس ويوكل فيه كل حار رطب كطبيخ
الحنطة ويستعمل الادهان المرطبه ويجتنب اخراج الدم الا في الضرورة
والقي فانه ينثر الحمى **والشتا** بارد رطب وطبيعة البلغم يستعمل فيه
الاغذية الحارة كالعصافير والجزر واللحوم الوحشية والحركة والاجماع
والاستحمام ويجتنب فيه الاسهال **الحاق** واذا قد تعرضنا لبيان هذه
المنازل فلا باس بالكلام على البروج الاثني عشر تتميما للفائدة **فنقول**
وبالله التوفيق البروج هي مقادير معينة في الفلك الاطلس كما ان المنازل
مقادير معينة في الفلك المكوكب كذا ذكره الشيخ الاكبر في الفتوحات
وهي اثنا عشر برجا **الحمل** الثور **الجوزا** السرطان **الاسد** السنبلة
الميزان العقرب **القوس** الجدي **الدلو** الحوت قال
البغوي في تفسير قوله تعا ولقد جعلنا في السماء بروجا من سورة **الحجر**
قال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا
لظهورها **وقال** عطية العوفي اى قصورا فيها الحرس كما قال تعالى ولو كنتم
في بروج مشيدة **وقال** عطا عن ابن عباس هي البروج الاثنى عشر
التى هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل الى اخره فالحمل

والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزا والسنبلة
بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت
بيتا المشترى والجدي والدلو بيتا زحل قال البيضاوي في
تفسير قوله تعا والسماء ذات البروج اعني البروج الاثني عشر شبهت
بالقصور لانها ينزلها السيارات ويكون فيها الثوابت ومنازل
القمر وعظام الكواكب سميت بروجا لظهورها انتهى ومعنى نزول
القمر والشمس وغيرها ودخولها فيها مسامتتها لنقطها فمعنى دخول
الشمس برج الحمل مسامتتها لنقطة الحمل لانها تحلها لما علمت انها
مقادير في الفلك الاطلس فاما الشمس فانها تقطعها في ثلثماية
وخمس وستين يوما وربع يوم الاجزا من ثلثماية جزء من يوم
فتقطع الحمل باحد وثلاثين يوما وتقطع الثور باحد وثلاثين
يوما وتقطع الجوزاء باثنين وثلاثين يوما وتقطع السرطان
باحد وثلاثين يوما وتقطع الاسد باحدى وثلاثون يوما
وتقطع السنبله باحد وثلاثون يوما وتقطع الميزان ثلاثين
يوما وتقطع العقرب ثلاثين يوما وتقطع القوس بتسعة

وتقطع

وعشرين يوما

وعشرين يومًا وتقطع الجدى بتسعة وعشرين يومًا وتقطع
الدّلو بثلاثين يوما وتقطع الحوت بثلاثين يومًا فخمسة منها
تقطع كل واحد منها باحد وثلاثين يومًا وهي الحمل والثور والسرطان
والاسد والسنبلة واربعة تقطعها ثلاثين ثلاثين وهي الميزان
والعقرب والدلو والحوت واثنان تقطع كل واحد بتسعة وعشرين
وهما الجدى والقوس وواحد وهو الجوزاء يقطعه باثنين وثلاثين
والحاصل انها تقطع النّصف الاول باحد وثلاثين احد وثلاثين
الّا الجوزا فانّها تقطعها باثنين وثلاثين وتقطع النصف الثّانى
بثلاثين ثلاثين الا القوس والجدى فانها تقطعهما بتسعة وعشرين
واما القمر فانه يقطعها في كل شهر وذلك لان فلكه لما كان اصغر و
اضيق من فلك الشمس كانت مسافته لنقطة كل اسرع من مسافة
الشّمس لها فالشمس تحل اوّل البروج وهو الحمل يوم الحادى عشر من اذار
وتبقى احد وثلاثين يوما وبعد مضى ذلك من دخولها وهو الحادي عشر
من نيسان تتحوّل الي برج الثور وهكذا في كل برج تبقى المقدار الذى قلنا
انها تقطعة فيه ثم تتحول منه الي غيره فاذا عرفت مبداء دخولها

في برج الحمل وضبطت ذلك لم يشكل عليك في اي برج هي واما القمر
لمعرفة كونه في اي برج هو طرق ايسرها حساب الراعي وبيانه انك تنظر
كم مضي من الشهر العربي من يوم فتضيف اليه مثله ثم تضيف الى
المجموع خمسة وتنظر الى الشمس في اي برج هي من البروج الاثنى عشر وتطرح
منه لكل برج خمسة فحيث انتهى العدد كان القمر في ذالك البروج فان
كان الماضي من الشهر ستة تضيف اليها مثلها فتصير اثني عشر ثم
تضيف اليه خمسة فتكون سبعة عشر فاذا كانت الشمس في الحمل
مثلاً كان القمر في سرطان وعلى هذا فقس لكن ينبغي التقريب لحسن
النظر مثلاً اذا كان الماضي من الشهر خمسة فان المجتمع من الحساب
يكون خمسة عشر فاذا كانت الشمس في اخر البروج التي هي فيه تعلم قطعاً
ان القمر ليس في الثالث بل في الرابع واذا كانت الشمس في اول برج كان القمر في
آخر برجه ولو كان الماضي من الشهر ستة وكانت الشمس في اول برجها
كان القمر في اول الرابع **واعلم** ان هذه البروج تنقسم الى منقلب وثابت
ومجد فهي تدور على هذه الادوار فالاول منقلب والثاني ثابت والثالث
مجد والرابع منقلب والخامس ثابت والسادس مجد وهكذا فهي منقلب

ثابت

50

ثابت مجد الي الاخر فالمنقلب الحمل والسرطان والميزان والجدى والثابت
الثور والاسد والعقرب والدلو والمجد الجوزا والسنبلة والقوس
والحوت والمنقلب يحسبونه للذى لا يرجى دوامه كالسفر ولبس الثابت
الجدد والثابت لما يرجى دوامه كالمنقلب الي لساكن التى يريدون
الاقامة بها والبنا ووضع الاساسات والمجد على الاوسط من ذلك
كالتزويج والشركة وتنقسم باعتبار اخر الى نارى وترابى وهوائى ومائى
فالاول نارى والثانى ترابى والثالث هوائي والرابع ماوى والخامس
ناري والسادس ترابي والسابع رياحى وهكذا فالنارى منها الحمل
والاسد والقوس والترابي الثور والسنبلة والجدى والهوائي منها الجوزا
والميزان والدلو والماوى منها السرطان والعقرب والحوت فالنارى يصلح
فيه اخراج الدم كالحجامة والفصادة والترابى يصلح فيه مثل الزرع
والبناء والهوائي يصلح فيه ما يصلح فى الترابى والماوى يصلح فيه مثل
سفر البحر والاسهال ويتوقى فيه الفصادة حذرا من تعفن الجرح ووطوء
الدمالة قال بطليموس لا ينبغى الفصد فى عضو والقمر دليل ذلك العضو
فالحمل دليل الراس والثور دليل العنق والجوزا دليل البدن والسرطان دليل الصدر

والاسد دليل القلب والمعدة والسنبلة دليل السرة وما حولها وقيل
ان الميزان دليل الكلا وما حولها والعقرب دليل الانثيين والمذاكير
والقوس دليل الفخذين والجدى دليل الركبتين والدلو دليل الساقين والحوت
دليل القدمين فلا يجوز الفصد لا الحجامة في عضو من هذه الاعضاء
اذا كان القمر موضعها لانه بارد رطب فيتأثر ذلك العضو بالرطوبة
فيخشى عليه من التعفن **ارشاد** قد ورد النهي عن تعليم النجوم حذرا من
اعتقاد تاثيرها فاياك وان تعتقد ان لها تاثير في موجود فان ذلك
كفر وكذا يحرم الاعتماد على ما تقوله العرب في الانواء فانهم يقولون
امطرنا بنوء كذا ويريدون ان النوء له تاثير في ايجاد المطر وذلك يحوز
لانه لا تاثير في شيء ما الا الله تعالى **وقد ورد** عنه صلى الله عليه وسلم
قال ربكم من عبادي مؤمن بي وكافر بالكواكب ومن عبادي كافر بي
ومؤمن بالكواكب فاما من قال امطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن
بي وكافر بالكواكب واما من قال امطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر
بي ومؤمن بالكواكب وقال صلى الله عليه وسلم ما انزل الله من السماء من بركة
الا اصبح فريق من الناس بها كافرون ينزل الله الغيث فيقولون امطرنا بنوء كذا

فان قلت

٥١

فان قلت ما تشرين ونيسان وكانون واذار قلت هي شهور رومية
وانما جعلوا مدار العمل عليها لانها اقل اضطرابا من غيرها قال في بزوغ
الاستهلال فيما يتعلق بالشهر والهلال للعلامة المرشدي رحمه الله
اما اشهر الرومية فهي اشهر سنى التاريخ الرومي المسمى بالسرياني ايضا
وهو تاريخ الاسكندر الثاني المعروف بالاسكندر المقدوني اليوناني
ومبدؤه يوم الاثنين اول السنة السابعة من ملكه حين خرج من
مقدونية وسار في الارض وبلغ من معمورها ما بلغ وذلك من بعد
موت الاسكندر بن فيلفوس الرومي الذي هو الاسكندر الاول باثنى عشر سنة
شمسية وهو اقدم من العربي بايام عدتها ٣٤٠٠ ١ هو عبارة عن
ثلثماية الف يوم واربعين الف يوم وسبعماية يوم ونظم ذلك بعضهم
فقال اني اقول لسريان اذا سبقوا : تاريخنا العربي مهلا فسبقكمو
صفر وصفر وزاي ثم صفركم : والدال والجيم في الاعداد ينتظم
واقدم من القبطي بايام عدتها ٢١٧٢٩١ وهي عبارة عن ماتي الف يوم
وسبعة عشر الف يوم وماتي يوم واحدى وتسعين يوم ونظم
ذلك بعضهم وقال للروم تاريخا واسبقا على

قبط بأيام انت لك تحسب ؛ الف وطاء ثم باء بعده هـا

زاى كذا الف وباء تكتب ؛ فعلى هذا يكون مبداء التاريخ القبطى موافقًا

لتاسع عشر اب الرومى وقال فيها قبل هذا بيسير واما الروم فانهم

جعلوا شهورهم على مدار الشمس وحركاتها مختلفة فى ارباع السنة

فبعضها اكثر ايامًا من البعض على ما تعلقت به الارصاد القديمة والحديثة

ولهذا جعلوا بعض الشهور ثلثين وبعضها احدى وثلثين وبعضها

ثمانية وعشرين فاعطوا لكل شهر ما يستحقه حتى صار مجموع ايام سنتهم

ثلثماية وخمسة وستين يومًا وربع يوم الا جزاء من ثلثماية جزء من يوم

لان في هذه المدة تقطع الشمس دائرة الفلك وهذا فى البسيطة من سنتهم

واما الكبيسة منها فهى ثلثماية وستة وستين يومًا وذلك لان

شباط عندهم كما سيأتى ثمانية وعشرين يومًا وربع يوم غير انهم

يجعلون ثلاث سنين كل سنة ثمانية وعشرين يومًا وفى السنة الرابعة

تسعة وعشرين يومًا وهم يتمنون بالعام التى تكبس فيه السنة حتى

يتفالون بمن يولد او يقدم فيه انتهى فمهما مضت ثلاث سنين فالرابعة

كبيسة **وهي تشرين الاول** بفتح المثناة الفوقية وسكون المعجمة

وكسر المهملة

٥٢

52

وكسر المهملة وسكون التحتية وبالنون في اخره على وزن تشرين هكذا
اشتهر ضبطه على الالسنة وفي هذه الشهور تكون الرياح مختلفة
وتتحرك نسائم السحر وتزيد الحرارة الغريزية في البدن والاغذية فيه
كل حار رطب معتدل والحلاوة والرمان الحلو والحامض والجماع يفيد
البدن واياك من الجوع ومن الفواكه المختلفة وافراط الجلوس في الحمام فانه
مضر وهو واحد وثلثون يومًا في اليوم الاول منه تهيج ريح الصبا
واكليل السنة السريانية وفي الثاني منه اخر مد النيل وفي الثالث منه
دير الثعالب وفي الرابع منه شرف زحل وذهاب الحر وفي الخامس عيد
كنيسة القمامة ببيت المقدس يزعمون ان نارًا تنزل من السما وتشعل الشمع
هناك وقيل ان عيد القمامة في يوم الثامن وفي السابع منه عيد الباراك
وتوسط سهيل مع الفجر وفي الثامن منه عيد القمامة بالقدس الشريف
وفي التاسع منه توسط اليمامة مع الفجر وفي العاشر نزول كبش اسمعيل
وفي الثالث عشر تغور المياه ويقوم السوق باذرعات ويضطرب
البحر وقيل ان اضطراب البحر وغور الماء في الرابع عشر تحويل الشمس الى برج
العقرب وفي الخامس عشر يبرد الزمان ويكثر الرياح ويصرم النخل واذا قطع

منه خشب لم يبخر ولم يتسوس وقيل ان قطع الشجر في اليوم السادس عشر
وفي السابع عشر يكره الفصد وفي الثامن عشر منه ينقص نيل ويترك
المسهل وقيل ان نقص النيل في التاسع عشر وفي الحادي والعشرين منه
يزرع على نيل مصر وفي الثالث والعشرين منه يعتدل الهوا بالبرد وينقطع
اوان شرب الدوا وفي الرابع والعشرين منه يدخل الجاموس بيوتهم
وفي الخامس والعشرين غاية قوة فصل الخريف وفي السادس والعشرين
منه بدو الزرع بالشام وذكر ان رأس يحيى بن زكريا عليه السلام وضع
في القبر وفي السابع والعشرين يوم قاسم كوني وفي التاسع والعشرين
طلوع الغفر نوء والشرطين وفي الثلاثين منه تذهب الحداة والرخم
والخطاطيف للغور ويسكن النمل بطن الارض **وتشرين الثاني**
وفيه تشتد البرد يوما فيوما والحرارة الغريزية تتمكن في باطن البدن والا
غذية فيه هريسة ولحم الشوي وكراع الغنم وكل طعام طبعه حار والحذر
من الماء البارد وكل ما طبعه بارد والفصد والحجامة فيه مضران وهو ثلثون يوما
في اليوم الاول منه تهب الجنوب ويهيج البحر وفي الثاني منه ينقطع سفر البحر
وفي الثالث منه اول المطر الوسمي وفي الرابع يستقر الحشرات تحت الارض

وفي الخامس

53

وفي الخامس منه تختفي الهوام وفي السادس قيل تهب رياح الجنوب الصفا
والسابع لقط الزيتون بالشام ويكثر الغيوم ويضطرب البحر وتكثر امواج
البحر ولا تجري فيه جارية وقيل ان لقط الزيتون بالثامن. وفي الثامن منه
غليان البحر وقيل ان غليانه في السابع وفي التاسع منه اول المدود
وفي العاشر نزول المياه في اسافل الشجر وفي الحادي عشر تختفي الهوام
وفي الثالث عشر منه ابتداء اضطراب بحر فارس فان قطع في هذا
اليوم خشب لا تقع فيه الارضة ولا السوس وتحول الشمس فيه الى برج
القوس وفي الرابع عشر صوم الميلاد وهو اربعون يومًا وابتداء البرد
وفي الثامن عشر يغلق البحر على المسافر وفي العشرين منه تموت
كل دابة لا عظم فيها وعيد دخول السيده للهيكل وفي الحادي والعشرين
يكره شرب الماء عند النوم وفي الثاني والعشرين منه اشتداد
امواج البحر وتغيب الثريا وفي الثالث والعشرين هبوب العواصف
وفي الرابع والعشرين تهب الرياح الشمالية ويسقط الورق وفي السابع
والعشرين امتزاج الفصلين وكانون الاول وهذا الشهر طبعه
كالشهر الاول وفي السادس منه اكل الحلويات ويأكل ما فيه حموضة

ولا من لحم البقر ويكن فيه حلق شعر الراس والبدن وهو احد وثلاثون يوما
في اليوم الاول منه يقوم فيه سوق توما بدمشق ويغرس قصب البان وفي
الثاني منه يدخل النمل الى حجرة وفي الرابع منه عيد بربارة وفي الخامس
طلوع القلب ونوء الدبران وفي التاسع تعمى الحيات وفي الحادي عشر
منه قيام سوق الاردن واخر فصل الخريف وفي الثاني عشر منه بدو زيادة
النهار واول الاربعينية وتحول الشمس الى برج الجدى وفي الثالث عشر
يسخن بطن الارض وفي الرابع عشر منه قبل اول الاربعينيات وفي الخامس
عشر تغرس الاشجار وفي السابع عشر منه ينهى عن تناول لحم البقر والاترنج
وشرب الماء عند النوم والحجامة وطلي النورة ويسمون هذا اليوم الميلاد
الاكبر يعنون به الانقلاب الشتوي ويقولون ان فيه يخرج النور من حد
النقصان الى حد الزيادة وتاخذ الانس في النشو والنما والجن في الذبول
والفنا وفي الثامن عشر طلوع الشولة ونوء الهقعة وفي التاسع
عشر منه قيل يكون غاية طول الليل وقصر النهار وفي العشرين يكسر
قصب السكر وفي الحادي والعشرين قطع الخشب المبلغ وفي الثاني
والعشرين منه يمطر الثلج وفي الثالث والعشرين منه تنتهي زيادة النيل

وبكثر الانداء

٥٤

54

ويكثر الانداء وترجع حرارة الارض الى باطنها وتسقط ورق الاشجار
وفي الرابع والعشرين فار التنور بالكوفة وفي الخامس والعشرين عيد
ميلاد المسيح عليه السلام وفي السادس والعشرين اخو الميلاد وميلاد
يعقوب وداود عليهما السلام وفي الثامن والعشرين منه ينتهي عن شرب
الماء عند النوم ويزعمون ان الجن تتقيا بالماء حينئذٍ فمن شرب منه
يغلب عليه البله ويورث الصرع والجنون فيجب ان لا يترك الماء
مكشوف وقيل ان ذلك في التاسع والعشرين وفي التاسع والعشرين
طلوع النعايم ونوء الهنعة **كانون الثاني** وهو ثاني شهر من فصول
الشتا وفيه يزيد البلغم في البدن ويجب ان ياكل فيه شيئاً قليلاً دون
الشبع ويتجرع فيه من الماء السخن والجماع ويزيد في الباءة والحذر فيه
اللبن والسمك وهو احد وثلاثون يوماً في اليوم الاول منه يرجى فيه
المطر وفيه القلنداس لاهل الشام يوقدون في هذه الليلة نيران عظيمة
وكذلك في ساير بلاد النصارى سيما انطاكية فانها اول مدينة بنت
منها الملة النصرانية وفي الثانية منه اوان قطع الخشب فيه [illegible] اذا
قطع الخشب فيه لم يجف وفي الخامس صوم الذبح وليلة الغطاس وفي

السادس منه عيد الذبح زعموا ان فيه ساعة يعذب فيها الماء المالح وفي
السابع منه طلوع النسر الطاير مع الفجر وفي الثامن شرف المريخ وفي التاسع
يغيب العيوق وفي العاشر منه صوم العذارى وتتحول فيه الشمس الى برج
الدلو وفي الحادي عشر سعد وفي الثاني عشر تغيب الشعر الشامية
وفي الرابع عشر وفات ابي بكر وخلافة عمر رضى الله عنهما وفي السادس
عشر اخر شدة البرد وفي سابع عشر منه يذهب البرد ببلاد فارس
وفي الثامن عشر يصفوا ماء النيل وفي العشرين اخر الاربعينية
واول الخمسينية وفي الحادي والعشرين تقل الاوجاع وفي الثاني
عشر والعشرين منه قبل ينتهى الاربعينيات وفي الرابع والعشرين
منه بدو العشب في الارض وتزاوج الطيور وفي الخامس والعشرين منه
زرع القطن والبطيخ وتغرس الاشجار بالاردن بالروم وتكسح
الكرومات بارض مصر وتغتلم فحولة الابل وفيه يطلع سعد الذابح
ونوء النثرة وفي السابع والعشرين تختلف الرياح وفي التاسع والعشرين
مولد الحسين عليه السلام سُباط بضم السين المهملة كما ضبطه
الجوهري والمشهور بين الناس شباط بالمعجمة ولا يبعد ان يكون

عرب المهملة

55

عرّب المهملة وذكره في القاموس في فصل الشين المعجمة وضبطه بضمّها
وهو ثالث شهر من فصل الشتا ايامه ثمانية وعشرين يوما ان كانت
السنة بسيطة وتسعة وعشرين ان كانت كبيسية في اليوم الاول منه
عيد الشمع وفي الرابع غرس الاشجار وعيد الهيكل والخامس نحس ويتوسط
العيوق فيه وقت العشاء وفي السادس طلوع سعد بلع ونوء الطرف
وفي السابع منه تسقط الجمرة الاولى في الهوى والتاسع سعد وتتحول
الشمس فيه الى برج الحوة وفي الحادي عشر يزرع النرجس وفي الثالث عشر منه
يجري الماء في العود من اسافلها الى عاليه وتنق الضفادع ويرجع
الكركي والغرنوق وفي الرابع عشر منه صوم النصارى ويسقط الجمرة الثانية
في الماء وفي الخامس عشر منه تزرع بقول الصيف والقثاء والبطيخ ويرد
الوحش ويصوت الطير وتطير الخطاطيف وتلد المعز وتغرس شجر الورد
ويزرع النرجس والياسمين والسوسن ويورق الكرم ويكثر العشب وينكسر البرد
وفي السادس عشر تحويل القبلة الى الكعبة وتختلف الارياح والامطار
بالقبط وخروج الكماة بالشام وفي التاسع عشر ينعقد اللوز وفيه وفات
جعفر الصادق عليه السلام وفي العشرين منه يخرج الديب وتتحرك البراغيث

وفي الحادي والعشرين منه سقوط الجمرة الثالثة في التراب وفي الثاني
والعشرون يزرع قصب السكر وفي الرابع والعشرين هبوب
اللواقح وفي الخامس والعشرين يظهر الدفا ويسخن بطن الارض وتهب
الرياح اللواقح وتكسح الكرم قيل وفيه اول برد العجوز وقطع الاطفال
فيه جيد وفي السادس والعشرين منه يكون اول ايام العجوز الاتى
بيانها ويتوسط سهيل العشا وفي الثلثين امتزاج الفصلين
تنبيهان الاول معنى سقوط الجمرات الثلاث ان الناس كانوا يتخذون
في قديم الزمان اخبية ثلاثة في الشتا بعضها محيط بالبعض
وكانت دوابهم الكبار كالابل والبقر والخيل في البيت الاول ودوابهم
الصغار كالغنم في البيت الثاني وهم في البيت الثالث وكانوا يشعلون
النار في كل بيت ويتخذون الجمر للاصطلاء فاذا كان السابع من شباط
اخرجوا دوابهم الكبار الى الصحراء وجعلوا الصغار محلها في البيت
الاول وهم يسكنون مكان الدواب الصغار في البيت الثاني حينئذ
سقطت من الجمرات الثلاث واحدة فاذا مضى اسبوع آخر اخرجوا الغنم
الى الصحراء وسكنوا هم مكانها فسقط جمرة اخرى فاذا مضى اسبوع

اخرجوا

٥٦
56

اخرجوا الى الصحراء بانفسهم وتركوا اشعال النار لقلة البرد وطيب الهوى فسقطت الجمرات الثلاث **وفي بعض** رسايل اخوان الصفا ان الجمرة هذه ليست بلفظة عربية بل رومية وان كانت عربية فمعناها الحرارة اطلاقا للسبب على المسبب او المحل على الحال لان الجمرة سبب ومحل للحرارة الماخوذة من كرة النار الى كرة الهوى السفلى المتصلة بكرة الارض انتهى **الثاني** ايام الحسوم الثمانية المذكورة في القرآن العزيز في قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما هي ثلاثة ايام من شباط واربعة من اذار واربعة من شباط وثلاثة ايام من اذار كذا نقل الصلاح الصفدي وفيه ان مجموع ما ذكر سبعة لا ثمانية سميت بذلك من الحسم وهو القطع لانها حسمتهم **قال** البيضاوي وكان من صبيحة يوم الاربعا الى غروب الاربعا الاخرى انتهى وهي المسماة ايام العجوز ووجهه ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعها الريح في اليوم الثامن واهلكها وقيل لانهم بقي منهم عجوز كانت تنوح عليهم وتندبهم في تلك الايام فسميت بها وقيل لوقوعها في عجز الشتاء وحكي ان الكسائي سئله الرشيد

عن سببها قال كانت امرأة من العرب قد اهترت وكان لها سبعة
اولاد فقالت لهم زوجوني وهم يضربون عنها ولا يكترثون لها
فانشات تقول شعرا ؛ يا بنيّ انني لنا كحة ؛ فان ابيتم انني جامحة
هان عليكم ما لقيت البارحة ؛ من الهياج وحكاك الوامحة ؛ ويروي
الفاضحة قيل اراد بالوامحة الواحمة المشتهية من قولهم وحمة الامراة توحم
وحمًا فهي وحما فقالوا لها تبيتين لنا سبع ليال على ثنية هذا الجبل لكل
ابن ليلة لنزوجك بعد ذلك فجاؤها بعد السابعة فوجودها قد هلكت
وقال ابو سعيد الضرير سميت ايام العجوز لان العرب تجز الصوف
والاوبار فيها موذنة بالصيف وقالت عجوز منهم لا اجز حتى تنقضي
هذه الايام فاني لا امنها فاشتد البرد واضر بمن قدم جزه وسلمت
العجوز بمالها وقال ثعلب الصحيح ان العجوز عجلت بجز صوفها لحاجتها
اليه وثقتها بالجز في البرد فموتت غنمها فكانت سبعة فمات كل يوم
واحدة ثم جعلها سبعة فلهذه العلة والا فبرد العجوز بما بقي عشرة
ايام فاكثروا هذه الايام لا تخلوا من برد او رياح او كدورة ذهب
بعضهم الى انها من الامور الطبيعة فان البرد يشتد في اخر كما ان الحر.

يشتد

57

يشتد في اخر الصيف وذلك يجري مجرى السراج الذى فنيت رطوبته
فان عند انطفايه يشتد ضوءه ثم ينطفي وكذلك كل شيء ينتهي فانه
يشتد عند انتهايه ولكل يوم منها عند العرب اسم يخصه فالاول
امر لانه يامر الناس بالحذر منها وثانيها مؤتمر لانه ياتمر بالناس اي يريد بهم
الشر ويؤذيهم وثالثها ضيئًا لشدة البرد فيها والصين البرد ورابعها
صنبر لانه يترك الاشياء كالصبرة من البرد في الجمود وخامسها وبر لانه
وبر اثار الاشياء اى عفى والتوبير المحو والاخفاء وسادسها مطفي
الجمر لان شدة البرد يطفي الجمر وسابعها معلل لانه يعلل الناس بشيء من
تخفيف البرد ومن الناس من يقول في ايام العجوز هي المسترقة في اول
الشتا ومنهم من يجعلها في اخر الشتاء ويسميها بايام الشهله ومنهم
من يعدها سبعة ومنهم من يعدها خمسة فمن عدها سبعة قال هي صن
وصنبر ووبر وامر ومؤتمر ومعلل ومطفي الجمر ومن عدها خمسة
قال هي صن وصنبر واخوها وبر ومطفي الجمر ومكفي الظعن وقد
نظمها الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في قوله شعرًا يقول :.
ساذكر ايام العجوز مرتبًا لها :. عدد انظما الذى الكل مستمر :.

فصن وصنبر ووبر معلل ⁂ ومطفي جمراء مرتم موتمر ⁂

واذار بالذال المعجمة بعد الهمزة المفتوحة وبعدها الف قبل الراء في

اخره بالامد وفيه تعمر الارض ويكثر البلغم ويحمد الفصد والحجامة فيه

وتنقية الدماغ والقي والغرغرة وشرب المسهل والغذا فيه اللحوم اللطيفه

والشرابات المعتدلة والحلويات والبيض البرشت ويحترز من اكل البصل

والسماق والحوامض واللحوم الغليظة كالبقر وغيره وهو اول شهر

من فصل الربيع وهو احدا وثلثون يوما في اليوم الاول منه يخرج منه

الجراد والدبيب قيل وتفتح الحيات اعينها وفي الرابع منه اخر ايام العجوز

وفي الخامس تخرج كل اجبية وفي السابع منه اختلاف الرياح العواصف

وشرف الزهرا ويربي دود القز وفي الثامن منه سعد اكبر ومباشرة

الامور في التاسع قيل تظهر الخطاطيف والعاشر منه اخر الحسينية

ويدو نتاج الخيل وفي الحادي عشر اول النوروز السلطاني قيل ويتساوى

الليل والنهار وتتحول الشمس الى برج الحمل وفي الثاني عشر منه يؤمر

بالحجامة وفي الثالث عشر منه تخرج الحداة والخطاطيف وتتولد الحيات

وفي الرابع عشر ان صار مطرا يكون الزرع جيدا وفي الخامس عشر تكثر

الرياح وتتراك

58

الرياح ويتحرك الدم وفي السادس عشر منه تفتح الحيات اعينها فانها
تجتمع في ايام البرد تحت الارض فيظلم بصرها وتتحرك حشرات الارض
وفي السابع عشر يحمد الجماع وتجرى السفن في البحر وفي الثامن عشر منه
قيل يعتدل الليل والنهار وهو اول ربيع العجم وخريف الصين ويغلظ
فيه ماء البحر لان الشمس تجر لطيف اجزائه زعموا ان العقيم من الرجال
اذا نظر في ليلة هذا اليوم السها ثم جامع اهله فانها تحمل منه وتهب في
هذا اليوم الرياح اللواقح وتسنبل الحنطه ويدرك النبق والباقلا
ويعقد اللوز والمشمش ويورق الشجر ويغرس الكرم ويخاف من التمساح
بمصر وفيه طلوع الفرغ المقدم ونوء الصرفه وفي التاسع عشر يزرع
القطن في بلاد الشام وفي العشرين عيد الشعانين وفي الحادي والعشرين
يموت العندليب ويظهر دود القز وفي الثاني والعشرين نحس وفي الثالث
والعشرين يطيب ركوب البحر وفي الرابع والعشرين اول شرب المسهل وفي
الخامس والعشرين منه غليان البحر وفيه عيد السادس وهو بشارة مريم
بحمل عيسى عليه السلام وفي السادس والعشرين اول شرب الدواء وتفريق
السحاب وفي الثامن والعشرين تخرج الهوام وينتفع بالفصد وفي

السادس والعشرين وفي التاسع والعشرين شرف الشمس وفي الاحدى
والثلاثين يكتب فيه الاوفاق والمحبة ونيسان بفتح النون وكسرها
وقيل لايجوز فيها غير الكسر وفيه يكون لابن ادم الفرج ويزيد في المياه ويقوى
فصل الربيع الغذا فيه البريان والقلايا ولحم الخرفان ولحم الصيد
والادهان الطيبة والطعام الذي يعمل بالخل والروايح الطيبة
وعند الصباح يشرب الماء البارد ويحترز من لحم البقر ومن الحلويات
والاطعمة الحارة اليابسة والبحل والرشاد وهو ثاني شهر من فصل الربيع
وهو ثلثون يوما واليوم الاول منه عيد الفطر ويرجى فيه المطر وفي
الثاني غياب سهيل وفي الثالث نوء العوا وفي الرابع منه الشقانين
وفي السادس هبوط ادم الى الدنيا وفي السابع قيل قيل لابد من مطر
وفي الثامن اخر عيد الفطر وفي التاسع نزول الزنبور عند البعض
وفي العاشر تنفجر العيون والمياه وفي الحادي عشر وفاة ادم ونزول
الزنبور وسعد اكبر وتتحول الشمس الى برج الثور وفيه فطر النصارى
وفي الثالث عشر سعد اكبر وفي الثالث عشر شرف القمر وفي الرابع
عشر يلقح النخل وتبيض الطاووس وفي الخامس عشر سعد اكبر وفي

السادس

59

السادس عشر يهب الهوا الشرقي وايام المطر وفي السابع عشر منه مولد النبي
صلى الله عليه وسلم وفي الثامن عشر دخول نوح في السفينة وفي
التاسع عشر عيد دير الثعالب وفي العشرين منه تهيج الرياح الشرقية
ويفوخ الطير وهو يوم نحس وفي الحادي والعشرين قيام سوق
فلسطين وفي الثاني والعشرين منه هبوب الجنوب وامتداد الاودية
وتهيج النعام وفي الثالث والعشرين منه يقوم دير ايوب عليه السلام
بالشام ويوم الخضر عليه السلام وعيد النصارى وفي الرابع والعشرين
نزول الانجيل وفي الخامس والعشرين منه طلوع الضفدع الاول
وفي السادس والعشرين توسط النسر مع الفجر وفي السابع و
العشرين مد الفراة وفي الثامن والعشرين منه تهيج الدم وتعقد
الثمار ويدرك اللوز وطلوع الشرطين ونوء الغفر وفي التاسع
والعشرين اخر ايام المطر وفي الثلاثين عيد الجندي وايار ضبطه
في القاموس بفتح الهمزة وتشديد المثناة التحتية وقال الجاديري هو
اجبار بفتح اوله وسكون الجيم وبالمثناة التحتية وبعضهم يسقط
الجيم انتهى ومقتضى ذلك تخفيف يائه وهو الشهر الثالث من فصل الربيع

وفيه يكون الهوا معتدلًا وتصفو فيه المياه وتبدو فيه زيادة النّيل
بمصر وفيه تكون الصّفرا غالبة والغذاء فيه الاطعمة السريعة الهظم
الملايمة ولا يكثر فيه من ادخال الطّعام على طعام ويحذر فيه من لحم البقر
ومن المالح ومن اللبن الحامظ وفيه قلت الطّعام خير من كثرته وفي
النّصف الاخير منه ترتفع الطواعين باذن الله تعالى يخصب الزرع
ويركب البحر وتبدو الشّمايم وتهب الشمال ويسود العنب ويهب الدبور
ايضا وهو احدى وثلثون يومًا في اليوم الاول منه ولد النّبي ارميا عليه
السّلم وهو اخر ايّام المطر قيل وهو يوم نحس وفي الثالث قيل هو عيد
دير الثعالب وينعقد الزيتون وفي الثالث منه حركة البحر وبدو الورد و
السادس منه نحس ووفات ايوب والسّابع يوكل الحلو ويكثر الخيار وفيه
عيد الصّليب وفي الثامن تزرع الذرة ويجمع الخشخاش وفي
التاسع حركة البحر وفي الحادي عشر خروج عيسى وبناء اسلام بولِ واول
البوارح وفي الثاني عشر طلوع البطين ونوء الزبانا وتحول الشمس فيه
الي برج الجوزا وفي الثالث عشر نزول المنّ والسّلوى وفي الخامس عشر منه
عيد الورد المستحدث ورجوع المشتري وفي السادس عشر منه

يهيج الصّبا

60

يهيج الصبا وتنقطع الكماة ويطيب ركوب البحر وفي التاسع عشر منه وفات النبي صلى الله عليه السلام وفي الثامن عشر ابتداء عيد اليهود قيل واول البوارح والتاسع عشر نحس وفي العشرين مولد الياس عليه السلام وفي الحادي والعشرين نهى بقراط عن العلاج وفي الثاني والعشرين اخر العنصرة ويبقى ريح الشمال وفي الثالث والعشرين يحمل السفر في البحر وفي الرابع والعشرين امتزاج الفصلين وفي الخامس والعشرين نزول التوبة وطلوع الثريا ونوء الاكليل وفي الثامن والعشرين اخر العيدات وفي الثلاثين نوبة آدم عليه السلام وبدو بير زمزم وفي الحادي والثلثين يطيب ركوب البحر **وحُزَيْرانِ** بضم الحاء المهملة وفتح الزاء وسكون المثناة التحتية وبالراء على المشهور على الالسنة وضبط الجاذري بفتح الحاء وكسر الراء وهو اول شهر من فصل الصيف وتكون فيه الصفراء غالبة ويوجد في البدن بعض الحما وينفع فيه شرب الماء البارد على بكرة قبل فطور الغدا فيه لحوم الجدايا والاطعمة من الرياضة ومن الطعام الحار اليابس ويحترز فيه من كثرة الاكل ومن كثرة الجماع ومن كثرة شم السمك والزعفران وهو ثلثون يوما في اليوم الاول

منه ولد خرقيل عليه السلام وفي الثاني تهب رياح السمايم وفي الرابع منه
جمعة الذهب وهو نحس وفي الخامس طلوع الدبران ونوء قلب العقرب
وفي السادس وفات ايوب عليه السلام وفي السابع نحس وتحرك
فيه شهوة الجماع وفي التاسع بدو حصاد الشعير وفي العاشر
سعد ويستعمل فيه الترياق وفي الحادي عشر منه نوروز الخلفاء
ببغداد وفيه اللعب ورش الماء وغيرها مما هو المشهور والثاني عشر
سعد وفيه موت يحيى عليه السلام والثالث عشر تحول فيه الشمس الى
برج السرطان وفي الرابع عشر قيل بدو نقص النهار واول رياح السموم
وفي الخامس عشر عيد الكنيسة ونهى عن شرب المسهل وفي السادس
عشر منه تنقيس نيل مصر وتغور المياه وفي السابع عشر بدو حصاد
الحنطة وفي الثامن عشر منه قيل غاية طول الليل وقصر النهار وهو
الامتلاء الاكبر تعظمه العرب والعجم وهو الانقلاب الصيفي وفيه
عيد ايوب وفي التاسع عشر طلوع الهقعة ونوء الشولة وفي
العشرين مولد الياس عليه السلام وفي الثاني والعشرين منه يوضع
المنجل في الزرع وتدرك الفاكهة والتين والعنب والبطيخ ويشتد فيه الحر

والثالث والعشرين

61

والثالث والعشرين يكره شرب الدواء وفي الرابع والعشرين عيد العنصرة
وفي الخامس والعشرين منه مولد يحيى بن زكريا عليه السلام وابتداء
السمايم بالهبوب باحد وخمسين يومًا ويمتد جيحون وفيه ظهور راس
زكريا وحركة البحر وقيل ان ميلاد يحيى بن زكريا في السادس والعشرين
والسابع والعشرين اخر رباع البوارح وشرف المشترى وفي الثامن
والعشرين منه ينظر ارباب التجارة بمصر فان كثر فيها الندا قالوا يمتد
النيل والثلاثون سفره محمود وان ليس فيه جديدًا كان مباركا وتموز
بفتح المثناة الفوقية وتشديد الميم المضمومة وبالمعجمة في اخره على
ما اشتهر على الالسنة وهو ثاني شهور فصل الصيف وفيه يحصل
للبدن ضعف وتحلل وفيه قيام البراغيث وهلاك البرد والاغذية
فيه لحم وطعام سريع الهضم وفي كل صباح يشرب الماء البارد
قبل الطعام والاشربة الباردة الطبع واياك من اكل الاجزاء الحارة
اليابسة وهو احدى وثلثون يومًا في اليوم الاول نوء النعايم
يوم الثاني منه دخول اصحاب الفيل قرب مكة في الثالث منه ذهاب
البراغيث وفي الرابع يرتفع الطاعون ان كان له وجود وفي اليوم الخامس

منه تطلع الشعرا ويرتفع الطاعون وبطلوعها يعرفون صلاح الزرع و
فساده وذلك ان اصحاب الفلاحة من العجم ياخذون لوحا قبل طلوع
الشعرا باسبوع ويزرعون عليه اصناف الحبوب فاذا كانت الليلة التي
تطلع فيه الشعرا وضعوا ذلك اللوح في موضع عال لا يحول بينه
وبين السماء شي فما اصبح مخضرا فهو يصلح في تلك السنة وما اصبح مصفرا
فهو الذي يفسد فيها كذلك الفرس كانت تفعل كذلك وهو يوم سعد
وفيه تهيج الحشرات وفي السادس هاجرة الصيف وفي السابع منه تموت
الجراد وفي الثامن منه انفلاق البحر لموسى وفي التاسع منه اول ريح السموم
وفي العاشر منه يقوم سوق بصرى وفيه هبوط مريخ وفي الحادي عشر منه
طلب الحوايج وفي الثاني عشر سعد وفي الثالث عشر سعد ويبرد بطن
الارض والرابع عشر سعد يكثر فيه رمد العين وتتحول الشمس فيه الى
برج الاسد وفي السادس عشر قيل ايام اخر البروج والثامن عشر اول
ايام الباحور فانها ستة ايام متوالية يستدلون بكل يوم منها
على شهر من اشهر الخريف والشتا من تغييرات وتلون وزعموا انها
للسنة كايام البحر للمريض وان حال كل شهر من تلك الشهور كحال يوم

من تلك

62

من تلك الايام اولها كاولها واخرها كاخرها في التغيرات وفيه قوة
البطيخ الاصفر وقيل ابتداء ايام الباحور وفي التاسع والعشر
اول ايام الباحور عند البعض ايضا وفي الحادي والعشرين طلوع
الشعرا اليمانية وفي الثاني والعشرين عيد مريم المجد وفي الثالث
والعشرين يدرك نخل الحجاز وفي الرابع والعشرين يشتد صولة
الحر ويرتفع الطاعون ويكثر الرمد ويزرع البطيخ الشتوى والزلة
والجزر وساير الخضروات وفي الخامس والعشرين ينهى عن الجماع
واول صوم مريم عند اليعاقبة وفي السادس والعشرين عيد شمعون
وفي السابع والعشرين منه يحمر البسر ويقطف العنب والقصب
القبطي ونغور المياه وتنضج الفواكه كلها وتختلف الرياح في البحر
وفي الثامن والعشرين يهيج دم الصفراوي وفي التاسع والعشرين
قوة الباذنجان وفي الثلاثين عيد كنيسة مريم عليه السلام واب
ككتاب ثالث شهور فصل الصيف وفيه يحصل للدماغ قوة وفيه تكثر
الاخلاط وفيه يكثر تحلل البدن والزكام وتتحرك الرياح الشمالية
والاغذية فيه شراب الرمان ولحم السخل وقلية الافطين ويشم فيه

ماء الورد وساير الرياحين لانها نافعة واياك من الحمام وشرب المسهلات
ومن الجوع فيه ولا تكثر الحركه وهو احد او ثلاثون يومًا في اليوم الاول منه
وفات مريم عليه السلام وهو يوم صومها ويوم سعد وقيل ان وفاتها
في اليوم الثاني وفي الثالث عيد الياس وهو سعد اكبر وفي الرابع اخر
نهي بقراط عن العلاج وفي الخامس طلوع الشعرى الشاميه وفي السادس
اول عيد التجلي قيل هو تجلي المسيح للحواريين ونزول التورية وفي الثامن تجلي
ربك للجبل فجعله دكا وفي التاسع تختلف الرياح وعيد العذوبة مريم
وشهادة يعقوب هو يوم سعد وفي العاشر منه يقوم سوق عمان وعيد
ابراهيم ويعقوب وهو يوم سعد وفي الحادي عشر منه قيل تختلف الرياح
وفي الثاني عشر منه تبتدى ملوك العراق في الطيب وفي الرابع عشر نزول
الزبور وتحويل الشمس الى برج السنبله وفي الخامس عشر عيد مار ي من يم
عليه السلام وفي السادس عشر ينزل المسهل وفي السابع عشر منه اخر عيد
التجلي ويكسر النيل بمصر في الغالب وفي التاسع عشر منه تهيج رياح البوارح
ويكثر الرمان ويصفر الاترج قيل وفيه نجات نوح عليه السلام وفي
عشرين منه فتور الحر ويهيج الزكام وفي الحادي والعشرين نوء سعد السعود

وفي الثاني

١٣
63

وفي الثاني والعشرين قيل انكسار حدة الحر وفي الثالث والعشرين منه
تتولد الاسماك وفي الرابع والعشرين امتزاج الفصلين وفي الخامس و
العشرين طلوع سهيل بمصر وفي السادس وعشرين يهيج الرمد وفي
السابع والعشرين ولادة اليسع ويحيى عليه السلام قيل ويكثر الزكام وفي
الثامن والعشرين يطيب الليل والماء ويهيج الزكام ويثور البلغم
ويصلح شرب الدواء ويكثر الطيب ويسقط الطل والمن بالشام وفيه
شرف عطارد وفي التاسع والعشرين ينهى عن الجماع وفي الثلاثين آخر
النهى عن الفصادة **وايلول** بفتح الهمزة وسكون التحتية وضم اللام
الاولى وهو اول شهر من فصل الخريف وفيه يعتدل الرياح وتكثر السودة
في الدماغ ويقع في بعض الخلق اوجاع والاغدية فيه لحم الشاة الذي
كمل سنتين والحلويات والجلوس على الماء فيه مفيد والحذر من لحم البقر
والمعز ومن كثرة الدخول للحمام وهو ثلاثون يوما في اليوم الاول
منه عيد راس السنة الرومية وتمامها وقيام سوق مفيح والثاني منه
نحس وعيد شمعون والثالث طلوع سهيل بالعراق وفيه ولد يوشع بن نون
عليه السلام ويبدأ بايقاد النار في البلاد الباردة والرابع سعد وسقوط

الندا وعبور النبي للغار الخامس ينكسر الحر وعيد موسى وزكريا السادس سعد
وعيد الحنافس والسابع منه ولادة مريم وفي الثامن طلوع سهيل بالشام
وفي التاسع وفات والدة مريم وفي العاشر يغرس المنثور وفي الحادي
عشر يبرد الليل وفي الثاني عشر منه يفصد ويشرب الدواء وفي
الثالث عشر منه تنتهي زيادة نيل مصر وعيد كنيسة القمامة ويقطف
الرمان وقيل فيه عيد يونان وفي الرابع عشر منه قيل عيد صليب واول
فصل الخريف ويتساوى فيه الليل والنهار وتحول الشمس فيه الى برج الميزان
وفي السادس عشر منه تدرك الثمار وفيه تفطم الاطفال وفي السابع
عشر يتوسط العيوق مع الفجر وفي الثامن عشر قيل فيه اعتدال الليل
والنهار وهو اول الخريف عند العجم والربيع عند الصين زعموا ان السحاب
الذي ترتفع فيه يضي الروح ويبرى الجسد وفيه نوء الفرغ المقدم
وفي العشرين منه يرجع الماء من اعالي الشجر الى عروقه ويعمل فيه الاشربة
وفي الثاني والعشرين يكره شرب الماء عند النوم وفي الرابع والعشرين منه
زعم اصحاب التجارب انها تهب فيه ريح وتاتي الغربان البقع في اكثر البلاد
وفي الخامس والعشرين عيد مصلة اليهود وفي السادس والعشرين

امطار الجادة

64

امطرت الحجارة على اصحاب الفيل وفي السابع والعشرين يذهب الحر
وفي الثامن والعشرين طلوع العواء ونوء الفرغ المؤخر والثلاثين
قيل يذهب الحر وهو خير الاوقات وقد جمعها الشيخ صلاح الدين
العلائي في قوله شعر ∴ شهور الروم ان حاولت عدا ∴ بترتيبها فاعلم بيانه
وكانون وثانيه شباط ∴ واذار ونيسان وايار ∴ حزيران وتموز واب ∴
وايلول وتشرين بتكرار ∴ فالشهور الثلاثينية منها اربعة تشرين الثاني
ونيسان وحزيران وايلول والباقية احد وثلاثون ما عدا شباط فانه
ثمانية وعشرين كما تقدم وضبط بعضهم ذلك بقوله فازضيف هنا ترل
فما كان في مقابلة حرف معجم منقوط من فوق هذا التركيب فهو احد
وثلاثون يومًا وما كان في مقابلة مهمل فهو ثلاثون وما كان في
مقابلة الياء المنقطعة من تحت فهو ثمانية وعشرين فنفس كل حرف
عبارة عن ثلاثين والنقطة زيادة يوم ان كانت فوقيه ونقص يوم
ان كانت تحتية فالفاء تشرين الاول والالف تشرين الثاني وهكذا الى
الاخر وقد نظم ذلك بعضهم بقوله شعرا
شهور الروم الوان ∴ زيادات ونقصان ∴ فتشرينهم اثنان ∴ وايلول ونيسان ∴

ثلاثون وثلاثون سواء وحزيران شباط حض بالنقص وحد النقص يومان
وباقيها ثلاثون ويومًا واحدًا كان القول الثاني قاله بعض المنجمين زعموا
بان المد بامتلاء القمر والجزر بنقصانه وهذا ظاهر البطلان لان
كلا من المد والجزر يكون مع امتلائه ونقصانه فانه في كل يوم من ايام
الشهر مد وجزر ولو كان كما زعموا لكان النصف الاول من الشهور القمرى
كله مدًا ان ارادوا بامتلائه اخذه بالزيادة كما يدل عليه ظاهر مقابلته او في
ايام منه ان ارادوا اكبره وانتفاخه واستكماله بدرًا والنصف الثاني كله
جزرًا ان ارادوا انتقاصه واخذه بالنقصان اوايامًا منه كلها ان ارادوا
ظهور النقص ظهورًا تامًا او يومًا تامًا كله ان ارادوا بلوغه فيه حدًا
معينًا واللازم باطل لما علمت انه لابد في كل يوم من مد وجزر القول الثالث
سببه طلوع القمر وغروبه وهذا القول لا يعلم قائله ولكن يؤيده دوران
المد معهما وجودًا وعدمًا لا مانع من ان يكون قد جعل الله في القمر
خاصية جذب الماء وارتفاعه كما جعل في المغناطيس خاصية
جذب الحديد والفاعل عند ذلك هو الله تعالى والتاثير له سبحانه
فانه لا يؤثر في الاشياء الاهو والاسباب انما هي علامة على افعاله

كالغيم

65

كالغيم فانه علامة على ايجاد الله المطر لانه موثر في ايجاده فان الله يفعل
عند الاسباب بمشيئته واختياره لان الاسباب فعالة اذ لا اثر في موثر
ها الا الله ولانه تعالى يفعل بالتعليل او الطبع اذ ليست ذاته العلية علة
لشئ من الممكنات او موثرة فيه بالطبع والا لزم قدم ذلك الممكن لوجوب
اقتران العلة بمعلولها او الطبيعة بمطبوعها فاذا كانت قديمتين
وجب قدم المعلول والمطبوع ولهذا لما اعتقدت الفلاسفة اهلكهم الله
ان اسناد العالم اليه تعالى انما هو على طريق اسناد المعلول الى العلة قالوا بقدم
العالم فضلوا واضلوا ولانه يفعل بالاسباب لانه تعالى يفعل عند
الاشياء لا بالاشياء فالكل مخلوق الله بلا واسطة فسبحان من
انفرد بالخلق والتصوير كما انفرد بالتقدير والتدبير واذا كان كذلك
جاز ان يخلق المد ويجذب الماء ويرفعه عند قرب القمر من الماء حالة الطلوع
والغروب فاذا ارتفع القمر وغرب خلق الجزر فرجع الماء على اثره
فائدة ذكر بعض المحققين من اهل الكشف ممن يرى كروية الافلاك
ان دور فلك القمر هو سماء الدنيا احد عشر الف سنة وهو اصغر الافلاك
السموات دورا فيقطع القمر دور هذا الفلك في اربعة وعشرين ساعة

معتدلة ويقطع فى كل ساعة مسيرة اربعماية وثمانية وخمسون سنة
ومائة وعشرين يومًا وان قطر هذا الفلك اربعة الاف عام وخمسماية
عام وان للقمر فلكا فى نفس الفلك وكذلك كل كوكب فان له فلكاً
صغيرا يدور بنفسه فى الفلك الكبير فالفلك الكبير بطى الدوره وذلك
الفلك الصغير سريع الدوره وما تراه من جنس الكواكب وهو رجوعها
فانه لاختلاف دورها فى دوران الفلك فيسبه بالدور ويحسبها
الشخص راجعة ولم ترجع تنبيهات الاول القمر فى اول ليلة من الشهر
يسمى هلالا وقيل الى ليلتين وقيل الى ثلاث وقيل الى سبع ولليلتين
من اخر الشهر ستة وعشرين وسبعة وعشرين وقيل الهلال الشهر
بعينه ومنهم من خص باول يوم فان خفى ففى الثانى وفيما عدا ذلك
فهو قمر ولا يدعى هلالا وقيل يسمى قمرا اذا استدار وقيل اذا ابهر ضوءه
ويسمى بهذه الحالة قمرًا لانه يبهر ضوء الكواكب اى يغطيها ويجمع
على اهله واهاليل واستهل الشهر واستهللناه يتعدى ولا يتعدى
وقال بعضهم ويقال اهل الهلال بالبنا للمفعول والفاعل واستهل
بالبناء للمفعول فقط ومنهم من يجيز بناؤه للفاعل وهل الهلال

يهل من الب

66

يهل من الباب الثاني لغة ايضا واهللنا الهلال واستهللناه رفعنا
الصوت برويته قال في الصحاح يقال اهللنا عن ليلة كذا ولا يقال
اهللناه فهل كما يقال ادخلناه فدخل وهو قياسه وقال ابو حنيفه
الدينوري حكى عن الثقة انه يقال اهل الهلال نفسه اي طلع واهللناه
نحن رايناه وقال ابن نيته عند اهلاله وعند استهلاله وهللته
وهاله وهلوله وابن نيته لينفات الهلال ونوفانه ومنافه ويسمى الهلال
الازميم وبن مزنه وبن ملاط الثاني ظاهر الاحاديث والقران ان نور
القمر لذاته كما قال الله تعا وجعل القمر فيهن نورا وعن انس رضي الله عنه
قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر والنجوم خلقن
من نور العرش واخرج السيوطي في الهيئة عن ابن ابي حاتم وابو الشيخ
عن كعب قال خلق الله القمر من نور الا ترى انه قال وجعل القمر فيهن نورا
واخرج عن ابي الشيخ عن ابن عمر قال ان الشمس والقمر وجوههما
الى السماء وقفاهما الى الارض يضيئان من في السماء كما يضيئان
من في الارض وروى الثعلبي عن ابن عباس وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى لما ابرم خلقه فلم يبق من خلقه غير ادم خلق الشمسين

من نور عرشه فاما ما كان في سابق علمه ان لا يطمسها خلقها مثل
الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها وما كان في سابق علمه ان يطمسها
ويحولها قمرا فخلقها دون الشمس في العظم ولكن يرى صغرها من شدة
ارتفاع الشمس وبعده من الارض ولو ترك الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف
الليل من النهار ولا كان يدري الاجير الى متى يعمل ولا الصايم
الى متى يصوم ولا المصلي الى متى يصلي ولا المراة كم تعتد ولا اوقات
الصلوة ولا وقت الحج ومتى تحل الديون ومتى يبذرون ويزرعون
ومتى تكون الراحة لابدانهم فكان الله انظر لعباده وارحم بهم فارسل
جبرئيل عليه السلام فامر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ شمس ثلاث
مرات طمس عنه الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا
الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة وقيل انه
نور شفاف قابل لنور الشمس يستمد منها فاذا قرب منها ضعف
نور استمداده واذا ابعد عنها قوي نورها فكلما بعد قوي نوره حتى
اذا قابلها وهو ابعد ما يكون بينهما فيكون القمر اكثر نورا ثم يقرب من
الشمس فكلما يقرب نقص نوره وقيل انه جرم كودي لا ضياء له في نفسه من حيث ابيه

اذا قابل الشمس

67

اذا قابل الشمس يكون مظلما فلهذا لا نرى نور القمر من جهة الشمس ابدا بخلاف
بقية الكواكب السيارة فان كل كوكب منها يقابل الشمس في جميعها
فمثلها مثل البلورة الشفافة اذا وقع فيها النور سرى في باطنها
وظاهرها بخلاف القمر فانه كالكرة المعدنية ولهذا ينقص نوره في
الارض ويزيد بخلاف بقية الكواكب الثالث اختلف في فلك
القمر الذى هو فيه فقيل البحر دون السماء وقيل انه سماء الدنيا
الرابع اختلف في خسوف القمر وكسوف الشمس فقيل ان سبب الخسوف
توسط الارض بينه وبين نور الشمس لان نوره مستفاد من نورها
فاذا كان القمر على مسامته احدى نقطتي الراس والذنب او قريبا
منها توسط الارض بينه وبين ضياء الشمس فيقع في ظل الارض ويبقى
على ظلامه الاصلي فيرى منكسفا وظل الارض ابدا يكون في الجهة التي
تقابل جرم الشمس وخسوفه لا يختلف باختلاف البلاد لان
الكاسف عارض في جرمه وهو وقوعه في ظل الارض ولكن تختلف
اوقات الخسوف باختلافه بان تكون في بعض البلاد على مضي ساعة
وفي بعضها على مضي نصف او اقل او اكثر وقد يطلع في بعضها

منخسفًا ولا يرى في بعضها لكونه تحت الارض لان طلوعه في البلاد
الشرقية قبل طلوعه في البلاد الغربية وبدو خسوف القمر من طرفه الشرقي
اذ هو الذهب الى الاستقبال ثم ينحرف نحو الشمال والجنوب والانجلاء
ايضا من الطرف الشرقي واطول ما يكون زمانه بالتقريب اربع ساعات
والسبب في كسوف الشمس توسط القمر بينها وبين ابصارنا لان جرم القمر
كدر مظلم فيحتجب ما وراءه عن الابصار لان فلكه دون فلك
الشمس فاذا اجتمع معها في درجة واحدة وكان على مسامته احدى
نقطتي الراس او الذنب او قريبا فانه يكون تحت الشمس فيحول بينها
وبين ابصارنا ولا يتصور لكسوف الشمس مكث اكثر من ساعتين
مستويتين لان حركت القمر متصلة سريعة لضيق فلكه فاذا كان
الكاسف ليس عارضا في نفس الشمس بل هو بسبب التوسط بينها
وبين الابصار فيجوز ان يختلف وضع التوسط وهذا هو سبب الاختلاف
في الزمان والقدر في بعض البلاد وانجلائهما من طرفها الغربي اذا لقمر
متصل بها من ناحية الغرب وقيل سببه تجلي الحق عليهما بالعظمة
فعن انس رض عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس والقمر اذا را

احدهما شيئًا

احدهما شيئا من عظمة الله حاد عن مجراه فانكسف وعن بن عباس رض
قال خلق الله بحرا دون السماء بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف
قائم في الهوى بامر الله لا يقطر منه قطرة جار في سرعة السهم تجري
فيه الشمس والقمر والنجوم وذلك قوله تعالى في فلك يسبحون والفلك
دوران العجلة في لجة غمر ذلك البحر فاذا احب الله ان يحدث الخسوف
خرت الشمس على العجلة فتقطع في غمر ذلك البحر فاذا اراد الله ان يعظم
الايات وقعت كلها فلا يبقى على العجلة منها شيء واذا اراد دون ذلك
وقع النصف منها او الثلث او الثلثان في الماء ويبقى سائر ذلك
على العجلة وصارت الملائكة الموكلون بها فرقتين فرقة يقبلون على
الشمس يجرونها نحو العجلة وفرقة يقبلون على العجلة فيجرونها الى الشمس
فاذا غربت رفع بها الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة و
تحبس تحت العرش الحديث قلت ان صح هذا عن بن عباس فقياس
خسوف القمر ككسوف الشمس والعجلة كما في الصحاح المنجون يستقى
الماء عليها الخامس السواد الذي يرى في القمر هو اثر المحو كما دل عليه
حديث بن عباس السابق وسئل علي ابن ابي طالب رض عن السواد الذي

في القمر فقال ذلك اية الليل محيت فذلك اثر المحو السادس على القول
بان القمر في ابتداء خلقه كان شمسًا فمحي ضوءه وبقي نوره كما تقدم
مقتضي القياس ان ينقص من حره بمقدار ما نقص من نوره لان
الشمس حارة وهو لا حر له اصلا والجواب انه خلق ابتداء لا حر له وان
حره ذهب مع الطمس والاول ارجح كذا ذكره بعضهم السابع مقتضي
حديث بن عباس السابق ان يكون القمر دون الارض في المقدار
وقيل انه بمقدار الارض ثمانين مرة فايدتان الاولى معنى قوله تعالى
وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ قدرناه منازله
وهي ثمانية وعشرون منزلا وهي مواقع النجوم التي تنسب العرب اليها
الانواء وهي السرطان وبقية المنازل التي مر ذكرها فان القمر ينزل
كل ليلة منزلا منها ويسير مسيرًا من غير تفاوت ويستتر ليلتين
ان كان تامًا وليلة ان كان ناقصًا واذا نزل تلك المنازل دق وتقوس
في راي العين حتى عاد كالعرجون القديم وهو العذق الذي فيه
الشماريخ اذا عتق ويبس وتقوس واصفر شبه به القمر في دقته وصفرته
الثانية معنى قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر لا يصلح لها

ولا يمكن

69

ولا يمكن ان تدركه لان فلكها غير فلكه ولانها تقطع فلكها في كل سنة
مرة وهو يقطع فلكه في كل شهر مرة فلا سبيل ان تدركه وقال عكرمة
لكل واحد منهما سلطان فسلطان القمر الليل وسلطان الشمس النهار
والمعنى على هذا لا يدخل الليل في النهار قبل انقضائه ولا الليل على النهار
قبل انقضائه وهذا معنى قوله تعا ولا الليل سابق النهار كذا نقل في الكواشي
لطيفة ان الاولى من العرب من يفضل القمر على الشمس ويقول هو مذكر
والشمس مؤنثه والمذكر افضل من المؤنث ومنهم من يفضل الشمس و
يقول ان الله تعا قدمها في الذكر فقال والشمس والقمر بحسبان والشمس والقمر
والنجوم مسخرات والشمس وضحيها والقمر اذا تليها ومنهم لا يفضل
احدهما على الآخر ورجح بعضهم الاول بان التذكير اصل والتانيث
فرع واجاب عن دليل الثاني بان التمسك في الفضل بمجرد التقديم في
المذكر ضعيف فقد يتقدم المفضول ويتاخر الفاضل قال الله تعا
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال تعا لا يستوي اصحاب
النار واصحاب الجنة والصحيح ان اراد التفضيل بحسب ما عند الله
فذلك غير معقول لنا لانه يحتاج الى التوقيف وان كان بحسب الضياء

والنور والاشراق فلا شك ان الشمس افضل بهذا الاعتبار ولانها
باقية على نورها التى خلقت عليه والقمر نقص من نوره كما تقدم
الثانية قيل قال القمر لربه اللهم انك فضلت الشمس على ونقصتنى
واشختنى فلا تطلعها على ما نقصت منى فلا يرى القمر ابدا الا والتمام
مما يلى الشمس اسعاف استطرادى ذكر الشيخ مرعى فى بهجة نقلا عن مسالك
البكرى ان جرم عطارد جزء من اثنين وعشرين جزء من جرم الارض
وجرم الزهرا جزء من اربعة وعشرين جزءا من جرم الارض وجرم
المشترى مثل جرم الارض احدى وثمانين مرة ونصف مرة بالتقريب
وجرم زحل مثل جرم الارض تسع وسبعين مرة ونصف مرة بالتقريب
وقال الغزالى فى باب التفكر من الاحياء الكواكب التى نراها اصغرها
مثل الارض ثلاث مرات واكبرها ينتهى الى مائة وعشرين مرة
مثل الارض وذكر ان زحل يدور فلكه فى كل ثلاثين سنة دورة واحدة
بالتقريب والمشترى يدور فلكه فى كل اثنى عشر سنة مرة بالتقريب
دورة واحدة والمريخ يدور فلكه فى كل سنتين الا شهرا تقريبا
دورة واحدة والشمس تدور فلكها فى كل سنة مرة والزهرة مثل الشمس

ولكن مرة اسرع

٧٠

ولكن مرة تسرع السير فتكون امامها ومرة ترجع فيكون وراءها
وعطارد قيل انه يقطع فلكه في كل مائة وستة وعشرين يوما مرة
وعطارد والزهرة والشمس تتساوى مدة دوارها في فلك البروج
والقمر يقطع فلكه في السنة اثنى عشر مرة فمن ثم حكم الطبايعون
بان فلك القمر اقرب الافلاك الينا وفوقه عطارد وفوقه الزهرة
وفوقه الشمس وفوقه المريخ وفوقه المشترى وفوقه زحل لان الافلاك
حركة فلكه اوسع واما الرياضون فاعتمدوا على ذلك بكسوف الكواكب
بعضها بعضا لان الادنى يكسف الاعلى ضرورة فلما وجدوا القمر
يكسف الكواكب ولا يكسف الا ظل الارض حكموا بان فلكه اقرب الافلاك
الينا ولما وجدوا عطارد يكسف الزهرة حكموا بان فلكه دونها ولما
وجدوا الزهرة تكسف المريخ حكموا بان فلكها دونه ولما وجدوا
المريخ يكسف المشترى حكموا بان فلكه دونه والمشترى يكسف زحل
فكان فلكه تحته وزحل يكسف ما يسامته من الثوابت فكان فلكها
فوقه وبقي الشك في الشمس بالنسبة الى الكواكب الخمسة دون القمر لكونه
تحتها قطعا لكسفه لها بخلاف البقية فانها لا تكسف ولا تنكسف بها

لاستتارها بشعاعها فمن ثم كانوا في شك هل فلكه فوق الزهرة او تحته
حتى اتى الرئيس على ابن سينا ورصدها حتى كشف الشمس وراى الزهرة
في الشمس كالخال في الوجنة فعلم ان فلكها تحت الشمس وقد زعم بعض
المهندسين ان فلك الزهرة دون فلك عطارد فوق فلك الشمس وكذبه
بن سينا لرؤيته تلك وذكروا ان لكل كوكب من الكواكب السيارة في
فلكه الذى يخصه مرصع فيه كالفص في الخاتم والافلاك السبعة
دائرة من المغرب الى المشرق بدليل ان الهلال في الليلة الاولى من الشهر
في مكان وفي الثانية ينقل الى مكان اخر الى جهة الشرق وهكذا وثالثه
ورابعه الى اخر الشهر حتى تشمل لفلكه الدوره وهو ان يعود الى النقطة
التي كان عليها اولا وهذه الحركة للفلك لا للكواكب وهي الحركة الذاتية
المختصه بكل فلك وهذه الافلاك السبعة وفلك البروج وهو
فلك الثوابت يحيط بها فلك تاسع يسمى الفلك الاطلس لانه لم يظهر
للعين فيه شيء من الكواكب ولعله فيه كواكب لم تر للبعد المفرط
ولهذا الاطلس يدور بما في باطنه من الافلاك الثمانية في كل يوم وليلة
من المشرق الى المغرب دورة كاملة فحينئذ لكل فلك من الثمانية

دورتان

٧١

دورتان ذاتية وهي التي من المغرب الى المشرق وقسرية هي التي من المشرق
الى المغرب وشبهوا ذلك بنملة على رحى فالرحى تسعى الى جهة اليمين
مثلاً والنملة الى جهة اليسار فللنملة حركتان ذاتية وقسرية وانما سميت هذه
الحركة العظمى قسرية لانها تقسر الافلاك وتديرها الى غير جهة حركتها
الذاتية عكساً ولهذه الحركة ترى الشمس لكل يوم في شروق وغروب
والافلاك كلها ما يدور الدورة الكاملة الا بعد مضى سنة شمسية ولله
در الارجاني حيث يقول سعى اليكم في الحقيقة والذى
تجدون عندكم فسعى للدهرى ✤ انحوكم ويرد وجهي القهقرا
دهرى فسيرى مثل سير الكوكب ✤ فالقصد نحو المشرق الاقصى له
والسير راى العين نحو المغرب ✤ ولقد اخذ هذا المعنى الشيخ تقي الدين
بن دقيق العيد ونظمه واجاد واتى به في بيت واحد فقال

الحمد لله كم اسعى بعزمي في ✤ نيل العلى وقضاء الله ينكسه
كانني البدر يبغي السير والفلك ✤ الاعلى يعارض مسراه فيعكسه

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل جبرائيل عليه السلام
هل زالت الشمس فقال له جبرائيل عليه السلام لا نعم فقال له صلى الله

عليه وسلّم لم قلت لا نعم قلت نعم فقال بينما قلت لك لا جرت
الشمس خمسماية عام قيل ان هذه الحركة التي ذكرها جبريل عليه السّلام
هي حركة الشمس القسيرية لا الذاتية وهو حركة الفلك الاعظم وقال الا
مام فخر الدين انه بقدر ما يرفع الفرس سنبكه من الارض ويضعه
وهو اقوى جرية يتحرك الفلك الاطلس كذا كذا الف ميل وكما قال فسبحان الله
العظيم ذو القدرة والجلال والعظمة لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ
مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وفي المواقف وشرحه
وزعموا ان للثوابت مع كونها متحركة بالحركة اليومية تبعاً الفلك
الافلاك حركة خاصة بها بطية جدّاً وانّما تتم الدورة في ثلاثين الف
سنة وقيل في ستة وثلاثين الف سنة وقيل في ثلاثة وعشرين الف
وسبعماية وستّين سنة وقيل في خمسة وعشرين الف سنة
وهذا هو الموافق للرصد الّذي الجديد الذي بمراغه وانّما حكموا
باتمام الدّورة فيما ذكر من المدد اذ قد احسوا منها بحركة بطيئة
بالرّصد على وجوه مختلفة واعتقادهم انها تتم الدّورة لدوامها
على زعمهم فقدروا بالحساب تمام الدّورة في هذه المدد المختلف فيها

كالحصاة

72

كالحصاة وانما سميت بالثوابت اما لبطو حركتها فلا تحس الا بتدقيق
النظر في احوالها المعلومة بارصاد بينها مدد طويلة ولذلك اختلف
على الاول حتى زعموا ان الافلاك ثمانية وان الحركة اليومية لكثرة
الثوابت واما الثبات اوضاعها بعضها من بعض في القرب
والبعد والمحاذاة انتهى وهذا الذى ذكروه امر ممكن في نفسه لولا مصادمة
ما نقلناه اولا فانه صريح فى ان السير للشمس والقمر والكواكب انفسها
وحديث جبرئيل المذكور انفا صريح فى ذلك وتاويل جرى الشمس بجري
فلكها من حركة الفلك الاطلس له القسرية خلاف الظاهر والمعروف
من الادلة الشرعية ان الشمس والقمر كل يوم يقطعان فلكهما بكماله
وكل يوم تطلع الشمس من مشرق لا تطلع منه في اليوم الثانى وتغرب في
مغرب لا تغرب منه في اليوم الثانى الي كمال السنة واليه الاشارة بقوله
تعالى اقسم برب المشارق والمغارب واما قوله تعالى رب المشرقين
ورب المغربين فالمراد بهما مشرقا الشتا والصيف ومغرباهما
اخرج السيوطي عن ابى الشيخ عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابزى
فى قوله تعالى رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ قال للشمس ثلثماية وستون برجا

كالحصاة

في المشرق وثلثماية وستون برجا في المغرب لا تطلع يومين من برج
واحد ولا تغيب يومين في برج واحد واخرج عنه عن يحيى بن
ادم قال الشمس تمكث شهرا والبروج ثلثون مطلعا بين كل مطلعين
شميرة حتى تستكمل ثلثين يوما ثم تتحول الى برج اخر واخرج
عن علي ابن ابي طالب قال ان الشمس اذا غربت هتف معها ملكا موكلان
بها يجريان معها ما جرت حتى اذا وقعت في قطبها حذا بطنان
العرش خرت ساجدة حتى يقال لها امضي فتمضي بقدرة الله تعالى
فاذا طلعت اضاء وجهها سبع سموات وقفاها لاهل الارض وفي
السماء ستون وثلاثماية برجا كل برج منها اعظم من جزيرة العرب
للشمس في كل برج منها منزلة حتى اذا وقعت في قطبها قام ملك
بالمشرق فقال اللهم اعط منفقا خلفا وقام ملك بالمغرب فقال
اللهم اعط ممسكا تلفا فاخرج عنه وعن ابن عساكر عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال للشمس ثلاثماية وستون كوة تطلع في كل يوم في
كوة فلا ترجع الى تلك الكوة الى ذلك اليوم من العام المقبل ولا تطلع
الا وهي كارهة تقول لا تطلعني على عبادك فانهم يعصونك وذكر

لبعض اهل

لبعض اهل الكشف ان لكل من القمر والشمس والكواكب فلكا صغيرا
يدور بنفسه في فلكه الكبير والفلك الكبير بطي الدورة وذلك
الفلك الصغير سريع الدورة قال وما تراه من خنس الكواكب وهو رجوعها
فانه لاختلاف دورها في دوران الفلك فيسبقه بالدور بحسبها
الشخص راجعة ولم ترجع اذ لو رجعت لخرب العالم كله وذكر ايضا
ان دور فلك سماء الدنيا مسيرة احدى عشر الف سنة والقمر
يقطعه في اربعة وعشرين ساعة ودور الفلك السماء الثانية
مسيرة ثلاثة عشر الف سنة وثمانماية سنة وثلاثة وثلاثين سنة
وماية وعشرين يوما وعطارد يقطع جميع ذلك في مضي اربعة
وعشرين ساعة معتدلة ودور فلك السماء الثالثة مسيرة خمسة
عشر الف وستة وثلاثين سنة وماية وعشرين يوما وكوكبها
الزهرة يقطعه في اربعة وعشرين ساعة ودور فلك السماء
الرابعة مسيرة سبعة عشر الف سنة وتسع وعشرين سنة
وستين يوما والشمس تقطعه في اربعة وعشرين ساعة
معتدلة ودور فلك سماء الخامسة مسيرة تسعة عشر الف وثمانماية

وثلاثين سنة ومایة عشرين يومًا والمريخ يقطعها في اربعة وعشرين
ساعة ودور فلك السماء السادسة مسيرة اثنين وعشرين الف سنة
وستين سنة وثمانية اشهر والمشتري يقطعه في اربعة و
عشرين ساعة ودور فلك السماء السابعة مسيرة اربعة وعشرين
الف سنة وخمسماية عام وزحل يقطعها في اربعة وعشرين ساعة
قال وجمع الكواكب الثمانية لكل منهم سير خفي ضعيف لايكاد يتبين
منهم من يقطع كل برج في الفلك في ثلاثين الف سنة ومنهم
من يقطع باكثر واقل ولاجل دقتهم وكثرتهم لايعرفون وليس لهم اسم
عند اهل الحساب ولكن اهل الكشف يعرفون اسم كل نجم ويخاطبونه
باسمه ويسئلونه عن مسيره فيجيبهم ويخبرهم بما يقتضيه
في فلكه غريبة ذكر الشيخ الاكبر قدس سره انه راى في بعض
اهرام مصر مكتوبا بخط لايعرفه كل احد عمرت هذه الاهرام والنسر في
برج الحمل قال قدس سره النسر في هذا اليوم في برج الدلو فيكون
قد تحول احد عشر برجًا فيكون من مدة ابتداء عمارة الاهرام
الى يوم قراه الشيخ لذلك ثلاثمائة الف سنة وكذا كذا سنة

لان الشيخ

لان الشيخ قدس سره لم يبين انه في اوله او في اخره فسبحان من ليس
لاوليته بداية وليس لاخره نهاية فان قلت فعلى ما ذكر الشيخ
يلزم ان يكون بنا هذا الاهرام قبل ادم لان من ادم الى زمان الشيخ
لم يتم سبعة الاف سنة قلت نعم ولا مانع من ذلك فان الله
تعالى قد خلق قبل ادم خلقا واسكنهم الارض واستدل له بعض
الاكابر بقوله تعالى حكاية عن الملائكة اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء قائلا ان الملائكة لم يقولوا ذلك الا عن معاينة
فلو لم يشاهد والسفك والفساد في الارض قبل آدم لما قالوه وروى
انه كان قبل ادم في الارض خلق فارسل اليهم نبيا اسمه يوسف
فقتلوه فادم لم يكن اول مخلوق اسكن الارض وفي الخبر ان ادم لما
سكن الارض فقالت الارض يا آدم قد جيئتني بعد ما ذهبت جدتي
ونضرتي وقد خلت اى بليت وروى عن محمد الباقر عليه السلام
انه قال قد انقضى من قبل ادم الذي هو ابونا الف ادم واكثر وروى
عن جعفر الصادق رضي الله عنه مائة الف ادم وذكر السيوطي في
محاضراته انه وجد بقلم على بعض اهرام مصر انه بني منذ ستة

وثلاثين الف سنه وقيل اثنين وسبعين الف سنة وذكر الشيخ
الاكبر قدس سره في الفتوحات انه شاهد قوما بالطواف لا يعرفهم
فانشدوا بيتين حفظ احدهما ونسي الاخر وهو لقد طفتم كما
طفنا سنينا . بهذا البيت طرا اجمعونا فقال لواحد منهم من
انتم قالوا نحن من اجدادك الاول فقال كم لك من الزمان منذ مت
قال بضع واربعون الف سنة فقال ليس لادم قرب من تلك السنين
فقال عن اي ادم تقول عن هذا الاقرب اليك ام عن غيره قال
ففكرت في ذالك ودهشت فتذكرت حديثا روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق قبل ادم الذي هو ابوكم مائة الف
ادم قال قدس الله سره اجتمعت مرة في عالم الارواح مع ادريس
وسالته عن صحت ذلك الكشف والخبر في ذلك لان كل كشف لا
يعضده خبر صحيح لا يعول عليه عند المحققين وقال ادريس عليه
السلام صدق الخبر وصدق شهودك ومكاشفتك في ذلك ونحن
معاشر الانبياء امنا بحدوث العالم وانقطع علمنا عن مبدا الاعيان
والاكوان قال قدس سره فالتاريخ لبداية العالم مجهول لكن انقله

صاحب محاذر

75

صاحب محاضرات الاوايل وقد نقل القيصرى هذه المكاشفة
عن الشيخ من الفتوحات وذكرانه لما سئله عن مدة وفاته واخبر
بذلك قال الشيخ ان من ادم الى يومنا لم تكمل السبعة الاف سنة
بعد فقال عن اى ادم تقول عن هذا الذى كان قريباً منكم الذى
ظهر فى السبعة الاف سنة مقتضى هذه العباره اولا هذه انه كان
على دوركل سبعة الاف سنة ادم لكن ادم الذى هو ابونا هو اخرهم
لانه لا ادم بعده اذا القيمة تقوم على نبيه كما جاء مصرحا به فى
الاحاديث فلا تغتر بما فرع القيصرى على هذه الواقعة مما يوهم
ذلك خلاف **تذييل** فى اول ما يكون الجنين فى الرحم يتولى فى
الشهر الاول بتدبيره زحل وفى الثانى المشترى وهكذا حتى يتولى
فى السابع تدبيره القمر فان ولد فيه عاش لان خلقته قد تمت
واستوفى طبايع الكواكب قواها واما الشهر الثامن فيتولى
عليه البرد والجمود والضعف فان ولد فيه مات واما التاسع فيتولاه
المشترى فيكتب المولود قوة وحرارة وصلاحا فاذا ولد فيه عاش
كذا نقل من شرح لامية العجم [illegible] قال كيما ووسن عمر

ان المد بانصباب الانهار في البحر والجزر يكون بسكونها وهذا القول
باطل من وجوه الاول انا شاهدنا الانهار لا يحصل لها الانصباب
الا في حالة الجزر واما في حالة المد فانها تسكن ماء المد لها وايقافه
اياها حتى ان يغلبها فيردها راجعة على اثرها فيحصل المد للانهار
مقدار عشرين فرسخا واكثر واقل وليغلب على الطرف الملاقي
للبحر ملوحة ماء البحر بمقدار فرسخ فاكثر واقل الوجه الثاني انا لا نسلم
ان انصبابها لا يوجب المد ومتى يتاثر هذا البحر العظيم من انصبابها
حتى يحصل له ذلك فانا لو سلمنا ان جميعها ينصب في البحر لم يحصل له
التاثير الموجب للمد فكيف ذلك غير محقق فان مجموعها كما ذكره
بطليموس ماية نهر وذلك لا يوجب تاثيرا تاما يحصل منه اندفاع
ماء البحر حتى يحصل المد وعلى الخصوص في حالة نقص الانهار لان
انصبابها حينئذ ضعيف جدا الوجه الثالث ان وهب بن منبه
رضي الله عنه انه ذكر ان الثور والحوت يبتلعان ما ينصب من مياه
الارض في الارض قال فلذلك لا ثور في البحر زيادة فاذا امتلات اجوافهما
من المياه قامت القيمة انتهى واذا كان الاخر كذلك بطل القول

بان موجب

بان موجب المد هو انصباب الانهار لانه حينئذ لا يحصل الا عن تاثير زيادة
مياهه وقد علمت انه لا يوثر زيادة الوجه الرابع ان بطليموس زعم ان
مياه الانهار المنصبة في البحار اذا اشرقت الشمس عليها صعدت
تلك المياه الى الجو بخارا وانعقدت غيوما ابدية كالدولاب الداير فلا
يزال الامر كذلك حتى يبلغ الكتاب اجله انتهى فان صح ذلك بطل القول
بان موجبه الانصباب لانه في حالة ارتفاعها وبعده بقليل يقتضي
ان لا يحصل مد لانه لم يبق شيء من ماء الانهار ولم يحصل انصباب يوجب
تاثير في المد واللازم باطل واعلم ان ما ذكره بطليموس امر ممكن في نفسه
لا يرده العقل اذ من الجايز ان يصعد الله تلك المياه عند اشراق الشمس بخارا
ويعقدها غيوما فلا مانع من ان يتقيد فعله تعالى بوقت دون وقت
اذ هو الفاعل المختار فله ان يقيد فعله بوقت دون وقت وله ان يطلقه
وانما المحذور في اعتقاد ان الشمس تفعل ذلك بطبعها او بقوة اودعت
فيها فلا وجه لرد بعض المتاخرين هذا القول والتشنيع عليه فانه ليس
في كلامه ما يدل على ان الشمس هي الفاعلة لذلك والموثرة فيه وما علينا
من اعتقاده فوايد الاولى ذكر البكري ان مجموع ما في الارض من الانهار

الكبار مايتان وتسعون نهرًا ومن العيون الكبار مايتان وثلثون عينًا قال
وهي في الارض كالعروق في البدن ووجه الجميع بين ما ذكره وماذكره
بطليموس ان بطليموس اراد الانهار الواقعة في الرابع المعمور كما حكاه
بن الوردي عنه مقيدا له بذلك والبكرى اراد المجموع الانهار الكاينة
في الارض كما حكاه عنه من عي مطلقا غير مقيد بالمعمور **الثانيه** قيل حق
الماء ان يكون على سطح الارض لكن لما كان منها المرتفع والمنخفض انحاز الماء
الى عمق الارض فانضغطت وطلبت التنفس فانفتقت عيونا قال بعض
المتاخرين بعد نقله لهذا القول والصحيح ان انفتاق العيون وتفجير
الانهار بقدرة الفاعل المختار لا كما يقوله الفلاسفة والطبايعيون واقول
ان عنوا بذلك ان الماء قد اثر في الانفتاق وانه حصل لها من الضغط وان
الموثر فيه ذلك فكلامهم باطل والا فلا مانع من ان يخلق الله ذلك عند
ذلك لا به لذلك لانه تعالى يفعل عند الاشياء لا بها **الثالثة** كل ماء
عذب من بير او نهر او عين فمن الماء المنزل من السماء لقوله تعالى افرايتم
الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون وقال تعالى
وانزلنا من السماء ماءً بقدر فاسكناه في الارض فاذا قربت الساعة

بعون الله

77

بعث الله ملكا معه ملك لايعلم عظمه الا الله تعالى فجمع تلك المياه
فردها الى الجنة كذا فى خريدة العجايب الرابعة قال بطليموس ان من الانهار
ما يجرى من المشرق الى المغرب ومنها ما يجرى بالعكس ومنها ما يجرى
من الشمال الى الجنوب ومنها ما يجرى بالعكس وكل هذه بدؤها من الجبال
وتنصب فى البحار بعد انتفاع العالم بها وفى ضمن ممرها تتصور بطايح
وبحيرات وان منها ما طوله خمسين فرسخا ومنها ما هو اكثر من ذلك
الى الف فرسخ انتهى الخامسة جاء فى الحديث ان النيل يخرج من الجنة
ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها واخرج السيوطى فى الهيئة
عن مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة واخرج عن البيهقى
عن كعب قال نهر النيل نهر العسل فى الجنة ونهر دجلة نهر اللبن فى الجنة
ونهر الفرات نهر الخمر فى الجنة ونهر سيحان نهر الماء فى الجنة واخرج
عن احمد والحاكم وصححه الحاكم عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال رفعت لى سدرة المنتهى فى السماء السابعة
يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان قلت يا جبرائيل

ما هذان قال اما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات
قلت قد حصل من مجموع هذه الاحاديث ان من انهار الجنة خمسة
في الارض سيحان وجيحان والفرات والنيل ودجلة فلا وجه لقول
ابن الوردي في الخريدة وزعم اهل الكتاب ان اربعة انهار تخرج من الجنة
الفرات وسيحان وجيحان ودجله وذلك انهم يزعمون ان الجنة
في مشارق الارض الدال على خطا هذا القول وافترايه لانه زعم مطيت
الكذب فان قلت انما قال ذلك لخطاهم في قولهم ان الجنة في الارض
قلت هذا علة لقولهم والخطا في العلة لا يستلزم خطاء المعلول
فان قلت ما وجه الجميع بين حديث مسلم الذي اخرجه عن ابي هريرة
وحديث انس الذي صححه الحاكم فان مقتضى الثاني ان النيل والفرات
ليسا من انهار الجنة وصريح الاول انهما منهما قلت تندفع المعارضة
بينهما بان يقال انهما بعد خروجهما من سدرة المنتهى يدخلان الجنة
ثم يخرجان منها وبهذا الاعتبار يصح نسبتهما الى الجنة ويقال
انهما من انهار الجنة فان قلت هذا التوجيه ينافي قول جبرائيل
عليه السلام اما الباطنان ففي الجنة فانهما لو كانوا يمرون بها

فينسد

٧٩
77a

فينسب ان اليهما ما صح التخصيص قلت لا منافاة لان تخصيص الباطنين في
الجنة في حديث جبرائيل عليه السلام انما هو لانهما لا يخرجان منهما وحيث
كانت هذه الخمسة من انهار الجنة فلا باس بالتعرض لذكرها تتميما للفائدة
فنقول وبالله التوفيق اما النيل فهو سيدها اخرج السيوطي عن ابن ابي
حاتم عن عبد الله بن عمرو قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر
من المشرق الى المغرب فاذا اراد الله ان يجري نيل مصر امر كل نهران يمده
فامدته الانهار بمايها وفجر الله له الارض عيونا فاذا انتهى جريه الى ما
اراد الله اوحى الله الى كل ماء فرجع الى عنصره وقيل ان النيل من عجايب
انهار الدنيا لانه ليس له فيها نهر يزيد في شدة الحر حتى تنقص له الانهار
كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل وذكر ابن الوردي
في خريدة العجايب انه ليس في الدنيا نهر اطول من نهر النيل مسيرة شهرين
في الاسلام وشهرين في الكفر بالبرية واربعة اشهر في الخراب ومخرجه
من بلاد جبل القمر خلف خط الاستواء فيخرج منه هابطا بين جبال الذهب
على بلاد الحبشة الى كوكو الى اهواز الى قوص الى اخميم الى مصر الى البحر المالح
وينصب في بحر الروم وطوله من جبل القمر الى البحر الف فرسخ واربعون فرسخا

قيل وسمّي هذا الجبل بجبل القمر لتلونه بزيادة القمر في كل ليلة ففي اول ليلة يعلوه
نور ابيض وفي الثانية يعلوه نور اصفر كشعاع الشمس وفي الثالثة تتبين
منه قاعدة وفي الرابعة يكسوه نور احمر مثل النار وفي الخامسة يعلوه نور
اخضر شعاعي فيتلون كذلك كل ليلة الى ليلة البدر فيكون كذنب الطاوس
لا يخفى على من قرب منه من النوبة والحبشة لشدة نوره ويخرج منه انهار كثيرة
تجتمع في بحيرات في وسط هذه الصحراء وفي الخريدة يسمى جبل القمر لا
يطلع عليه اصلاً لخروجه عن خط الاستوا وميله عن نوره وضوءه يقال
ان هرمس الحكيم قد حملته الشياطين الى هذا الجبل وراى النيل كيف يجري
من البحر الاسود ويدخل تحت جبل القمر فبنى في سفح ذلك الجبل قصراً فيه خمسة
وثمانين تمثالاً من نحاس فجعلها جامعة لما يخرج من ماء هذا الجبل
بمعاقد ومصاب واحكام مدبرة يجري الماء منه الى تلك الصورة والتماثيل
فيخرج من حلوقها على قياس معلوم واذرعة معدودة فتصب الى انهار
كثيرة فتتصل بالبطيحة وعلى هذه البطيحة بلاد السودان وبها جبل
معترض فيخرج النيل منه نهراً واحداً ويفترق في ارض النوبة ففرقة
تمر الى اقصى المغرب وعليها غالب بلاد السودان فتمر على بلاد النوبة

الى جبال الاركان

٧٨

الى جبال الاركان الى بلاد الزنج الى البحر الاعظم المحيط في ناحية المغرب
والفرقة الاخرى تصب الى مصر الى البحر واخرج السيوطي في الهيئة السنية
عن الشيخ في العظمة عن الليث بن سعيد قال بلغني انه كان رجل من بني
العيص يقال له حايد بن ابي شالوم ابن العيص بن اسحق بن ابرهيم عليه
الصلوة والسلام خرج هاربا من ملك من ملوكهم حتى دخل ارض مصر
فاقام بها فلما راى عجيب نيلها جعل الله عليه ان لا يفارق ساحلها حتى
يبلغ منتهاه من حيث يخرج او يموت فسار عليه قيل ثلاثين سنة في الناس
وثلاثين سنة في غير الناس وقيل خمسة عشر كذا وخمسة عشر كذا
حتى انتهى الى بحر اخضر فنظر الى النيل يخترق مقبلا واذا رجل قايم يصلي
تحت شجرة تفاح فلما راه استانس به وسلم عليه فقال له من انت قال
انا حايد بن شالوم بن العيص فمن انت فقال انا عمران بن فلان ابن العيص
فما الذي جاء بك يا حايد قال جيت من اجل هذا النيل قال انا جاء بي الذي
جاء بك حتى انتهى الى هذا الموضع فاوحى الله الي ان اقف هنا حتى ياتي امره
قال له حايد اخبرني ما انتهى اليك من امر هذا النيل وهل بلغك في الكتب
ان احد من بني ادم يبلغه قال نعم بلغني ان رجلا من بني العيص يبلغه ولا

اظنه غيرك قال كيف الطريق اليه قال سر كما انت عليه هذا البحر فانك ستاتي
دابة ترى اولها ولا ترى اخرها فلا يهولنك امرها وهي معادية للشمس
اذا اطلعت اهوت اليها لتلقمها واذا غربت اهوت اليها كذلك فاذا
كبتها تذهب بك جانب البحر فسر عليها فانك ستبلغ ارضا من حديد
فان جزتها وقعت في ارض من نحاس فان جزتها وقعت في ارض من
فضة فان جزتها وقعت في ارض من ذهب فيها ينتهي اليك علم النيل
فسار حتى انتهى الى ارض الذهب فسار فيها حتى انتهى الى سور من ذهب
شرفه من ذهب وقبة من ذهب لها اربعة ابواب فنظر الى ماء ينحدر
من فوق ذلك السور حتى يستقر في القبة ثم يتصرف في الابواب
الاربعة فاما ثلاثة فتغيض في الارض واما واحد فيسير على وجه
الارض وهو النيل فشرب منه واستراح واهوى الى السور ليصعد فاتاه
ملك فقال له يا حايذ قف مكانك فقد انتهى اليك علم هذا النيل
وهذه الجنة وانما ينزل من الجنة انتهى وذكر بن الوردي هذا الخبر
في خريدة العجايب وزاد فيه ان الثلاثة التي تغيظ في الارض سيحون
وجيحون والفرات وانه اتاه ملك بعنقود من العنب فيه ثلاثة الوان لون

كاللؤلؤ

79

كاللؤلؤ ولون كالزبرجد الاخضر ولون كالياقوت الاحمر وقال له يا حايد
هذا من حصرم الجنة فاخذه حايد ورجع فراى شيخا تحت شجرة من
تفاح فانسه وحدثه فقال له يا حايذ الا تاكل من هذا التفاح فقال ان
معي طعاما من الجنة واني استغني عن تفاحك فقال له صدقت
يا حايذ اني لاعلم انه من الجنة ولم يزل به ذلك الشيخ حتى اكل من التفاح
وحين عض على التفاحة راى ذلك الملك وهو يعض على اصبعه
ويقول اتعرف الشيخ قال لا والله قال هو الذى اخرج اباك من الجنة
ولو قنعت بالعنقود الذى معك لاكل منه اهل الدنيا ما بقيت الدنيا
ولم ينفد وهو الان مجهودك قال فبكى حايذ وندم ثم سار حتى
دخل مصر وجعل يحدث الناس بما راى في مسيره من العجايب
انتهى قلت ان صح هذا الخبر فهذه الجنة غير الجنة التى اعدها الله
لعباده المتقين لان تلك في السماء كما هو مذهب الجمهور والجنة
لغة تطلق على الحديقة ذات الاشجار فان قلت خروج النيل منها
يدل على انها هي لان الاحاديث التى دلت ان النيل من انهار الجنة
تدل على ان الجنة التى يخرج منها النيل هي جنة الخلد اذ هي المراد عند

الاطلاق قلت الجنة اذا اطلقت يراد بها جنة الخلد الا ان تلك الجنة
لما كانت في السماء وهذه في الارض لم يجز حمل هذه على تلك ووجب
التاويل بان الماء ينزل من جنة الخلد الى هذه الجنة ثم يخرج منها ولعل
في قوله هذه الجنة وانما ينزل من الجنة اشارة الى ذلك حيث اعاد ذكرها
بلفظها ولم يعدها بالضمير لان الاتيان بالمظهر موضع المضمر خلاف
مقتضى الظاهر فلا بد له من نكتة ويحتمل ان تكون النكتة هذه فان
قلت ينافي ما ذكرت قولهم ان المعرفة او النكرة اذا عيدت معرفة
كان عين الاولى كما ان النكرة اذا اعيدت نكرة كانت غيرها بدليل
قوله تعالى وارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فان الرسول
الذى عصاه هو الذى ارسل اليه وقوله تعالى فان مع العسر يسرا
ان مع العسر يسرا فان العسر الثانى هو عين العسر الاول بخلاف اليسر
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب العسر يسرين قلت هذا حكم
اغلبى لا كلى والمثال الجزئى لا يثبت القاعدة الكلية واما الفرات
هو نهر عظيم عذب طيب ومخرجه من ثغور ارمينية ثم يمتد الى
فاليقا والى ملسطية والى الرقة الى عانه ويمر بصفين موضع حرب

على معاويه

80

علي ومعاوية ثم ينصب بعضه في دجلة وبعضه عن الى بحر فارس فنصب فيه
وروى عن علي رضي الله عنه انه قال يا اهل الكوفة ان نهركم هذا ينصب اليه
ميزابان من الجنة وروى عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه شرب
من ماء الفرات ثم استزاد وحمد الله تعالى وقال ما اعظم بركته لو يعلم
الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافته القباب ما انغمس فيه ذو عاهة
الا شفي وعن السدي ان الفرات مد في زمن عمر رضي الله فالقى فيه
رمانة عظيمة فيها كثير من الحب فامر المسلمين ان يقسموها
بينهم واما نهر دجلة فهو نهر بغداد فيخرجه من اصل جبل بقرب آمد
بديار بكر ويمتد الى حصني كيفا والي جزيرة بن عمر والى موصل ويمتد الى
بغداد والى واسط والى البصرة وينصب الى بحر فارس وعن ابن عباس
قال اوحى الله عز وجل الى دينال عليه السلام ان اجر لصالح عبدي نهرا
واجعل مصبه في البحر فقد امرت الارض ان تطيعك قال فاخذ
خشبة فجرها في الارض والماء يتبعه وكلما مر بارض يتيم او امراة
او شيخ ناشده الله فيحيد عنهم وهو الدجلة وهي نهر مبارك
في الغالب ينجوا غريقه وحكي انهم وجدوا غريقا فاخذوه فاذا فيه رمق

فلما رجعت روحه اليه سالوه عن مكانه الذي وقع فاخبرهم فكان
موضع وقوعه الى موضع نجاته خمسة ايام واما جيحون فهو عظيم
يخرج من جدود بدخشان ثم ينظم اليه انهار كثيرة من جدود الجبال
ودخش فيصير نهرا عظيما ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم
وينصب في بحيرتها وهذا النهر يجمد في الشتاء عند قوة البرد
فيجمد قطعا قطعا ثم تصير تلك القطع على وجه الماء حتى يلتصق
بعضها ببعض الى ان تصير سطحا واحدا على وجه الماء في سمك ذراعين
او ثلثة اذرع ويستحكم حتى تمر عليه الدواب والقوافل ويبقى
كذلك نحو الشهر والشهرين فاذا انكسر البرد عاد الى حالته وهو نهر
قتال قل ان ينجوا منه غريق نهر سيحون نهر عظيم ومخرجه من نحو
ثلاثة اميال من مدينة ملطيه ويجري في بلاد الروم وينصب في بحر الروم
وحيث تعرضنا لهذه الانهار وانساق الكلام الى ذلك فلا باس بالتعريض
لذكر بعض العيون وذكر عجايبها تتميما للفائدة فمنها عين بقرية
من قرى قزوين اذا شرب الانسان منها انسهل انسهالا شديدا ويمكن
الانسان ان يشرب منها عشرة ارطال لخفته ومنها عين باذخاني

قال صاحب

٨١

قال صاحب تحفة الغرائب اذا اراد اهل هذه القرية هبوب الريح اخذوا
خرقة الحيض ووضعوها فى الماء فتحرك الرياح ومن شرب من مائها
ولو جرعة انتفخ بطنه كالطبل ومن حمل ذلك الماء الى مكان اخر
انعقد حجرا **ومنها** عين حاج قال صاحب تحفة الغرائب
اذا كانت السماء مصحية لا يرى فيها قطرة ماء واذا كانت مغيمة
امتلأت ماء **ومنها** عين باميان قال فى كتاب تحفة الغرائب بارض
باميان عين ينبع منها ماء كثيرة بصوت عظيم وجلبة يشم منها
رايحة الكبريت من اغتسل بمائها زال عنه الحكة والجرب والدماميل واذا
جعل من مائها فى اناء وسد الاناء سدا محكما وترك يوما صار كالطين
فان قرب من النار اشتعل والتهب وبناحية باميان جبال فيها
عيون لا تقبل شيء من النجاسات واذا القي فيها احد شيء من النجاسات
هاج الماء وفار فان الحق الذى القاه غرقه **ومنها** عين غزنة اذا
القي فيها شيء من النجاسات والقاذورات تغير الهواء فى الحال ويظهر
البرد والريح والمطر والثلج ويبقى ذلك الى ان يزول منها تلك القاذورات
وحكى ان السلطان محمد تغمده الله برحمته لما اراد فتح غزنة جعل اهلها

كلما قصد اليها يلقون في تلك العين شيئاً من القاذورات فتقوم القيمة
من شدة البرد والريح والمطر فيرجع بعسكره كالمكسور وصلى ليلة من
الليالى ودعا وقال الهى ان كان قصدى فى هذه البلاد حظوظ الدنيا
فجرد عزمى عن ذلك وان كان قصدى التوبة والاخرة وتقوية دولة
الاسلام فاجعل الى فتحها سبيلاً وارح عبادك المسلمين المجاهدين فى
سبيلك ثم سجد سجدة ونام وجهه على التراب فاتاه اتٍ وخاطبه
بكلامٍ بيّن وقال قايلاً يابن سبكتكين ان اردت الخلاص من هذه المحنة
فارسل جنوداً لحفظ العين وقد افتحت غزنه فسعيك مشكوراً وفعلك
مبروراً فانتبه وارسل مقدماً لحراسة العين ثم زحف على غزنه
وافتحها كطرفة عين ومنها عين سياه سنك قال فى تحفة الغرايب
بجرجان موضع يسمى سياه سنك به عين على تل يأخذ الناس منها
الماء للشرب وهو عذب طيب فى الطريق الى العين دودة معروفة
بين اهلها فمن اخذ من ذلك الماء واصابت رجله تلك الدودة وهو
ذاهب بالماء صار الماء مراً علقماً فيرقه ويمضى الى ماء ثانياً
عين الاوقات وهى فى المغرب لاتجرى الا فى اوقات الصلوة الخمس فى

اولها

اولها ثم تنقطع ولبثه قدر ما يتوضا الانسان **عين غرناطه**
قال الاندلسي بقرب غرناطه كنيسة عندها عين ماءٍ وشجر زيتونٍ
يقصدها الناس في يوم معلومٍ من السنة فاذا طلعت الشمس
في ذلك اليوم فاضت تلك العين ثم ظهر على تلك الشجرة زهر
الزيتون ثم ينعقد زيتونا في الحال والوقت ويكبر ويسود في يومه
ذلك وتاخذه الناس وياخذون من ماء ذلك العين كل احدٍ
بمقدرته ويدخرون ذلك والزيتون والماء للتداوى ولذلك فيما
بينهم منافع عظيمة **ومنها** عين شبرم وهي بين اصفهان وشيراز
فاذا وقع الجراد بارضٍ حمل اليها من تلك العين ماءً في ظرفٍ وغيره
فيتبع ذلك الماء طيور سود وتسمى السمرمر بحيث ان حامل الماء
لا يضعه على الارض ولا يلتفت وراءه فتبقى تلك الطيور على
راس حامل الماء مثل السحابة السودا الى ان يصل الى الارض التي فيها
الجراد فتصيح الطيور عليها وتقتلها فلا ترى من الجراد متحركا وتموت
من اصواتها وهذا من عجايب الدنيا **الفايدة السادسة** قد ذكرنا
فيما سبق كلام بطليموس في السحاب فلنذكر كلام علماء الملة

فيه وفي المطر اما المطر فقد اخرج السيوطي في الهيئة عن ابي الشيخ
عن عطا قال السحاب يخرج من الارض ثم قرا الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا واخرج عنه ايضا عن خالد بن معدان قال في الجنة
ثمر تثمر السحاب فالسودا منها الثمرة التي قد نضجت التي تحمل المطر والبيضا التي
لم تنضج لا تحمل المطر واخرج عنه ايضا وعن احمد وابن ابي الدنيا عن الغفاري
سمعت رسول الله صلي الله عليه واله يقول ينشئ الله السحاب فينطق
احسن المنطق ويضحك احسن الضحك قال ابرهيم بن سعد المنطق الرعد
والضحك البرق وعن السدي يرسل الله الريح فتاتي بالسحاب من بين
الخافقين طرف السماء والارض حيث يلتقيان فيخرجه من ثم ثم يخشيه
فيبسطه في السماء كيف يشاء ثم يفتح ابواب السماء فيسيل الماء على
السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وعن عبيد بن عمير قال يبعث الله
ريحا فتقم الارض ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فيجعله ركاما
ثم الرابعة فيمطر واما المطر فعن بن عباس ان الله تعالى يبعث الريح
تحمل الماء من السماء ترمي به السحاب تدر كما تدر اللقحة وسئل الحسن
عن المطر امن السماء ام من السحاب قال من السماء انما السحاب علما ينزل

عليه الماء

عليه الماء من السماء وعن عكرمة ينزل الماء من السماء السابعة فيقطع
القطرة منه على السحابة مثل البعير وعن خالد بن معدان المطر يخرج
من تحت العرش فينزل من سماء الى سماء حتى يجتمع في سماء الدنيا
فيجتمع في موضع يقال له الابرم فتجي السحاب السود فتدخله فتشربه
مثل شرب الاسفنجة فيسوقها الله كيف يشاء وعن ابن عباس رضي الله
عنه المطر مزاجه من الجنة فاذا كثر المزاج عظمت البركة وان قل المطر واذا
قل المزاج قلت البركة وان عظم المطر وعن خالد بن يزيد قال المطر
منه من السماء ومنه ما يسقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق
واما ما كان من البحر فلا يكون له نبات واما النبات فمما كان
من السماء وعن بن مالك الغفاري قال سالت ابن عباس فقلت
تنزل الارض القفير فتمطر من الليل فتصبح من الغد في الارض ضفادع
خضر فقال بن عباس ان هذه السماء الدنيا الى التي تليها وما بينهما
ماء مطبق يجري فيه من الدواب مثل ما في ماءكم هذا وعن وهب
لا ادري المطر انزل قطرة قطرة من السماء في السحاب ام خلق في
السحاب فامطر وذكر اللقاني في شرح منظومته عمدة المريد ان مذهب

اهل السنة والاشاعرة كما دلت عليه الاحاديث ان السحاب من شجرة
مثمرة في الجنة والمطر من بحر تحت العرش خلافا للحكماء والمعتزلة
في ان منشاه البحر وانه اجسام ذوات خراطيم تاخذ الماء من البحر المالح
وتقصره الريح فيعذب انتهى اقول كان وجه جزمه بذلك نفي قول
الزاعم الامطار انما تتكون من البخارات المتصاعدة من قعر الارض
الى الجبال ومن الجبال الى السماء حتى صارت عذبة صافية بواسطة التصعيد
والسحاب يتالف ويتكون معه وبعضهم يقول ان السحاب له خراطيم
يغترف الماء من البحر ثم ان الماء المالح يحلوا بسبب التقطير اشار اليه
والا فقد علمت ما فيه من الخلاف ومن ثم ذهب بعضهم الى الوقف ومال
البعض الى ان الله تعالى يخلقها ابتداء بين السماء والارض متى شاء
ثم ينزل المطر متى شاء فيخلق سبحانه من العدم ما اراد في لحظة
واحدة وهذا العبرة فيه اتم والقدرة فيه اظهر قيل والحكم
في السحاب ما اخرجه ابو الشيخ عن كعب قال السحاب غربال المطر
ولولا السحاب حين ينزل الماء من السماء لفسد ما يقع عليه من الارض
واخرج عن ابي المثنى ان الارض قالت رب ارويني من الماء ولا تنزله

على منهم

84

على منهمر كما انزلته على اهل الطوفان قال ساجعل لك غرباً الا تتمة
قال صلى الله عليه وسلم ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها
يصرفه الله حيث يشاء اخرجه الشافعي في الام وعن ابن عباس يخلق الله
اللؤلؤة العظيمة في الاصداف من المطر بفتح الافواهها عند
المطر واللؤلؤة العظيمة من القطرة العظيمة واللولؤ الصغيرة
من القطرة الصغيرة القول الخامس نقله لي بعض اصحابي عمن اثق
بديانته وذكر لي ان قايله استدل عليه بحديث غريب عن باله
وهو ان الله تعالى خلق دابة تشرب من ماء البحر حتى ينقص ويحصل
الجزر وتتقياه فيزيد ويحصل المد ولعمري ان هذا امر ممكن في
نفسه لا يأباه عقل ذو نور ساطع ولا يرده نقل ذو نص قاطع
وان في قدرة الله تعالى ما هو اعظم من ذلك فقد ورد في الحديث
ان في السماء بحراً وتحت الارض بحراً وفيما بين السماء والارض بحراً و
ان بحرنا هذا بزق حوت وانه في نقرة ابهام ملك حكاه ابن الطلاع
في غرائب الحديث ونقله عنه زروق قدس سره في شرح حزب البحر
فاذا كان هذا البحر كله بزق حوت اي جلد وكان في نقرة ابهام ملك

المرجع: Or 14293 حق النشر: المُلكية العامة
اعرض على مكتبة قطر الرقمية: http://www.qdl.qa/العربية/archive/81055/vdc_100142220996.0x0000b3

جاز ان يخلق الله حوتا عظيما يشرب من البحر حتى يوثر فيه النقص ويحصل
الجزر ويتقيا فيزيد ويحصل المد الى ان يرجع الى حاله ثم يشرب وينقص
ويتقياه فيزيد وهكذا الى الاجل المعلوم عند الله وثبت ايضا في الخبر
عن وهب بن منبه ان لله دابة رزقها كل يوم مثل رزق العالم
باسره وفي حيوة الحيوان قال القشيري ان سليمان عليه السلام سأل
من الله ان يأذن له ان يضيف يوما جميع الحيوانات فاذن الله
له فاخذ سليمان عم في جميع الطعام مدة طويلة فارسل الله اليه
حوتا واحدا من البحر فاكل ما جمعه سليمان في تلك المدة ثم استزاده
فقال سليمان عليه السلام لم يبق لي شيئا وقال له انت تاكل مثل
هذا فقال رزقي في كل يوم ثلاثة اضعاف هذا ولكن الله لم يطعمني
اليوم الا ما اطعمتني فليتك لم تضيفني فاني بقيت اليوم جائعا
حين كنت ضيفك وقد مر ان الحوت الحامل للثور الحامل للملك
الحامل للارض قد التقا طرفاه تحت العرش وعن كعب الاحبار
قال ما خلق الله العرش قال لن يخلق الله اعظم مني فاهتز فطوقه الله
بحية وللحية سبعون الف جناح وفي الجناح سبعون الف ريشة

وفي كل

85

في كل ريشة سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف لسان يخرج
من افواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الاشجار وعدد
الحصى والثرى وعدد ايام الدنيا وعدد الملائكة اجمعين فالنوت
الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية عليه مع عظمة خلقه التي
تدهش العقول فقد روي ان الاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة
وان لله ملكا يقال له خرقائيل له ثمانية عشرة الف جناح ما بين
الجناح الى الجناح خمسماية عام اوحى الله اليه ايها الملك طر فطار عشرين
الف سنة ثم لم ينل راسه قائمة من قوايم العرش ثم زاد الله له في
الجناح والقوة فامره ان يطير فطار ثلاثين الف سنة فلم ينلها
فاوحى الله اليه ايها الملك لو طرت الى نفخ الصور مع اجنحتك وقوتك
لم تبلغ ساق العرش هذا مع ما علمت من سرعة طيران الملائكة. وقال
الثعلبي بلغنا ان بعض الانبياء قال يا رب لو ان السموات والارض
حين قلت لهما ائتيا طوعا او كرها عصتاك ما كنت تفعل بهما
قال كنت امر عليهما دابة من دوابي فتبلعهما قال يا رب اين تلك
الدابة قال في مرج من مروجي قال يا رب واين هذا المرج قال في علم

من علو مجي **لطيفة** ذكر سعيد بن جبير لما هبط الله ادم الي الارض
لم يكن فيها غير النسر في البر والحوت في البحر فكان النسر ياوي الى الحوت
فيبيت عنده فلما راى النسر ادم قال يا حوت لقد اهبط اليوم الى الارض
شيء يمشى على رجليه ويبطش بيديه قال الحوت لئن كنت صادقا
فمالى منه منجا في البحر ومالك منه منجا في البر **فوايد** الاولى
ذكر الدميري في حيواة الحيوان قال سال امام الحرمين هل البارى
تعالى في جهة فقال هو متعال عن ذلك فقيل له ما الدليل على ذلك
قال قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فقيل له
ما وجه ذلك فقال ما اقوله حتى ياخذ ضيفي هذا الف دينار يقضي بها
دينه فقام بها رجلان فقال ان يونس بن متى رمى نفسه في البحر
فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ولم يكن النبي صلى
الله عليه وسلم حين جلس على الرفرف الاخضر وانتهى الى ان سمع
صريف الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه واوحى اليه ما اوحى باقرب من الله
من يونس بن متى في بطن الحوت في ظلمة البحر انتهى قلت ولا يخفى

ان القوم

86

ان القرب المنفي انما هو اقرب المكاني واما القرب المعنوي فهو ثابت
له صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والاولياء والصديقين
والشهداء ولا شك انه صلى الله عليه وسلم اقرب الى الله من الكل
بهذا المعنا واذا علمت ذلك ان النفي المتسلط على افعل التفضيل في
عبارته هو للقيد والمقيد جميعا لا للقيد وحده جريا على القاعده
ان النفي اذا دخل على مقيد نفي القيد وبقي اصل الفعل واعلم
ان في هذا الحديث اشكالا من حيث المعنى وهو انه صلى الله عليه
وسلم قد اخبر بانه افضل الانبياء كما يشير اليه قوله صلى الله عليه
وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانعقد الاجماع على ذلك بل لم
يتوقف من قال بافضلية رسل الملائكة على رسل البشر في انه
صلى الله عليه وسلم افضل من الملائكة واذا كان كذلك فلا معنى
لنهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فالجواب عن ذلك باوجه
منها ما ذكره امام الحرمين وحاصله ان التفضيل المنهي عنه ليس
هو التفضيل المشار اليه في الحديث والمجمع عليه وهو التفضيل
بكثرة الثواب وكثرة المزايا ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك

قبل اعلام الله له بانه الافضل ومنها ان المنهى عنه هو التفضيل المودى
الى نقص فى المفضل عليه ومنها انه انما قال ذلك صلى الله عليه وسلم
تواضعًا وادبًا مع ربه **الثانية** روى الحاكم فى مستدركه عن الاصم
عن الربيع عن الشافعى رحمه الله عن يحيى بن سليم عن بن جريج
عن عكرمة قال دخلت على بن عباس رضى الله عنهما وهو يقرا فى
المصحف قبل ان يذهب بصره وهو يبكى قلت وما يبكيك جعلنى الله
فداك قال تعرف ايله قلت وما ايله قال قرية كان فيها اناس من اليهود
فحرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت فكانت الحيتان تاتيهم يوم
سبتهم شرعًا بيضًا سمانًا كامثال المخاض فاذا كانت غير يوم السبت
لا يجدونها ولا يدركونها الا بمشقة ومؤنة ثم ان رجلًا منهم اخذ
حوتًا يوم السبت فربطه الى وتدٍ فى الساحل وتركه فى الماء حتى
اذا كان الغداة اخذه فاكله ففعل ذلك اهل البيت منهم فاخذوا
وشووا فوجد جيرانهم ريح الشوا ففعلوا كفعلهم وكثر ذلك
فيهم فافترقوا فرقًا فرقة اكلت وفرقة نهت وفرقة قالت لم تعظون
قومًا الاية فقالت الفرقة التى نهت انا نحذركم من عذاب الله وعقابه

ان يصيبكم

87

ان يصيبكم بخسف او قذف او بعض ما عنده من العذاب والله ما
نا كنكم في مكان انتم فيه وخرجوا من السور ثم غدوا عليه من الغد
فضربوا باب السور فلم يجبهم احد فتسور منهم انسان السور
فقال قردة والله لها اذناب تتعاوى ثم نزل وفتح الباب ودخل
الناس عليهم فعرفت القردة انسابها ولم تعرف الانس انسابها
من القردة قال فتاتي القرد الى نسيبه وقريبه فيحتك به ويلتصق
فيقول له الانسي انت فلان فيشير اليه براسه يعني نعم ويبكي فتاتي
القردة الى نسيبها وقريبها الانسي فيقول انت فلانة فتشير
برأسها ان نعم وتبكي قال ابن عباس فاسمع الله يقول فَأَنجَيْنَا الَّذِينَ
يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
فلا ادري ما فعلت الفرقة الثالثة فكم راينا منكرا فلم ننه عنه
قال عكرمة فقلت فما ترى جعلني الله فداك انهم قد انكروا
وكرهوا حين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا
شديدا فاعجبه قولي ذلك وامر لي ببردين غليظين فكسانيهما
ثم قال هذا صحيح الاسناد قال في حيوة الحيوان في سبب اتيانهم

يوم السبت وعدم اتيانهم في غيره وهذا امر يمكن ان يقع من الحوت بارسال
من الله كما يرسل السحاب او بوحي والهام كالوحي الى النحل او باشعار
في ذلك اليوم نحو ما يشعر الله الدواب يوم الجمعة بامر الساعة بحسب ما
يقتضيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من دابة الا وهي مصيخة
يوم الجمعة فرقا من قيام الساعة ويحتمل ان يكون ذلك من الحوت شعورا
بالسلامة في ذلك اليوم على نحو شعور حمام الحرم بالسلامة قال اصحاب
القصص كان الحوت يقرب ويكثر حتى يمكن اخذه باليد فاذا كان ليلة
الاحد غاب بجملته وقيل يغيب اكثره ولم يبق منه الا القليل الثالثة
عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان
الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات
ومن في الارض والحيتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء
لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ
وافر وقال ابو امامة الباهلي ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان

احدهما

احدهما عابد والاخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل
العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في
جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير قال الطيبي وضع
الاجنحة يمكن ان يكون حقيقته وان لم يشاهد اى تكف اجنحتها
عن الطيران وتنزل للسماع للذكر كما ورد الا ونزلت عليهم السكينة
وحفت بهم الملائكة وان يكون مجازا عن التواضع كقوله تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقيل معناه المعونة وتيسير السعي
في طلب العلم وقوله ان العالم انجب لهم العلم وجعلهم معلمين بعد ان كانوا
طالبين متعلمين ترقيا ووصفهم بما هو اعلى مما وصفهم اولا حيث جعل
الموجودات من الملائكة والثقلين وغيرهم حتى الحيتان في البحر مستغفرين
لهم طالبين لتخليتهم مما لا ينبغي ولا يليق بهم من الادناس والاوضار
لان بركة علمهم وعملهم وارشادهم وبقائهم سببا لرحمة العالمين
وذكر الحيتان بعد ذكر الملائكة والثقلين تتميم لاستيعاب جميع انواع
الحيوان واما تخصيص الحيتان بالذكر فللدلالة على ان انزال المطر وحصول

الخير والخصب ببركتهم كما قال بهم يمطرون وبهم يرزقون حتى الحيتان
التى لا تفتقر الى الماء افتقار غيرها لكونها فى جوف الماء وتعيش ايضا
ببركتهم وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الثانى كفضلى على ادناكم
هذا التفضيل موافق للحديث السابق من حيث المبالغة وما به
من التفضيل فان المخاطبين بقوله ادناكم هم الصحابة رضى الله عنهم
وقد شبهوا بالنجوم لقوله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم الحديث
وشبه صلى الله عليه بالقمر ليلة البدر والمبالغة التى يعطيها ادناكم فى الحديث
الثانى يقرب منها قوله صلوات الله عليه على ساير الكواكب لان فضل
القمر على الكواكب اجمع يستلزم ذلك التفاوت العظيم بين البدر
وبين الكواكب هو ادنى الكواكب فى الضوء كالسها وهذا التشبيه
ينبهك على ان لابد للعالم من العبادة والعابد من العلم لان تشبيههما
برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يستدعى المشاركة فيما
فضلوا به من العلم والعمل وعلة التفاوت بالفضل بين العالم والعابد
ان نفع العابد مقصور على نفسه ونفع العالم متجاوز الى الخلايق حتى
النملة وذكر النملة وتخصيصها مشعر بان صلاتها بحصول البركة النازلة

من السماء

89

من السماء فان داب النملة القنية وادخار القوت فى جحرها ثم التدرج
منها الى الحيتان واعادة كلمة الغاية للترافى كما مر فى الحديث السابق
انتهى مختصرا الرابعة من انواع الحوت حوت الحيض قال فى
حيوة الحيوان نقلا عن ابن زهر عمن راه انه دابة عظيمة فى البحر يمنع
المراكب الكبار من السير فاذا اشرف اهل السفينة على العطب
رموا بخرق الحيض معدة لذلك فيهرب ولا يقربهم ومن عجيب امر
هذا الحيوان انه لا يقرب مركب فيه امراة حايض قال الدميرى وحكمه
كعموم السمك اى الحل واذا اسعط المصروع بوزن حبة من مرارته ابراه
من الصرع وكبده اذا جففت وسحقت وذر منها على الدم السايل
قطعه او على الجرح الحمه وابراه ووسط لحم ظهره اذا اخذت منه قطعة
ولاكها انسان هيجت الباه وانعظ ومن انواعه حوت موسى ويوشع
عليهما السلم قال الدميرى نقلا عن ابى حامد الاندلسى رايت سمكة بقرب
مدينة سبتة من نسل الحوت الذى اكل منه موسى وفتاه فاحيا الله
نصفه فاتخذ سبيله فى البحر سربا ونسلها فى البحر الى الان فى ذلك
الموضع وهى سمكة طولها اكثر من ذراع وعرضها شبر وفى احد جنبيها

شوك وعظام وجلد رقيق على احشائها وعينها ورأسها نصف رأس
من راها من هذا الجانب استقذرها ويحسب انها ماكولة ميتة
ونصفها الاخر صحيح والناس يتبركون بها ويهدونها الى اماكن البعيدة
الخامسة كان بالاسكندرية صنم يقال شراحيل على خسفة من خسف
مستقبلًا باصبع من اصابع يديه القسطنطينية تصاد عنده الحيتان
وكانت تدور حوله وحول الاسكندرية فكسروه وعملوه فلوسًا فانطلقت
الحيتان ولم ترجع الى ذلك المكان السادسة نقل صاحب محاضرات
الاوايل عن الشيخ الاكبر قدس سره في الفتوحات ان جبل قاف قد
احاطت به حية عظيمة قد اجتمع راسها بذنبها وكانت ترسل سلامها
الى ابي مدين وغيرهما من اهل طريق الله السابعة قال الدميري نطلق
الحية على الذكر والانثى وادخال الهاء عليها لانها واحدة من جنس كبطة
ودجاجة على انه قد روي عن بعض العرب رايت حيًا على حية
اي ذكرًا على انثى وذكر ابن خالويه لها مايتا اسم ونقل السهيلي عن المسعودي
ان الله تعالى لما اهبط الحية الى الارض انزلها بسجستان فهي اكثر
الارض حيات ولولا العربد ياكل ويفني كثيرًا منها لخلت منها

اهلها

90

اهلها الكثرة الحيات وقال كعب الاخبار اهبط الله الحية باصفهان
وابليس بجدة وحوا بعرفه وآدم بجبل سرنديب وهو باعلى الصين في بحر
الهند قال الجمهور في قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو والخطاب
لحوا وادم والحية وابليس روى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما سالمناهن منذ عاديناهن قال ابن عمر ومن تركهن فليس منا وقالت
عايشة من ترك حية خشية من ثارها فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين وفي مسند الامام عن ابن مسعود ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قتل مخافة عاقبتها فليس منا انتهى مختصرا
الثامنة قتل الحية والعقرب في الصلاة مباح غير مكروه وقال
في طرفة المهتدي الى تحفة المبتدي لشيخنا العلامة خاتمة الفقهاء
في الديار الشرقية الشيخ ابراهيم بن حسن الاحسائي تغمده الله برحمته
لانه امر بقتلها فيما روى من قوله صلى الله عليه وسلم اقتلوا الاسودين في
الصلاة الحية والعقرب فاطلاق الحديث يدل على اباحة قتل الحيات
كلها الجنية وهي البيضاء التي تمشي مستوية وغير الجنية وهي السوداء التي
تمشي طولا وقيل لا تقتل الحية الجنية لقوله عليه الصلوة والسلام اقتلوا

اذا الطفيتين والابتر واياكم والحية البيضاء فانهما من الجن وفي القاموس
الطفية بالضم خوصة المقل وحية خبيثة على ظهرها خيطان كالطفيتين
اي الخوصتين وقال الطحاوي لا باس بقتل الكل لانه صلى الله عليه وسلم
عاهد الجن ان لا يدخلوا بيوت امته ولا يظهروا انفسهم فاذا خالفوا
فقد نقضوا عهدهم فلا حرمة لهم قال ابن الهمام وقد حصل في عهده
عليه الصلوة والسلام وفيمن بعده الضرر بقتل بعض الحيات من الجن والجواب
الكل ثابت ومع ذلك الامساك عما فيه علامة للجان لا للحرمة بل
لدفع الضرر المتوهم من جهتهم وقيل ينذروها فيقول خلي طريق المسلمين
وارجعي باذن الله فان ابت قتلها وهذا في غير الصلوة انتهى واما
في الصلوة فانه يباح القتل ولا يكره اذا امشتا او احدهما بين يدي
المصلي وخاف اذاهما فيقتلهما ولو كان قتلهما بضربات لانه رخص
للمصلي في ذلك كالمشي بعد الحدث والاستقاء من البير والتواضي
وهذا اختيار النسفي وشمس الائمة السرخسي وفي المجسوط الاظهر انه
لا تفصيل فيه وفي الخلاصة اذا اخذ المقتدي النعل بيده ومشى
اليها ليقتلها لم تفسد صلاته وان صار قدام الامام وقيل انما يباح

اذا تمكن

٩١

اذا تمكن من قتلها يفعل يسير كالضربة واما اذا احتاج الى المعالجة
والمشي تفسد وان عمل المصلى الاذى منهما فقتلهما بالصلوة مكروه
ذكره فى الخلاصة الكافى انتهى قال فى حيوة الحيوان اختلف العلماء فى
الانذار هل هو ثلاثة ايام او ثلاث مرات والاول عليه الجمهور وكيفية ذلك
ان يقول انشدكن بالعهد الذى اخذ عليكم نوح وسليمان عليهما السلام
ان لا تبدوا لنا ولا تاذونا وفى اسد الغابة عن عبد الرحمن ابن ابى ليلة
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت الحية فى المسكن فقولوا
لها انا نسالك بعهد نوح صلى الله عليه وسلم وبعهد سليمان بن داود
عليه السلام لا تؤذينا فان عادت فاقتلوها انتهى التاسعة من الحيات
الازعر وهو غالب فيها ومنها ما هو ارب ذو شعر ومنها ذات
القرون وارسطو ينكر ذلك ومنها ذو الطفيتين والابتر وفى
الصحيحين وغيرهما من حديث بن عمر وعايشة ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال اقتلوا الحيات وذو الطفتين والابتر فانهما يسقطان
الحبل ويلتمسان البصر قال النووى قال العلماء الطفيتان الخطان الابيضان
على ظهر الحية والابتر قصير الذنب وقال النظر بن شميل هو صنف من الحيات

أزرق مقطوع الذنب لا تنظر اليه حامل الا القت حملها غالباً وذكر
مسلم في رواية عن الزهري انه يقول يرى ذلك من سمها واما يلتمسان
البصر ففيه تأويلان اصحهما انهما يخطفانه ويطمسانه بمجرد نظرها
اليه لخاصية جعلها الله في بصرها اذا وقع على بصر الانسان ويؤيد
هذا ان في رواية مسلم يخطفان البصر والثاني انهما يقصدان البصر
باللسع والنهش ومنها العربد وهو حية عظيمة تاكل الحيات ذكره
الدميري ومنها الشجاع وهو حية عظيمة تواثب الراجل والفارس
وتقوم على ذنبها وربما تلسع رأس الفارس وتكون في الصحاري ومنها
نوع يسمى الناظر متى وقع نظره على انسان مات من ساعته ونوع آخر
اذا سمع الانسان صوته مات ومنها الاصله وهو عظيم جدا وله وجه
كوجه الانسان يقال انه يصير كذلك اذا مرت عليه الوف من السنين ومن خاصيته
هذا ان يقتل بالنظر ايضا ومنها الصل ويسمى الملكه وهي شديدة الفساد
تحرق كلما مرت عليه ولا تنبت حول جحرها شيء من الزرع اصلاً واذا حاذى
مسكنها طاير سقط ولا يمر حيوان بقربها الا هلك وتقتل بصفيرها
على غلوة سهم ومن وقع عليه بصرها ولو من بعد مات ومن نهشته مات

في الحال

92

فى الحال وضربها فارس بحربة فمات هو وفرسه وهى كثيرة ببلاد الترك الفائدة

العاشر قال فى حيوة الحيوان من عجيب الحية انها اذا ابتلعت شيئا له

عظم التفت بشجرة اونحوها فتلتوى عليه التواء شديدا حتى ينكسر ذلك فى

جوفها ومن عادتها انها اذا نفست انقلبت فيتوهم بعض الناس انها

فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس كذلك ومن غريب امرها انها اذا لم تجد

طعاما تعيش بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل وتبلغ الجهد من الجوع

ولا تاكل الالحم الشئ الحى واذا كبرت صغر جرمها واقتنعت بالنسيم ولم

تشتهى الطعام ومن عجيب امرها انها لاترد الماء ولا ترده الا انها لاتملك نفسها

عن الشراب اذا شربته لما فى طبعها من الشوق اليه فهى اذا وجدته شربت منه

حتى تسكر وربما كان سكرها سبب هلاكها والذكر لا يقيم بموضع واحد

وانما تقيم الانثى على بيضها حتى تخرج افراخها وتقوى على الكسب ثم

تخرج هى سائرة فاذا وجدت حجرا انسابت فيه وعينها لاتدور فى رأسها

بل كانها مسمار مضروب فى راسها وكذلك عين الجراد واذا قلعت عادت

وكذلك فانها اذا قلع عاد بعد ثلاثة ايام وكذلك ذنبها اذا قطع نبت

ومن عجيب امرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتطلبها وتعجب

من امرها ونحب اللبن حبا شديدا واذا ضربت بسوط مسه عرق الخيل
ماتت وتذبح فتبقى اياما لا تموت وتتقدم انها اذا عميت اوخرجت من
تحت لا تبصر طلبت الزازيانج الاخضر فتحك به بصرها فتبرى وليس شيء
في الارض مثل الحية الا وجسم الحية اقوى منه ولذلك اذا دخلت صدرها
في جحر او صدع لم يستطع اقوى الناس اخراجها منه وربما تقطعت ولا
تخرج وليس لها قوائم ولا اظفار تتشبث بها وانما قوى ظهرها هذه القوة
بسبب كثرة اضلاعها فان لها ثلاثين ضلعا واذا مشت على بطنها فيندفع
اجزاؤها وتسعى بذلك الدفع الشديد وتعيش في البحر بعد ان كانت
برية وفي البر بعد ان كانت بحرية انتهى الحادي عشر الدابة ما دب من الحيوان
كله واخرج بعض منها الطير لقوله تعالى وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا
طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ورد بقوله تعالى وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا كذلك في حيوة الحيوان واقول وجه الاستدلال
بالاية الاولى هو ان الله تعالى عطف الطير على الدابة والعطف يقتضي
المغايرة والرد بالاية الثانية لا يستقيم اذ لا يلزم من كون جميع دواب
الارض رزقها على الله ان يكون الطير دابة فالمراد ان يقال الاشتقاق يقتضي

نجوم

93

بعموم دخول الطير فلا يخرج الا بدليل والعطف لا يصلح ان يكون
دليلا لجواز ان يكون من عطف الخاص على العام ومتى لم يسلم الدليل
من الاحتمال لا يصلح للاستدلال الثاني عشر اخرج ابو داود والترمذي
والنسائي باسانيد صحيحة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة خشية
ان تقوم الساعة ويروى مسيخه بالسين ومعناها منصتة مستمعة
الثالث عشر خلقت الدواب يوم الخميس لما في صحيح مسلم عن ابي هريرة
قال اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي وقال خلق الله التربة
يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين
وخلق المكروه يوم الثلاثة وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب
يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات الجمعة
فيما بين العصر الى المغرب قلت وما استدل به السبكي على خلق ذ
كور الخيل قبل اناثها من شرف الذكور على الاناث وحرارته وان عادة القدرة
الالهية اذا كان الاثنان من جنس واحد من مزاج واحد واحدهما
اكثر حرارة من الاخر ان تكون اقواهما حرارة قبل يقتضي تقدم خلق ا

الذكر على الانثى من جميع الدواب الرابع عشر روى عن ابن السنى عن عبد الله
بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا انفلتت دابة احدكم
بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان الله عز وجل حاضر ا يحبسه
الخامس عشر قال بعض التابعين ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول
في اذنها افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا
وكرها واليه ترجعون الا وقفت وعن انس رضى الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ساء خلقه من الرقيق والدواب والصبيان
فاقروا في اذنه افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض
طوعا وكرها واليه ترجعون السادس عشر عن ابى الدرداء ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال من قال اذا ركب دابة بسم الله الذى لا يضر مع
اسمه شئ سبحانه ليس له سمى سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
واله وسلم قالت الدابة بارك الله عليك من مؤمن خففت عن ظهرى
واطعت ربك واحسنت الى نفسك بارك الله لك فى سفرك وانجح حاجتك
غريب فى تاريخ بن خلكان فى ترجمة عماد الدولة ابى حسن على بن بويه

وكان ابو

94

وكان ابوه صيادًا البحت له معيشة الا صيد السمك وكان له ثلاثة اولاد
عماد الدولة اكبرهم ثم ركن الدولة الحسن ثم معز الدولة والجميع ملكوا و
كان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم ملكوا العراقين
والاهواز وفارس وساسوا امر الرعية احسن سياسة ومن عجيب
ما ... عماد الدولة انه لما ملك شيراز في اول ملكه اجتمع اصحابه يطالبوه
بالاموال ولم يكن عنده ما يرضيهم به واشرف امره على الانحلال فاغتم
لذلك فبينما هو مفكر قد استلقى على ظهره في مجلس قد خلى فيه للفكر
والتدبير راى حية خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت
موضع اخر منه فخاف ان تسقط عليه فدعى الفراشين وامرهم بنصب
سلم وان يخرجوا الحية فلما صعدوا وبحثوا عنها وجدوا ذلك السقف
يفضي الى غرفة بين سقفين فعرفوه بذلك فامرهم بفتحها ففتحت فاذا
فيها صناديق فيها خمس ماية الف دينار فحمل ذلك الى بين يديه ففسمه
على رجاله وثبت امره بعد ان كان قد اشفى على الانخرام ثم انه جهز ثيابا
وسئل عن خياط حاذق فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله
فامر باحضاره وكان اطروشًا فوقع في نفسه انه سعي به اليه في وديعة

كانت لصاحبه وانه طلبه لهذا السبب فلما خاطبه حلف انه لم يكن عنده
سوى اثنى عشر صندوقا لا يدرى ما فيها فتعجب عماد الدولة من
جوابه ووجه معه من حملها فوجد فيها اموالا وثيابا بجملة عظيمة
وكانت هذه الاسباب من اقوى دلايل سعادته **اعجوبه**
اخبرنى بعض من اثق به ان طايفة من الناس فى الدورق يقال لهم
كولكيان اذا عضت الحية احدهم ماتت من وقتها حتى ان بعضهم
حصلت له ريبه من حمل زوجته لتهمة اتهمها بعض الاعداء مع رجل
من غير قبيلته فانتظرها حتى وضعت حملها واعطا دحية ووضعها
مع الطفل فلما نهشته ماتت فتحقق برائتها لذلك ومن ذلك **تكمله**
ذكر فى كتاب عجايب المخلوقات ان الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى
انوشروان وانما وجد فى زمانه وسببه انه كان ذات يوم جالس
للمظالم اذا اقبلت حية عظيمة تنساب تحت سريره فهموا بقتلها
فقال كسرى كفوا عنها فانى اظنها مظلومة فمرت تنساب حتى
استدارت على فوهة بير فنزلت فيها ثم اقبلت تطلع فاذا فى قعر البير
حية مقتولة وعلى متنها عقرب اسود فادلى بعض الاساورة رمحه

الى العقرب

95

الي العقرب وتخشها به واتي الملك بخبر مجال الحية فلما كان في العام القابل
اتت الحية في اليوم الذي كان كسرى جالسا فيه للمظالم وجعلت تنساب
حتى وقفت ونفضت من فيها بزرا اسود فامر الملك ان يزرع فنبت منه
الريحان وكان الملك كثير الزكام واوجاع الدماغ فاستعمل منه
فنفعه جدا **السابعة عشر** لا يجوز لعن الدابة كغيرها وعن عمر بن قيس
الملائي انه قال اذا ركب الرجل قالت اللهم اجعله لي رفيقا رحيما فاذا لعنها
قالت على اعصانا لله لعنة الله **الثامنة عشر** روى بن عمر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضربوا الدواب على النفار
ولا تضربوها على العثار **التاسعة عشر** يجوز الارداف على الدابة اذا
كانت تطيقه ولا يجوز اذا لم تطيقه واذا وقع الارداف فصاحب
الدابة اولى بصدرها ويكون الرديف وراءه الا ان رضي صاحبها بتقدمه
لجلالة قدره او غير ذلك وقد صح انه صلى الله عليه وسلم اردف جماعة
منهم معاذا على الرحل واردفه على حمار يسمى عفير وفي حيوة الحيوان
عن الحافظ بن منده ان الذين اردفهم النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثة وثلاثون نفسا وروى الطبراني عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم

نهى ان يركب ثلاثة على دابة **العشرون** دابة الارض التى ذكرها الله تعا
فى سورة سبا الارضة وقيل سوسة الخشب قال تعالى فلما قضينا عليه الموت
ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته والسبب فى ذلك ان سليمان
عليه السلام كان قدام الجن ببناء صرح فبنوه له ودخله مختبيا ليصفو له
يوم واحد من الدهر عن الكدر فدخل عليه شاب فقال كيف دخلت من
غير استيذان فقال له انما دخلت باذن قال ومن اذن لك قال رب
هذه الصرح فعلم سليمان انه ملك الموت اتى ليقبض روحه فقال
سبحان الله هذا اليوم الذى طلبت فيه الصفا قال طلبت ما لم يخلق
فاستوثق من الاتكاء على العصاء لانه كان بقى من تمام بناء المسجد
عمل سنة فسئل الله تمامها على يد الانس والجن فمات وهو متكى عليها
وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه فلا ينظر احد اليه الا احترق
ولما مات كان عمره ثلاثة وخمسين سنة والمنساة العصا وكانت
من الخرنوب عن بن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال كان نبى الله سليمان اذا قام فى مصلاه راى شجرة نابتة
بين يديه فيقول ما اسمك فتقول كذا فيقول لاى شئ انت فتقول

كذا وكذا

كذا وكذا فان كانت لدواء كتب وان كانت لغرس غرست فبينما هو يصلي
يوماً اذ راى شجرة فقال ما اسمك قالت الخرنوب فقال لاى شئ
انت قالت لخراب هذا البيت قال سليمان اللهم عمّ عن الجن موتى
حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب قال فنحتها عصى وتوكا عليها
فاكلته الارض فسقط فوجدوه حولا فتبينت الانس ان الجن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً فى العذاب المهين وكان بن عبّاس يقراها
فشكرت الجن الارضة فكانت تاتيها بالماء حيث كانت كذا فى حيوة
الحيوان الحادية والعشرون قال ابن عمر رضى الله عنه فى قوله تعا
واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال اذا لم
يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر قيل انها دابة طولها ستون ذراعاً
ذات قوايم ووبرٍ وقيل هى مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات
ينصدع جبل الصّفا فتخرج منه ليلة جمع والناس سايرون الى منى وقيل
من الحجر وقيل من ارض الطائف ومعها عصا موسى وخاتم سليمان
عليهما السّلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب المومن بالعصى
وتكتب فى وجهه مومن وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر

قال الدميري روي احمد والبيهقي في الشعب عن ابن سيرين قال خرجت
دابة تقتل الناس فمن دنا منها قتلته فجاء رجل اعور فقال دعوني
واياها فدنا منها فوضعت رأسها له حتى قتلها فقالوا حدثنا من
امرك قال ما اصبت ذنبا قط الا ذنبا واحدا بعيني هذه فاخذت
سهما ففقاتها به قال الامام احمد لعل هذا في بني اسرائيل او في شريعة
من مكان قبلنا فاما في شريعتنا فلا يجوز ففقو العين التي نظر بها
الى ما يحل لكن يستغفر الله تعالى من ذلك ولا يعود اليه **قلت**
تركه للذنب وفقوه لعينه عند ارتكابه يدل على شدة خوفه من الله وعدم
مبالاته بالناس فهذا يخاف الله تعالى وحده ومن خاف الله وحده
خافه كل شيء فلا جرم ان سلط هيبته على هذه الدابة فوضعت راسها
حتى قتلها وروى عن عبد الله ابن عمر انه خرج في بعض اسفاره
فبينما هو يسير اذا هو بقوم وقوف فقال ما هؤلاء قالوا اسد على
الطريق وقد اخافهم فنزل عن دابته ثم مشى اليه حتى اذا اخذ
باذنه ونحاه عن الطريق قال ما كذب عليك رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما سلطت على ابن آدم من مخافة غير الله ولو ان ابن ادم لم يخف الا الله

لم تسلط

لم تسلط عليه ولو لم يرج الا الله لما وكله الله الى غيره ثم كلام الامام
احمد رضى الله عنه لمجرد بيان هذا الحكم او تصحيحاً لقوله ما اصبت ذنباً
قط الا ذنبا واحداً يعني لا استبعاد ان يكرم من الله تعالى بمثل هذه
الكرامة مع الجهل المودى الى فقوء العين المحرم بارتكابه الذنب للخوف
من الله تعالى اذ لا بعد فيه وكرم الله اوسع من ذلك والاحتمال ان يكون
فعله في حالة دهش وغلبة خوف وشدة جزع ذهب بتفطنه
وتفعله لما يفعله فان هذه الحالة ملحقة بحالة الغفلة والنسيان
فلا يؤاخذ بما يفعله فيها كما لم يواخذ الرجل الذى اسرف على نفسه
فلما حضره الموت اوصى بنيه اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه في البر و
نصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذابا لا يعذبه احداً
من العالمين فلما مات فعلوا ما امرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه
وامر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وانت
اعلم فغفر له كما جاء في الحديث لانه انما اوصى بذلك بنيه وقال
لئن قدر الله على الذى هو شك في قدرة الله على اعادته بعد صنيعهم
به ذلك كما هو المتبادر من اللفظ وفحوى الخطاب ويدل عليه رواية

فلعلى اضل الله اى اغيب عنه في حالة غلب عليه الدهش فيها
والخوف وشدة الجزع بحيث ذهب تفطنه وتدبره لما يقوله ويأ
مر به فكان في معنى الغافل والناسى فلم يؤاخذ بذلك ومثل هذا
الرجل الذى انفلتت راحلته فى فلاه فايس منها فلما وجدها قال
من شدة الفرح اللهم انت عبدى وانا ربك كما جاء فى حديث مسلم
ولفظه لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان
راحلته بارض فلاه فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها
فاتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد ايس من راحلته فبينما هو كذلك
اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم
انت عبدى وانا ربك اخطى من شدة الفرح فانه لم يكفر ولم يؤاخذ
بذلك للدهش والغلبه من شدة الفرح الذى ذهب بتدبره و
تفطنه لما يقوله القول السادس قيل ان السمكة فى البحر تتنفس وتجذب نفسها
الى جوفها فى اليوم والليلة مرتين فاذا اخرجته الى خارج حصل المد واذا
ادخلته حصل الجزر وهذا القول ايضا لم اقف عليه وانما اخبرنى
به بعض طلبة العلم ممن له تولع بالاخبار العجيبة والحكايات الغريبة

وهو كالذى

98

وهو كالذى قبله لا يردّه العقل ولا ياباه قاطع النقل وقدرته تعالى صالحة
للتعلق بكل ممكن ومن الجايز ان يخلق الله سمكة عظيمة اذا تنفست فار
البحر وفاض واذا اجذبت النفس نقص وغاص بل من الجايز ان يجعل هذه
القوّة فى اصغر الحيوان واذا نظر فى نفسه الانسان لم يستغرب
ما يكون وما كان حكى ان اللعين ابليس جاء متدلسًا الى نبى الله ادريس
فقال هل يقدر ربك ان يجعل الدّنيا فى قشر هذه البيضه وكان اذ جاء
اللعين الطريد عن الرحمة الخاصة وساحة الكرام بيده ابرة يخيط بها
عليه السلم فقال ان الله قادر على ان يجعل الدّنيا فى سم هذه الابرة و
ففاء عينه بالابرة ومعناه كما قال العلماء الكلام ان الله تعالى
قادر على ان يصغّر الدّنيا ويجعلها فى قشر البيضة او ان يكبر قشر البيضة
ويمد حتّى يجعله يسع الدّنيا وهى على هذه الحالة لانه تعالى يجعل
الدّنيا فى البيضة وكل على حاله لان ادخال الكبير فى الصّغير باقيين
على حالهما محال وقدرته تعالى لا يعقلها بمحال حفظًا للاحكام العقليه
اذ لو علق قدرته بغير الممكن لم يبق الواجب واجبا ولا المستحيل مستحيلًا
ولان فى تعليقها بهما لزوم النقص وهو جواز اعدام ذاته تعالى وصفاته

واثبات الشريك له الى غير ذلك من النقايص لا يقال ان تكبير قشر البيضة
وتوسعته بمقدار الدنيا محال فاذا جوزتم ذلك فقد ذهبتم الى ما عنه
هربتم لانا نقول لا نسلم ان ذلك محال فان المحال ما لم يجز في العقل
وجوده والعقل اذا خلي ونفسه لم يمنع من جواز ذلك ذكر الشيخ
الاكبر قدس سره في الباب الثامن من الفتوحات ان الله تعالى لما
خلق ادم فضلت من خميرة طينته فضلة خلق منها النخلة فهي اخت
لادم عليه السلام وهي لنا عمة وسماها الشارع عمة وفضل من الطينة
بعد خلق النخلة قدر السمسمة في الخفا فمد الله من تلك الفضلة ارضا
واسعة الفضا اذا جعل العرش وما حواه والكرسي والسموات والارضين
وما تحت الثرا والجنات كلها والنار في هذه الارض لكان الجميع
فيها كحلقة ملقاه في فلاة من الارض وفيها من العجايب والغرايب ما لا يقدر قدره
ويبهر العقول امره وفي كل نفس خلق الله فيها عوالم يسبحون الليل
والنهار لا يفترون وفي هذه الارض ظهرت عظمة الله وعظمة عند
المشاهد لها قدرة وكثير من المحالات العقلية التي قام الدليل الصحيح
العقلي على احالتها هي موجودة في هذه الارض وهي مسرح عيون العارفين

العلماء

العلماء بالله وفيها يجولون وخلق الله من جملة عوالمها عالماً على صورنا
اذا ابصرهم العارف يشاهد نفسه فيها وذكر من عجايبها ان التفاحة
فيها مقدار القبة اذا قبض عليها الرجل الذى يريد اكلها بهذه اليد المعهودة
فى القدر عمها بقبضة مع هذا العظيم وهذا مما يحيله العقول فى
نظرها ولما شاهدها ذو النون المصرى نطق بما حكى عنه من ايراد الكبير
على الصغير من غير ان يصغر الكبير او يكبر الصغير او يوسع الضيق
او يضيق الواسع فالعظم فى التفاحة ما ذكرته باق والقبض عليها
باليد الصغيرة والاحاطة بها موجودة والكيفية مشهودة مجهولة
لا يعرفها الا الله انتهى قد بان لك ان تكبير ما هو مثل ذلك الى ان
يسع الدنيا باسرها مما يجوز تعلق القدرة به وانه ليس بمحال وان العقول
انما تحيله من حيث افكارها فان **قلت** فقد صرح الشيخ قدس سره بتجويز ما
منعتم من ادخال الكبير فى الصغير من غير تكبير ولا تصغير حيث ذكر
ان اليد تحيط بالتفاحة مع انها فى العظم مثل القبة وكل منهما على ما هى عليه
وقد صرح ذو النون بذلك كما نقله عنه قدس سرهما فاما ان تجوزوا تعلق
القدرة بالمحال او تنفوا عن ذلك الاحالة **قلت** لما صح النقل فى وجود

مثل ذلك وجب نفي الاحالة عنه حفظا للقاعدة وصونا لتقصيم الحكم
العقلي من الابطال وهربا من تجويز النقص به تعالى كتجويز اثبات الشريك
واتخاذ الصاحبة والولد وغير ذلك مما لا يليق بجنابه الاقدس فيقال
ان العقل انما يحيله تمسكا بالحس والعاده اما لو خلي ونفسه فلا فلذا
يقبله اولا ولا يصير الى الانكار الا بعد النظر الى الحس والعاده على
انه اذا اسنده الى الله تعالى لا يداخله تردد ولا تشكيك في الجواز الا
لتقليد ولو كان محالا لم يختلف في نسبته وفيه تامل وان يستثنى
هذه الجزئية من تلك الكليه وفيه نظر وقد سالت شيخنا سلمه الله
ولا زال في عافية شاملة عما ذكره الشيخ الاكبر قدس سره من حكايت
التفاحة وقبض اليد عليهما باقيين على حالهما من غير تكبير ولا تصغير
وقلت انهما مصادمة لما ذكره علماء الكلام لكون ذلك محال فاجابني
بان العقول انما تحيل ذلك من حيث ماهي مفكرة واما من حيث هي
قابلة فلا والمراد بالممكن الذي تتعلق القدرة به ما لا يجب وجوده ولا
عدمه اوما لا يمتنع وجوده ولا عدمه لذاته اذ هو المبادر عند الاطلاق
فلا يدخل ما لم يتاتى ايجاده من الممكنات لكن لا بالنظر الى ذاته بل بالنظر الى

قوله شيخنا وهو شيخ المحدثين والصوفية بالمدينة النبوية ابو محمد الشيخ ابراهيم ابن حسن الكوراني الشهرزوري الاصل

غيره

100

غير كمكن تعلق علم الله بعدم وقوعه كايمان ابى لهب مثلاً وهو
احد قولين فى صحة تعلق القدرة الازلية بالممتنع لتعلق العلم وان وفق
حجة الاسلام بينهما بالنظر الى امكانه فى ذاته والى تعلق العلم بعدم وقوعه
احتج العاقل بصحة التعلق بانه لو انتفى تعلق القدرة لاجل تعلق العلم
بعدم الوقوع للزم ان لا يكون للقدرة متعلق البتة والثانى باطل
بالاجماع فالمقدم مثله وبيان الملازمة ان الممكن اما واجب الوقوع
ان تعلق علم الله بوقوعه او مستحيلة ان تعلق علمه بعدم وقوعه
فلو منعت الاستحالة العارضة من تعلق القدرة لمنع منه الوجوب العارض
اذ هما فى المنع من تعلق القدرة سواء ويؤيد المانع قولهم ان القدرة
تابعة للارادة والارادة تابعة للعلم فلا توجد القدرة الا ما تعلقت
الارادة بوجوده ولا تتعلق الارادة بوجود الا ما تعلق العلم بوجوده
فما لم يتعلق العلم به لا تتعلق الارادة به وما لا يتعلق الارادة به لا تتعلق
القدرة به وفى كل من الدليلين نظر ويدخل فى الممكنات التى تتعلق بها
قدرة الله تعالى الاعدام والتروك الممكنة ويخرج به الواجب والمستحيل
لان القدرة صفة مؤثرة ومن لازم الاثر وجوده بعد عدم فما لا يقبل

العدم كالواجب لا يصح ان يكون اثرالها والا لزم تحصيل الحاصل وما
لا يقبل الوجود اصلاً كالمستحيل لا يصح ان يكون اثرالها ايضا والا لزم
قلب الحقيقة بصيرورة المستحيل جايزا وكلاهما محال وبهذا عرف
ان لا عجز ولا قصور في عدم تعلق القدرة الازلية بالواجب والمستحيل
اذ ليسا من متعلقاتها بل لو تعلقت بهما للزم المحال لانه يلزم على
هذا التقدير الفاسد ان يجوز تعلقها باعدام نفسها بل وباعدام الذات
العلية وباثبات الالوهية لمن لا يقبلها من الحوادث وبسلبها عمن تجب له
وهو مولانا عز وجل واي نقص وفساد اعظم من هذا والعجب
من خفاء هذا المعنى على بعض المبتدعة حتى صرح بنقيض ذلك وعلى
ابن حزم حتى قال انه تعالى قادر على ان يتخذ ولدا اذ لو لم يقدر عليه
لكان عاجزا فانظروا الى اختلال هذا المبتدع كيف غفل عما يلزمه
على هذه المقالة الشنيعة من اللوازم التي لا تدخل تحت وهم وكيف
فاته ان العجز انما يكون لو كان القصور جائيا من ناحية القدرة واما
اذا كان لعدم متعلق القدرة فلا يتوهم عاقل ان هذا عجز
سئل بعض ممن يرى جواز تعلق القدرة بكل شيء من ممكن ومستحيل

الامداد

الّا مادلّ العقل والنّقل على عدم تعلّقها به ممّا يوجب نقصاً فى الرّبوبيّة
كاتّخاذ الصّاحبة والولد ونحوهما هل يقدر الحق سبحانه ان يدخل الجمل
فى سمّ الخياط من غير تصغير ولا تكبير فاجاب بانّ الله على كلّ شئ قدير
قال صلّى الله عليه وسلّم اذا اراد الله خلق شئ لم يمنعه شئ فلا يمنعه
مانع عما اراد قدرته فى الاشياء بلا امزاج وفعله للاشياء بلا علاج يفعل
ما يشاء بلا تصغير ولا تكبير ولا سبب ولا الة ولا ظهير فان قال
قائل دخول الكبير فى الصغير مستحيل قلنا اذا اسند الفعل الى المخلوق
فهو كما قيل وان اسند الى قادر على كل شئ فلا يعجزه شئ انّما امره اذا اراد شيئاً
ان يقول له كن فيكون ولا يقال ان كونه يفعل هذا بلا تصغير ولا تكبير نقصاً
بل هو كمال ولا احتياج الى السّبب والوسايط فى الافعال من صفات المخلوقين
فلا نقس قدرته بقدرتك ولا فعله بفعالك ان قدرته لا تكيف ولا تمثل
وحد العقل ادراك اثار القدرة فلا يحيط العقل بادراك ذاته ولا صفاته
بل قدرته معلومة من حيث الوجود مجهولة من حيث الكيفية كما يقال
فى الذّات وهكذا ساير الصّفات كما يقال كنه الذات والصفات العقل
محجوب عن ادراكها فليس لاحد ان يخوض فى الكنه فعلى هذا تعلق القدرة

بالادخال معلوم والكيف مجهول ولا يلزم من ذلك محذور ولا فيه نقص ولا
قصور بل كونه مستحيل تعجيزا ونقصا واحتياجا الى المهملة ووجود
مانع لهيئته الى هيئة وتشبيهها بافعالنا والتصغير ينحصر في حصر تصغير
بالتداخل وتصغير بالاعدام وتصغير بلا كيف فالاول مستحيل والثانى لا
يفى بالمقصود لعدم صدقه على الكل والثالث جاين والادخال بلا كيف
اولى منه للاحتياج الى المهلة والعلاج فى فاعل التصغير وعدم
ذلك فى الادخال بالتصغير انظر الى ما فعل ولا تقل كيف فعل والاية
الشريفة يلج فيها هو الجمال الذى يمتنع فى حقه الدخول وليس هو الحق سبحانه
فزالت الشبهة بهذا المرء الفى السمع وايضا كل شئ لفظ عام واللفظ
اذا عم فقصوره عن عمومه يحتاج الى مخصص اما لفظى واما عقلى
فاللفظى معدوم والعقل يخرج هنا الذات والصفات وساير النقايص
قال البيضاوى واخرج العقل ذاته فليس عليها بقادر والضد والند
والولد وشبهها منفى النقل والعقل وانظر الى جواب ادريس عليه السلام
لابليس حيث قال يقدر ولم يذكر سببا وهذا على طريق السلف الصالح قال
الشيخ عبد الوهاب الشعراوى ومن علومهم انه تعالى قادر بالاتصغير

ولاتكبير

102

ولاتكبير وقال سيدى الشيخ احمد زروق قادر بلا سبب ولا آلة ولا واسطة
وقال سيدى شهاب الدين السهروردى فعوالم قدرته غير محصورة وغرائب
مشيئته غير منكورة وما نحن فيه من العالم بما نحن عليه من العقل والعلم
عالم من عوالمه لا تستبعد قولى لو شاء كوننا فى غير مكان لكان
فقد كوّن المكان لا في مكان اذ لو كان فى مكان لتسلسل فى تحصر القدرة
بعقلك اذ قوته ان تحصر الحكمة فاما القدرة فلا يحصرها فحدث
عن البحر ولا حرج ومن هذا الاساس تمشت وتبينت الامور الا
خروية وعلمها من علمها وانكرها من عجز عقله عن ادراكها انتهى وكتب
فى جوابه بعض الفضلاء اما قوله بلا تصغير ولا تكبير ولا آلة ان كان فى
تعلق العلم فهذا لا ننكره ولا ينكره احد من المتكلّمين وان كان فى
تعلّق القدرة فقد صدر منه زلة عظيمة لا يكفرها الّا التوبة وتجديد
الايمان لانه قد صدر منه ما هو منكر عند اهل الحقيقة وعند اهل
الكلام وجوابنا ولا بتكفيره جهل منا باعتقاده واما الا ن فقد تحققنا
اعتقاده لانّ اعتقاده فى هذه الجزئية تدخل عليه جزيات توجب
تكفيره لانه اذا اعتقد ان هذا من قبل المحال وقال تتعلق القدرة

به فهذا القول يلزمه في الجزئيات المستحيلة في حق الربوبية من الشريك
والولد والصاحبة ويلزم من هذا تعلق القدرة باعدام نفسها
واعدام جميع صفات الربوبية بل باعدام الذات لان هذه الجزئية المتكلم
فيها مثل هذه الجزئيات من باب لا فرق وما يجوز على المثل يجوز على المماثل
لانك مهما قلت تتعلق القدرة بالمحال يلزمك الايجاد والاعدام
لان ملازم الحقايق لا ينفك عنها واطال في الرد عليه وشنع واقول
لقد اخطا في تكفيره له كيف وقد قال بمثل ما قاله جماعة من العارفين
بالله كذا النون المصري وغيره واخبروا بالوقوع وقوله في التعليل لانه
قد صدر منه ما هو منكر عند اهل الحقيقة واهل الكلام لا يصلح سندا
لدعواه اذ ليس صدور كل ما هو منكر عندهم يوجب تكفيرا على ان دعوى
انكاره عند اهل الحقيقة باطله وقوله لانه اذا اعتقد ان هذا من قبيل
المحال وقال بتعلق القدرة به فهذا القول يلزمه في الجزئيات الى آخره ممنوع
اذ لا يلزم من صحة تعلق القدرة بجزئي من جزئيات المحال صحة التعلق
بالكل اذ المثال الجزئي لا يثبت القاعدة الكلية على انا لو سلمنا اللزوم
لا يوجب ذلك التكفير لانه فرق كبير بين لزوم الكفر وقوله ان هذه

الجزئية

١٠٥
103

الجزئية المتكلم فيها مثل هذه الجزئيات من باب لا فوق جوابه ان اراد المماثلة
من كل الوجوه فهذا ظاهر البطلان وان اراد المماثلة في الاحالة فهو لم
يجوز تعلق القدرة بها من حيث كونها محالا حتى يلزمه القول بمثلها
في كل ما دخل تحت الاحالة فجاز ان يكون فيها امر مانع من جواز التعلق
كلزوم النقص في جانب الربوبية كيف لا ومستنده في الجواز عموم
الاية وهذه الجزئيات مخرجة منها عقلا ونقلا واجماعا والذي كان
يجب عليه حمل حال اخيه على الصواب والتسديد عنه بما يمكنه فان حمل
حال المسلم على الصلاح واجب مهما امكن فقد قال امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك منه
ما يغلبك وقال الامام بن فورك ادخال الف كافر الى الاسلام ولا اخراج
مسلم الى الكفر وان كان في كلامه رحمه الله ما لا يصلح سند الدعواه
تنبيهات الاول خالف في شمول قدرته للممكنات طوائف الاولى الحكما
الالهيون فانهم قالوا انه تعالى واحد حقيقي فلا يصدر منه اثنان و
الصادر عنه ابتداء هو العقل الاول والبواقي صادرة عنه بالوسايط
والجواب عن ذلك انا لا نسلم الواحد الحقيقي لا يصدر منه الا الواحد

الثانية المنجمون ومنهم الصابئية قالوا الكواكب المتحركة بحركات الافلاك
هي المدبرات امرا في عالمنا الدوران الحوادث السفلية والتغيرات الواقعة
في جوف فلك القمر وجودا وعدما مع مواضعها في البروج واوضا
عها بعضها الى بعض والى السفليات واظهرها ما نشاهده من اختلاف
الفصول الاربعة وما يتحدد فيها من الحر والبرد والاعتدال بواسطة
قرب الشمس من سمة الراس وبعدها عنه وتوسطها فيما بينهما
وتاثير الطوالع في المواليد بالسعادة والنحوسة والجواب ان الدوران
لا يفيد العلية سيما اذا تحقق التخلف كما في توامين احدهما في غاية
السعادة والاخر في غاية الشقاوة ولدا دفعة او بين ولادتيهما
مقدار درجة الذي لا يوجب تغير الاحكام باتفاق منهم وسيما اذا قام
البرهان على نقيضه وقد قامت البراهين العقلية والنقلية بان لا
موثر بالوجود الا الله رب البرية على ان ما اثبتوه من الاحكام لا يستثبت
على قواعدهم لانهم قد ادعوا ان الافلاك بسيطة واذا كانت كذلك
كانت اجزاوها متساوية في الماهية فلا يمكن حينئذ جعل درجة حارة
او نيرة او نهارية وجعل اخرى باردة او مظلمة او ليلية الا تحكما وكذا

الحارة

الحال في جعل بعض البروج بيتاً لكوكب وبعضها بيتاً لكوكب آخر وبعضها
شرفا وبعضها وبالاً الى غير ذلك من الامور التي يدعونها فانها على تقدير
البساطة تحكمات محضة وايضا الفلك ان كان بسيطاً فقد بطل الاحكام
التي يزعمونها كما بيّنا والّا فعلم الهيئة باطل لانّ مبناه ان الفلك بسيط
فحركاته بسيطة متشابهة في انفسها والحركات المختلفة المشاهدة
والمرصودة منها تقتضي محركات مختلفة على اوضاع متفاوتة واذا
بطلت الهيئة بطلت الاحكام النجومية لانها مبنية على الهيئات
المتخيلة لهم والا فلا اوج ولا حضيض ولا وقوف ولا رجوع فكيف تثبت
لها احكام مترتبة عليها لا يقال الافلاك وان كانت بسيطة
فالبروج مكوكبة بالثوابت المختلفة الطبايع والعبرة في تلك الاحكام
ليست بنفس البروج المتوافقة في الطبيعة بل بقرب كواكبها الثابتة
من السيارات وبعدها منها وتسامتها وعدمها فمدار الاحكام المختلفة
على اختلاف اوضاع الكواكب السيارة بحركاتها من الثوابت المركوزة
في البروج لانا نقول البروج كما علمت تعتبر من الفلك الاطلس الذي لا
كوكب فيه على رأيهم فان قيل البروج المعتبرة فيه وان كانت خالية

من الكواكب الا انها تسامتها كواكب متخالفة الطبايع وهذا القدر كاف
لاختلاف الاحكام والاثار فالجواب ان تلك الكواكب تزول على
تلك المسامتة بالحركة البطيئة فيلزم ان تنتقل الاحوال من برج
الى برج آخر وهو باطل عندهم الثالثة الثنوية ومنهم المجوس قالوا
انه تعالى لا يقدر على خلق البشر ولا على الاجسام الموذية والا لكان
خيرا شريرا فالخالق للشر الاخر عندهم اسمه اهرمن والجواب عن
ذلك ان الملازمة باطل ان اريد بالشرير من غالب شره وان اريد به خالق
الشر فلا محذور فيه وانما لا يطلق عليه لفظ الشرير اما لان اسمائه
توقيفية واما لايهام ان ذلك دابه وعادته كما يقال فلان شريرا
اذا كان ذلك مقتضى طبيعته والغالب على عادته على ان عدم
الاطلاق لا يدل على عدم الصدور الا ترى انه خالق القردة والخنازير
مع انه لا يطلق عليه الوصف مضاف اليهما الرابعة النظامية
قالوا لا يقدر على خلق القبيح لانه مع العلم سفه وبدونه جهل وكلاهما
نقص والجواب انه لا قبح بالنسبة اليه كيف وهو تصرف في ملكه
ولو سلم فالقدرة عليه لا تنافي امتناع الصدور عنه لوجود الصارف

وعدم الداعي

105

وعدم الداعي وان كان ممكنا فى نفسه الخامسة عباد واتباعه قالوا
انه ليس بقادر على ما علم انه لا يقع لاستحالته ولا على ما علم انه يقع
لوجوبه والجواب ان مثل هذه الاستحالة والوجوب لا ينافي المقدورية
السادسة البلخي المعروف بالكعبى واتباعه قالوا لا يقدر على مثل
فعل العبد لانه اما طاعة او معصية او سفه وهو منزه عن ذلك والجواب
انها اعتبارات تعرض للفعل بالنسبة الينا واما فعله تعالى
فمنزه عن هذه الاعتبارات فجاز ان يصدر عنه مثل فعل العبد
مجردا عنها فان الاختلاف بالعوارض لا ينافى التماثل فى الماهية
السابعة الجبائية قالوا لا يقدر على نفس مقدور العبد لانه لو صح مقد
ور بين قادرين لصح مخلوق بين خالقين لانه يجب وقوعه بكل منهما
عند تعلق الارادة لانه يجب حصول الفعل عند خلوص القدرة و
الداعى واجتماع مؤثرين على اثر واحد باطل وايضا لو اراد فعلا
واراد العبد عدمه لزم اما وقوعهما فيجتمع النقيضان واما
عدمهما فيرتفعان او وقوع احدهما فلا قدرة للآخر والجواب
انه مبني على تاثير القدرة الحادثة وهو باطل واعلم ان عدة الفلا سفة

عمن لا يقولون بعموم قدرته مسامحة لان القول بعدم الشمول فرع للثبوت وهم
لا يقولون بانه تعالى قادر مختار فلذا عدهم بعض من الفرق المخالفة
وتركهم آخر والدليل على شمول قدرته تعالى النص لقوله تعالى الله خالق كل شيء
هل من خالق غير الله وغير ذلك من الآيات والاحاديث واجماع
الامة فانها كانت مجمعة على ذلك قبل حدوث البدع والعقل لانه
لو وقع شيء بايجاد الغير وفرضنا تعلق قدرة الله تعالى وارادته
بضد ذلك الشيء حال تعلق قدرة ذلك الغير وارادته بايجاد ذلك الشيء
كحركة جسم معين وسكونه في زمان بعينه فان وقع الامران معا لزم
اجتماع النقيضين وان لم يقع شيء منهما لزم ارتفاعهما وعجز الباري
وتخلف المعلول عن علته التامة وان وقع احدهما لزم الترجيح
بلا مرجح وهو محال فلابد وان يكون قدرة الغير غير موثرة فلزم
شمول قدرته تعالى الارادة كالقدرة متعلقا فتختص بالممكنات
دون الواجبات والمستحيلات الا ان جهة تعلقهما مختلفة فالقدرة
تؤثر في الايجاد والاعدام على وفق الارادة والارادة تؤثر في اختصاص
احد طرفي الممكن بالوقوع فتأثير القدرة فرع تاثير الارادة اذ لا يوجد

ولا اعدام

106

ولا يعدم بقدرته تعالى الا ما اراد وجوده او اعدامه ونا ثير الارادة على
وفق العلم فكل ما علم تعالى انه يكون من الممكنات او لا يكون فذلك
مراده والمعتزلة جعلوا تعلق الارادة تابعاً للامر فلا يريد الا ما امر به
سواء وقع ام لا فايمان ابي جهل مامور به غير مراد له عندنا التعلق
علم الله بعدمه وفوعه وكفره منهى عنه واقع بارادة الله تعالى وقدرته
وعند المعتزلة ايمانه هو المراد لا كفره فلزمهم وقوع النقص في ملك مولانا
عز وجل اذ وقع فيه على قولهم ما لا يريده تعالى له ملك السموات والارض
وما بينهما تعالى عن ذلك علواً كبيراً استطراد دخل القاضي عبد الجبار
على الصاحب بن عباد وعنده الاستاد ابو اسحق الاسفرايني فقال
عبد الجبار معرضاً بالاستاد سبحان من تنزه عن الفحشاء ففهم الاستاد
انه اراد التعريض به فقال سبحان من لا يكون في ملكه الا ما يشاء ففهم
فهم مراده فقال ارايت ان منعني الهدى وسلك بي سبيل الردى
احسن بي ام اسا فقال الاستاد ان كان منعك ما هو لك فقد
تعدى واسى وان كان منعك ما هو له فالله يختص برحمته من يشاء
فانحصر وانصرف الحاضرون يقولون والله ليس لهذا الجواب مدفع

فرع لايحل اكل حيوان مائى سوى سمك لم يطف لان ماسواه خبث لاستخبات
الطبيعة السليمة اياه وقال تعالى ويحرم عليهم الخبائث واباحه ابن ابى ليلى
ومالك والشافعى واحمد واستثنى بعض المالكية كلب الماء وخنزيره
وانسانه وعن احمد والشافعى الا الضفدع وعن احمد وبعض الشافعية
كقولنا وعن الثلاثة لايحل فى البحر ما لايحل مثله في البر واما السمك
فحال بالاجماع وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور
ماؤه والحل ميتته عندنا وهو باطلاقه يتناول جميع انواعه
حتى الجريث والمارماهى ومانقل عن محمد فى المغرب من تحريمهما
فضعيف والروافض واليهود يحرمون الجريث ويقولون كان ديوثا
يدعوا الناس الى حليلته فمسخ به وانما استثنينا الطافى وهو
ما مات حتف انفه وطفى على الماء لقوله صلى الله عليه وسلم
ما نضب عنه الماء فكلوا وما طاف فلا تاكلوا فلا يوكل منه الا ما مات
بسبب كالماخوذ منه فلو ضرب سمكة وقطع بعضها حل الجميع
وكذا ان وجد فى بطنها سمكة اخرى او قتلها شئ من الطير او ماتت
فى جب او جمعها فى خطيرة لاتستطيع الخروج منها وهو قادر على

اخذها

١٠٦

اخذها بغير صيد فمتن فيها اوماتت فى الشبكة غير قادرة على التخلص منها
اوباكل شى القاه لتاكله اوماتت بسبب ربطها فى الماء او انجماد الماء
لان موت الكل بسبب اما ان ماتت بحر الماء وبرده فلا توكل فى
رواية لان الماء لايقتلها حارا ولا باردًا وتؤكل فى اخرى لانه موت
بسبب القول السابع ان المد من تنفس ثور الارض والجزر من ردنفسه
قال فى الخريده روى ان الله تعالى لما خلق الارض كانت تتكفا كما
تتكفا السفينة فبعث الله تعالى ملكًا فهبط حتى دخل تحت الارض
فوضعها على كاهلة ثم اخرج يديه احديهما من المشرق والاخرى
من المغرب ثم قبض على الارضين فضبطها فاستقرت ولم يكن لقدم
الملك قرار فاهبط الله له ثورًا من الجنة له اربعين الف قرنٍ واربعين الف
قائمة فجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تصل قدماه الى سنامه
فبعث الله تعالى ياقوتة خضراء من الجنة مسيرة غلظها كذا الف
عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليه قدماء الملك وقرون
الثور خارجة من اقطار الارض مشتبكة الى تحت العرش ومنخري الثور
فى ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر فهو يتنفس كل يوم نفسين

فاذا تنفس مدّ البحر واذا رد النفس جزر البحر قال ولم يكن لقوايم الثور قرارا
فخلق الله تعالى كمكما من رمل كغلظ سبع سموات وسبع ارضين
فاستقرت عليه قوايم الثور ولم يكن الكمكم مستقر فخلق الله تعالى
حوتا يقال له يهموت فوضع الكمكم على وتر الحوت والوتر الجناح الذي يكون
في وسط ظهره وذلك مزموم بسلسلة من القدرة كغلظ السموات
والارض مرارا قال فانتهى ابليس لعنه الله الى ذلك الحوت فقال له ما
خلق الله خلقا اعظم منك فلم تزل الدنيا على ظهرك فهمّ بشيء من
ذلك فسلط الله عليه بقة في عينه فشغلته وزعم بعضهم ان الله
سلط عليه سمكة كالشبر شغلته فهو ينظر اليها ويهابها ويخافها
قيل وانبت الله من تلك الياقوتة جبل ق وهو من زمردة خضراوله
راس ووجه واسنان وانبت الله من جبل ق الجبال الشواهق كما انبت
الشجر من فروع الشجر انتهى قلت يستانس له بما اخرجه السيوطي عن ابي
الشيخ وعن ابن ابي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خلق الله
جبلا يقال له ق محيط بالارض وعروقه الى الصخرة التي عليها
الارض فاذا اراد الله ان يزلزل قرية امر ذلك الجبل فحرك الذي يلي

تلك القرية

108

تلك القرية فيزلزلها ويحركها فمن ثم يزلزل القرية دون القرية انتهى القول
الثامن ان المد من وضع رجل الملك الموكل في البحر فيه والجزر من رفعها
ففي الهيئة السنية اخرج ابو الشيخ عن بن عباس رضي الله عنهما
انه سئل عن المد والجزر فقال ان الله ملكاً موكلاً بقاموس البحر اذا و
ضع رجله فاض واذا رفعها غاض فذلك المد والجزر قال في الخريدة
بعد حكايته لقول ارسطاطاليس وكيماموس والمنجمين وقد روى
في بعض الاخبار ان الله تعالى جعل ملكا موكلا بالبحار فاذا وضع
قدمه في البحر مد واذا رفعه جزر فان صح ذلك والله اعلم كان
اعتقاده اولى من المصير الى غيره مما لا يفيد حقيقة ولو ذهب ذاهب
الى ان ذلك الملك هو مهب الرياح التي تكون سببا للمد وتزيد
في الانهار ويفعل ذلك عند امتلاء القمر حتى يكون توفيقا
وجمعا بين الكل لكان مذهبا حسنا والله اعلم انتهى اقول
قد تحققت بطلان كل من الاقوال فالاحسن في رعايتها على ان
القول يكون ذلك الملك مهب الرياح تزيد في الانهار ممنوعة
وانما زيادتها بالامطار واذابة الثلوج ولو قال ان الرياح سببا

لاثارة السحاب الذى هو سبب للامطار التى هى سبب الزيادة لكان له
وجه لقوله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً ولعله اراد ذلك
لكن قوله يفعل ذلك عند امتلاء القمر باطل لما علمت ان فى كل يوم وليلة
مدين وجزرين فلو سكت عن لو لكان حسناً لا يقال اذا كانت الشرطيه
لا تقتضى الامكان فلا دلالة لها على الترجيح والاختيار لانا نقول
وان لم تقتضى الامكان لكن يلزم من فرض وقوع مقدمها وقوع
تاليها فيلزم من فرض وقوع هذا القول ثبوت الحسن له مع انه لا حسن فيه
على مثل هذه العبارة فى هذا المقام للتعريض بالقول بالمقدم
فهى امر للقول به بطريق التعريض والصواب ان يقال لما كان هذا
القول لابن عباس رضى الله عنهما كما اخرج ابو الشيخ عنه
وهو فى مثل هذه لا يقول الا عن توقيف ولا معارض له مثل تعين الاخذ به
وبطل كل ما عداه اللهم الا ان يظهر فى المسئلة قول يساويه ويعارضه
فيطلب الترجيح فان وجد اخذ بالراجح والا فالتوقف اسلم فوايد
اختلف الناس فى حقيقة الملائكة مع اتفاقهم فى انها ذوات
قائمة بانفسها فمنهم من قال انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على

التشكل

١٥٩

التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهذا قول اكثر المفسرين
ومنهم من قال انها هي الكواكب الموصوفة بالسعود والنحوس وهو قول
عبدة الاوثان ومنهم من قال العالم مركب من اصلين قديمين وهما
النور والظلمة وهما جوهران فجوهر النور اصل خير كريم النفس وجوهر
الظلمة على ضد ذلك ثم جوهر النور لم يزل يولد الاولياء وهم
الملائكة على سبيل تولد الحكم من الحكيم والضوء من المضيء وجوهر
الظلمة لم يزل يولد الاعداء وهم الشياطين على سبيل تولد السفه
من السفيه هذا اذا كانت الملائكة جواهر متحيزة ام اذا لم تكن
فمنهم من قال انها هي النفوس الناطقة المفارقة لابدانها فان المفارقة
اذا كانت صافية خالصة فهي الملائكة وان كانت على خلاف ذلك
فهي الشياطين وهذا هو مذهب اهل الهند وقوم من النصارى
ومنهم من قال انها جواهر قائمة بانفسها مخالفة للنفوس ثم انها
على طائفتين طائفة منهم مستغرقة في معرفة الله تعالى وطاعته
ومحبته وهي الملائكة المقربون وطائفة منها مدبرة للسموات
وما فيها من الكواكب ونسبت الطائفة الاولى الى الثانية كنسبة الثانية

الي نفوسنا الناطقة وهذا مذهب الفلاسفة ومنهم من اثبت انواعاً
اخر من الملائكة وهي الملائكة الارضية المدبرة لاحوال هذا
العالم السفلي من المدبرة ان كانت خيرة فهي الملائكة وان كانت شريرة
فهي الشياطين واما اثبات الملائكة فمنهم من قال لا يمكن الا بالسمع
ومنهم من قال بالعقل ايضا وهو قول الفلاسفة والاظهر من الدلايل
العقلية عندهم هو ان الملك عبارة عن الحي الناطق الذي لا يكون مايتا
وهو ثابت اذ الحي اما ان يكون ناطقا دون مايت وهو الملك او ناطقا
ومايتاً وهو الانسان او مايتا غير ناطق وهو البهايم ولا خفا في
ان الاشرف منها هو الاول وهو الناطق دون المايت فلما اقتضت
الحكمة الالهية الايجاد احسن المراتب وهو الثاني منها والثالث
فلان يقتضي ايجاد اشرف المراتب وهو الاولى كان الاولى ولان
العقل يشهد بان عالم السموات اشرف من هذا العالم ويشهد بان
الحيوة والنطق والعقل اشرف من اضدادها فيبعد في العقل ان يحصل
الحيوة والعقل والنطق في هذا العالم ولا يحصل في ذلك ولا يسترأب
في انهما من الدلايل الا القناعية قال السعد وعندنا ظاهر الكتاب

والسنة

١١٥

والسنة ان الملائكة اجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل باشكال مختلفة
في العالم والقدرة على الافعال الشاقة والجن اجسام لطيفة هوائية تتشكل
باشكال مختلفة يظهر منها افعال عجيبة منهم المؤمن والكافر والمطيع
والعاصي والشياطين اجسام نارية شانها القاء الناس في المفاسد
والغوايا بتذكير اسباب المعاصي واللذات ونسيان منافع الطاعات
قيل الانواع الثلاثة مركبة من امتزاج العناصير الاربعة الا ان الغالب
علي الشياطين عنصر النار وعلى الاخرين عنصر الهوى وذلك ان امتزاج
العناصر قد لا يكون على القرب من الاعتدال بل على قدر صالح من غلبت
احدها فان كانت الغلبة للارضية يكون الممتزج مايلا الى عنصر الارض
وهو التراب وان كانت للمائية فالى الماء والهوائية فاولى الهوا وللنارية
فالى النار ولا يبرح ولا يفارق الا بالاجبار او بان يكون حيوانا فيفارق
بالاختيار مثل ما يعش بالماء كالضفادع او غيره كحشرات الارض
مثلا وليس لهذه الغلبة حد معين بل يختلف الى مراتب بحسب انواع
الممتزجات التي تسكن هذه العناصر ولكون الهوا والنار في غاية
واللطافة كانت الملائكة والجن والشياطين بحيث يدخلون

المنافذ والمضايق حتى في اجواف الانسان ولا يرون بحس البصر الا
اذا اكتسبوا من الممزجات الاخر التى تغلب عليها الارضية والمائية
جلابيب وغواش ويرون فى ابدان كابدان الناس وغيرهم من الحيوانات
والملائكة كثيرا ما يعاونون الناس على اعمال يعجزون عنها لقوتهم
كالغلبة على الاعداء والطيران في الهوى والمشى على الماء وبحفظهم
خصوصا المظرين عن كثير من الافات واما الجن والشياطين فيحالطون
بعض الاناسي ويعاونونهم على السحر والطلسمات الثانية ان المفاضلة
واقعة بينهم كما بين البشر وافضلهم رسلهم وافضلهم الاربعة
الموكلون بتدبير العالم جبريل وهو ملك الحروب والزلازل والصواعق
واسرافيل وهو ملك النفخة وميكائيل وهو ملك الارزاق
وعزرائيل هو ملك الموت والمصائب وافضلهم جبريل واسرافيل
واختلف فى ايهما افضل واختار قوم الوقف الثالثة اختلف الناس فى
تفضيلهم على البشر وتفضيل البشر عليهم فالصحيح عندنا رسل
البشر كموسى افضل من رسل الملائكة كجبرائيل ورسل الملائكة
كاسرافيل افضل من عامة البشر [ختم] وعامة البشر كعمر

افضل

افضل من عامة الملائكة كحملة العرش والكروبين والمراد بالرسل ما يعم
الانبياء وبعامة البشر الصلحاء دون الفسقة وفى رواية عن اصحابنا
ان خواص البشر افضل من خواص الملائكة وخواص الملائكة افضل من الانبياء
غير الرسل والانبياء غير الرسل افضل من انبياء الملائكة و
انبياء الملائكة افضل من اعوام البشر واختلفوا فى التفضيل بين اعوام
الملائكة واعوام البشر واختار بعضهم الوقف وعند الاشعرية
فى القول المشهور عنهم ان انبياء البشر افضل من الملائكة مطلقا
والملائكة مطلقا افضل مما عدا الانبياء من البشر وفي رواية عنهم
كالمشهور عن اصحابنا وذهب بعض اهل السنة والمعتزلة الى
تفضيل الملائكة على البشر مطلقا حتى الانبياء والخلائق فى غير
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ الاجماع منعقد على افضليته
على جميع المخلوقات ومن تامل لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
ادم على صورته وكونه صلى الله عليه وسلم من البشر مع انه الحبيب
الاعظم والخليل الاقدم الذى لم تكن خلته من وراء وراء بخلاف
خلة غيره لم تشك فى ان هذا الجنس افضل من جميع ما عداه ولا منافات

بينه وبين قوله تعالى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا حيث
انه يدل بمفهومه المخالف ان ثم اجناسا لم يفضلوا عليهم فهم اما
فاضلون واما مساوون لانا نحمل الكثير على الكل ولا بعد فيه وان
استبعده البيضاوي اذا جعلت من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله
الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم او يكون التفضيل بالغلبة والا
ستعلاء او بنوع خصوصية لا توجب اكمليتها التفضيل عند الله
حتى لا يلزم من ترجيح غيرهم فيها عليهم او مساواتهم ان يكون
افضل منهم وعدم تفضيلهم عليه او نقول لما كان تفضيلهم
على من عداهم على قسمين تارة يكون مطلقا لا تفضيل فيه بين
فرد وفرد وهو تفضيلهم على الكثير وتارة يكون فيه تفضيل
وهو تفضيلهم على ما عداه وكان المقام مقام الامتداح
والامتنان والمناسب فيه ذكر الاول قيده بالكثير فلا باس اذا دل
بمفهومه على نفي الحكم عن الباقي وقد يستانس له بتاكيده بالمصدر
بحمل التنوين فيه على التنويع او التعظيم والكمال اذ التفضيل الذي
لا تفضيل فيه اعظم واكمل من غيره او انه مطلق فينصرف الى الفرد

الكامل

الكامل وتفضيل بعض اجزاء الجملة المفضولة على الجملة الفاضلة لا يقدح
في تفضيل الجنس على الجنس كما في الصلوة والصوم او نقول ان كثيرا
وان كان وصفا في الاصل الا انه لما عومل معاملة الاسم في عدم
اجرائه على موصوف عومل معاملته في عدم المفهومية اذ لا مفهوم
للقب خلافا لابن الدقاق هذا على مذهب من يقول بالمفهوم
واما مذهبنا فنحن لا نقول به في الاصول وان قلنا به في كلام العلماء
في الفروع وغيرها كما نقله القاضي زكريا في حاشيته على جمع الجوا
مع ناقلا عن التحرير فلا اشكال الرابعة جريان الخلاف في التفضيل
بالتفضيل بين البشر ومطلق الملائكة وخص الرازي بالملائكة السماو
واما الملائكة الارضية فحكى الاجماع على تفضيل الانبياء عليهم
الخامسة اختلف الناس في وجوب عصمتهم فذهب طائفة
الى انهم معصومون لا يصدر منهم ذنب وقالت طائفة بعد العصمة
قال السعد والصحيح انه لا قطع عليها وانما تمسك مثبتوها بالعمومات
الواردة في حقهم كقوله تعالى بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وامثال ذلك وهي لا تفيد الا بالظن والخلاف

انما هو فى غير انبيائهم اما انبيا ؤهم فحكمهم حكم انبياء البشر وفى بحر الكلام
للنسفى ما يدل ان الحنفية على الثانى وحكاه الفخر عن الحشوية السادسة
لا توصف الملائكة بذكورة ولا انوثة اذ لا دليل على ذلك من نقل صريح
او عقل صحيح السابعة يجوز فى حق البشر غير الانبياء روية الملائكة
وتكليمهم لهم وقد كلمت الملائكة مريم وام موسى ورجل خرج لزيارة اخ له
فى الله وبلغته ان الله يحبه لحبه لاخيه ذكره اللقانى فى هداية
المريد والمختص بالانبياء انما هو تكليمهم بالاحكام التكليفية على
وجه التشريع الثامنة اختلفوا فى ارساله صلى الله عليه وسلم الى الملائكة
فذهب بعض الحنفية كمحمود بن حمزة الكرمانى وبعض الشافعية
كالبيهقى الى انه لم يرسل اليهم وحكى البرهان النسفى والرازى فى
تفسيرهما الاجماع على ذلك والصحيح وقوع الخلاف بل ذهب
جمع من المتاخرين كالسبكى والسيوطى وغيرهما الى ترجيح ارساله
اليهم التاسعة اختلفوا فى تكليفهم والصحيح انهم مكلفون
بالطاعات العملية بخلاف نحو الايمان فانه فيهم ضرورى فالتكليف
به تحصيل للحاصل وهو محال كذا فى عمدة المريد نقلا عن البعض

العاشرة

113

العاشرة اختلفوا في قدرتهم على المعاصي والشرور فقال جمهور الفلاسفة
واكثر الجبريين لا قدرة لهم على ذلك لانهم خير محض وقال
جمهور المعتزلة وكثير من الفقهاء انهم قادرون على الامرين الحادية عشر
اختلفوا في الملآئكة المأمورين بالسجود لآدم فذهب الاكثرون
الى ان الجميع كانوا مامورين قال وهب بن منبه اول من سجد لادم جبريل
فاكرمه الله بانزال الوحي على النبيين خصوصا سيد المرسلين ثم
ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم ساير الملآئكة وقيل اول من سجد
اسرافيل فرفع رأسه وقد ظهر القرآن كله مكتوبا على جبهته كرامة
له على سبقته على الايتمار قيل انهم مامورون ما سوى العالمين
وهم المهيمنون في جلال الله لعدم شعورهم بادم وخلقه وقيل
ان المامورهم الملآئكة الارضية دون السماويه واما الحكما فانهم
يحملون الملآئكة على الجواهر الروحانية وقالوا يستحيل ان تكون
الارواح السماوية منقادة للنفوس الناطقة انما المراد بالملآئكة
والمامورين بالسجود القوى الجسمانية البشرية المطيعة للنفس الناطقة
الثانية عشر اختلفوا في الذي يقبض ارواح الملآئكة فمذهب اهل السنة

انّ القابض لها ملك الموت قالوا انّه يقبض روح كل ذى روح من
مقرّها او من يد اعوانه المعالجين لنزعها منه بشراً كان او ملكاً
اوجنّاً او غيرذلك من سائر الحيوانات حتى البراغيث وقيل حتّى
روح نفسه وقيل القابض لروحه هو الله تعالى وزعم المعتزلة انّما
يقبض ملك الموت ارواح الثقلين وقالت المبتدعة انّما يقبض
ارواح البهايم اعوانه وعلى قول المعتزلة القابض لارواح الملآئكة
هو الله تعالى ذكر الفخر الاتفاق على ان الملآئكة لا يأكلون ولا يشربون
ولا ينكحون يسبّحون الليل والنّهار لا يفترون الرابعة عشر اختلفوا
في تشكّل الملآئكة بصورة اصغر من صورتهم كتشكل جبرائيل
عليه السّلام في صورة دحيه وتشكله في صورة فحل من الابل فاتحاً
فاه على ابي جهل مريدان ان يثب عليه فمن قايل بانه سبحانه يفنى
الزايد من خلقه ثم يعيده اليه ومن قائل بانه تمثيل ومن قايل بالتداخل
قال بعضهم وهو محال عقلاً والذي يظهر انه لا احالة فيه وتحقيق
القول ان جبرائيل عبارة عن الحقيقة الملكية الخاصة وتلك الحقيقة
لا تتغيّر بتغيّر الصّور والاشكال الخامسة عشر يجب الايمان بوجود

الملآئكة

الملائكة لان الله تعالى ورسوله اخبر عنهم بانهم يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وانهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم وانهم يستغفرون
لمن في الارض وانهم سجدوا لادم الى غير ذلك وهذه الافعال
لا تسند الا الى موجود فيجب الايمان بذلك لوقوعه في خبر الله
ورسوله وقد فسر صلى الله عليه وسلم الايمان في حديث جبرائيل
عليه السلام بان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فلا ايمان
لمنكر وجودهم السادسة عشر اخرج السيوطي في جامع الصغير عن ابن
مردويه عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحقها
ان تئط والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر الا وفيه جبهة ملك
ساجد يسبح الله بحمده وتفسير الفخر قال صلى الله عليه وسلم
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك
ساجد او راكع وروى ان بني آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر
حيوانات البر وهولاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر
حيوانات البحر وكلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وكل هولاء
عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية

وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة الكرسي
نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات
العرش التي عددها ستماية الف طول كل واحد وعرضه وسمكه
اذا قوبلت به السماء والارضون وما فيها وما بينهما فانها كلها
تكون شيئا يسيرا وقدرا صغيرا وما من مقدار رقم الا وفيه ملك
ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم هؤلاء في
مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر لا يعرف
عددهم الا الله تعالى ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم اشياع
اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبرائيل عليه السلام
كلهم سامعون مطيعون لا يفترون ويشتغلون بعبادته سبحانه
يطاب الالسنة بذكره وتعظيمه يتسابقون في ذلك مذ خلقهم
لا يستكبرون عن عبادته اناء الليل والنهار ولا يسامون لا تحصى
اجناسهم ولا مدت اعمارهم ولا كيفية عباداتهم وهذا يحقق حقيقة
ملكوته جل جلاله على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو واقول
رايت في بعض كتب التذكرة انه صلى الله عليه وسلم حين عرج به

رأى ملائكة

115

راي الملائكة في موضع مشرف على بعضهم يمشي بجاه بعض فسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يذهبون فقال جبرائيل عليه السلام
لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ادري واحدا منهم قد رايته
قبل ذلك ثم سال واحدا منهم وقيل له منذ كم خلقت فقال لا ادري
غير ان الله تعالى يخلق في كل اربعماية الف سنة كوكبا فخلق مثل
ذلك الكوكب منذ خلقني اربعماية الف كوكب فسبحانه من اله ما
اعظم قدرته وما اجل كماله انتهى وفي الثعلبي عن الاوزاعي قال
موسى يا رب من معك في السماء قال ملائكة قال كم عددهم يا رب
قال اثني عشر سبطا قال كم كل سبط قال عدد التراب وعن ابن عباس
ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين
والبحار السبع يدخل جبرائيل فيه فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا
الى جماله وعظما الى عظمته ثم ينتفض فيخرج الله تعالى من كل
ريشة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك لا يعودون اليه الى يوم القيمة
وقال وهب ان جبرائيل واقف بين يدي الله ترعد فرايصه
يخلق الله تعالى من كل رعدة ماية الف ملك وعن ابي كعب ان

العالمين رهط من الملائكة وهم ثمانية عشر الف ملك منهم اربعة
الاف وخمساية بالمشرق ومثل ذلك بالمغرب ومثل ذلك في الجانبين
الاخيرين مع كل ملك منهم من الاعوان ما لا يعلم عددهم
غير الله تعالى ومن ورائهم من الجهات الاربع ارض بيضاء عرضها
مسيرة السماء اربعين مرة مملوة ملائكة يقال لهم الروحانيون لهم
زجل بالتسبيح والتهليل لو كشف عن صوت احدهم لهلك اهل الارض
من صوته فهم العالون منتهاهم الى حملة العرش وقال مجاهد العالون
ثمانية عشر الف ملك في نواحي الارض الاربع في كل ناحية منها
اربعة الاف وخمساية مع كل ملك منهم عدد الانس والجن وبهم
يرفع الله العذاب عن اهل الارض السابع عشر في ذكر شيء من قدرتهم
فمن ذلك حمل العرش المجيد والنزول منه مع ان بين القايمتين من
قوايمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وارتفاعه لا يحيط به
الوهم قال الفخر ويدل قوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مع ان الحامل له اربعة كما جاء
في رواية او ثمانية كما جاء في اخرى ووجه الجمع بينهما ان التنصيص على

عدد لا يدل

عدد لا يدل على نفي الزايد عنه فهم ثمانية كما جاء مصرحاً في حديث
العباس السابق ولهذا حمل ابن عباس رضي الله عنهما الثمانية في قوله
تعالى وَيَحمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فَوقَهُم يَومَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ على ثمانية
صفوف واذا اراد الله امر انزلت الملائكة من العرش في لحظة واحدة
ومن ذلك حمل الكرسي الذى وسع السموات والارض وفضله عليها
كفضل الفلاة على الحلقة مع ان الحامل له اربعة قال اللقاني في هداية المريد
حملة الكرسي اربعة فانت قدامهم الارض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة
عام بينهم وبين حملة العرش سبعون حجابا من نور غلظ كل حجاب
مسيرة خمسماية عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور
حملة العرش ومن ذلك قوة اسرافيل الذى بلغ منها انه ينفخ في
الصور فيصعق من في السموات والارض الا من شاء الله ثم ينفخ
الاخرى فاذا هم قيام ينظرون ومن ذلك قوة جبرائيل التى بلغ منها
انه اقتلع مداين قوم السبع وجبالهم وقلبها دفعة واحدة
الثامنة عشر في ذكر شيء من عظيم خلقتهم عن ابى داود عن جابر بن
عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدث عن ملك

من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة
عام وحكى الثعلبى عن ابن عباس قال حملة العرش ما بين كعب احدهم
الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وحكى عنه ايضا لما خلق الله
حملة العرش قال لهم احملوا عرشى فلم يطيقوا فخلق مع كل ملك منهم
من الاعوان مثل جنود سبع سموات وسبع ارضين وما فى الارض
من عدد الحصا والثرا فقال احملوا عرشى فلم يطيقوا فقال قولوا لا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقالوها فاستقلوا بعرش ربنا فنفذت
اقدامهم فى الارض السابعة على متن الثرى فلم تزل لا تستقر فكتب فى
قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه تعالى فاستقرت اقدامهم وروى
ان جبرائيل عليه السلام سد الافق بجناح واحد وقال انا اذا طرت
فى جناح اسرافيل وخرجت من الجانب الاخر لم يحس بى وروى
ان النبى صلى الله عليه وسلم ان يتراءى فى صورته فقال جبرائيل انك
لا تطيق ذلك فقال له احب ان تفعل فخرج النبى صلى الله عليه وسلم
الى المصلى فى ليلة مقمرة فاتاه جبرائيل فى صورته فغشى على النبى
صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبرائيل مسنده واضع احدى يديه

على صدره

١١٧

على صدره والاخرى بين كتفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت
أرى شيئاً من الخلق هكذا التاسعة عشر في ذكر شيء من خوفهم
مع كثرة عباداتهم وعدم اقدامهم على الزلات وما ذلك الا بمعرفتهم
بربهم وعظمته واعترافهم بانهم ما قدروه حق قدره ولا عظموه
حق عظمته فكانهم نزلوا عباداتهم معاصي وعلى قدر علم المرء
يعظم خوفه وقد جاء في الحديث انا اعرفكم بالله واخوفكم منه
او مخافته من مكره كما قيل شعر

على قدر علم المرء يعظم خوفه ولا عارف الا من الله خايف
فامن مكر الله بالله جاهل وخايف مكر الله بالله عارف

فقد روى ان جبرائيل عليه السلام وميكائيل اخذا يبكيان فاوحى الله
اليهما اسرافيل وقال لم تبكيان قالا نخاف مكر الله فاوحى الله اليهما
لا تأمنا مكرى قال الله تعالى في حقهم يخافون ربهم من فوقهم
وقال تعالى وهم من خشيته مشفقون وروى ان جبرائيل واقف
بين يدى الله ترعد فرائصه وروى ان اسرافيل عليه السلام ليتضائل
الاحايين من عظمة الله تعالى حتى يعود مثل الوصع اى عصفور صغير

مع ما علمت ما هو عليه من عظيم الخلقة وروى البيهقي في شعب
الايمان عن ابن عباس قال بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
جبرائيل اذا انشق افق من السماء فطفق جبرائيل يتضاءل ويدخل
بعضه في بعض فاذا الملك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد ان ربك يقريك السلام ويخيرك بين ان تكون نبيا ملكا
وبين ان تكون نبيا عبدا فقال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى جبرائيل كالمستفهم فاشار جبرائيل بيده الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان تواضع قال عليه السلام فعرفت انه لي ناصح فقلت بل نبيا
عبدا فعرج ذلك الملك الى السماء فقال عليه السلام يا جبرائيل اني اردت
ان اسئلك عن هذا فرايت من حالك ما اشغلني من المسئلة فمن هذا
الملك قال جبرائيل يا محمد هذا اسرافيل خلقه منذ خلقه صافا قدميه
لا يرفع طرفه وبينه وبين رب العزة سبعون حجابا من نور ما منها
نور يدنو منه احد الا احترق وبين يديه اللوح المحفوظ فاذا اذن الله
في شيء من السماء او في الارض ارتفع ذلك اللوح فضرب جنبيه
فينظر فيه فان كان الامر من عملي امرني به وان كان من عمل ميكائيل

امره به

١٢

118

امر به وان كان من عمل ملك الموت امر به قال يا جبرائيل على اى شئ انت
قال على الرياح والحروب قال فعلى اي شئ ميكائيل قال يا محمد على
النبات قال فعلى اي شئ ملك الموت قال على قبض الانفس والذى
بعثك بالحق ماظننت انه هبط الا لقيام الساعة وماذاك الذى
رايت مني الا خوفا من قيام الساعة انتهى فاذا كان هذا جبرائيل
عليه السلام مع قربه من الله تعالى على ماسمعت من الخوف من قيام
الساعة فكيف حال من هو مكبل بالشهوات ملطخ بالنجاسات منكب
على الزلات عاكف على المعاصى والسيئات اللهم يا غفار يا غفور
اخرجنا من الظلمات الى النور وقدنا اليك بسلاسل المحبة بيد التوفيق ويسر لنا
الوصول اليك وسلوك الطريق واقول قد دل حديث البيهقي المذكور
بصريحه على ان اسرافيل عليه السلام هو الامر للثلاثة بالاوامر الالهية
ومنه يظهر وجه وجيه لمن قال بافضلية على جبرائيل وههنا اشكال
وهو ان اسرافيل قد وكل بالوحى قبل جبرائيل بثلاث سنين كما اخرجه
السيوطى فى كتاب الاتقان نقلا عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله
قال انزل الله على النبى صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة

فقرن بنوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمه والشئ ولم ينزل
عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنوته جبرائيل
عليه السلام فنزل القران على لسانه عشرين سنة كما نقله صاحب المحاضرات
عن الاتقان واذا كان كذلك يبعد منه صلى الله عليه وسلم ان يسال
جبرائيل عنه فانه سؤال مستفهم لا سؤال مستخبر ما عند صاحبه
من العلم ويمكن الجواب عن ذلك والتوفيق بين الروايتين انه نزل
في هذه الواقعة على غير الصورة التى كان ينزل عليها حال توليته
على الوحى فلعله صلى الله عليه وسلم لم يعرفه من اختلاف الصورة
العشرون في ذكر شئ من شريف عباداتهم ووصف شئ من سنى
حالاتهم اعلم انهم كلهم عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ
بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ لَا يَفْتُرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْأَمُونَ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ
مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ يقتحمون من الاعمال ما يبهر العقول
ويأتون من العبادة ما يعجز عن بعضه الفحول وفي تاريخ الخميس قالوا
لو قوبل طاعات اهل الارض بطاعة واحد من اهل السماء الدنيا
لرجح عمل ذلك الواحد عليها وطاعات اهل السماء الدنيا واهل

الارض

١١٩

الارض لو قوبلت بعمل واحد من اهل السماء الثانية لرجح عمل ذلك
على هولآء وكذلك كل سماء على هذا الاعتبار الى العرش ثم هم يسرّون
بعمل اهل الارض ويتقرّبون اليهم انتهى فهم لا يزالون مطيعون
على مر الادوار الا انهم من اختلاف الطاعة على اطوار كما قال
امير المؤمنين على بن ابى طالب رضي الله عنه فى وصفهم فى بعض خطبة
فتق السموات العلى فملاهن اطوارا من ملآئكته منهم سجود لا يركعون
وركوع لا ينتصبون وصافون لا يزالون ومسبّحون لا يسأمون
لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة
النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة على رسله ومختلفون
بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه
ومنهم الثابتة بالارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا
اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوايم العرش
اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة
بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتاملون
ربهم بالتصوير ولا يجوزون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه

بالاماكن ولايشيرون اليه بالنظائر وذكر الجيلي قدس سره في الانسان
الكامل انه راى من يسكن سدرة المنتهى من الكروبين على هيئات
مختلفة لا يحصى عددهم وقد انطبقت انوار التجليات عليهم حتى
لايكاد احد منهم يحرك جفن طرفه فمنهم من وقع على وجهه ومنهم
من وقع على ركبتيه وهو الاكمل ومنهم من سقط على جنبه ومنهم
من حمل في قيامه وهو اقوى ومنهم من دهش في هويته ومنهم
من خطف في انيته قال ورايت فيهم ماية ملك مقدمين على
هؤلاء جميعهم بايديهم اعمدة من النور مكتوب على كل عمود
اسم من اسماء الله تعالى قال ثم رايت سبعة من هذه الملائكة
متقدمة على جميعهم يسمون باسم الكروبين ورايت ثلاثة
متقدمة على هذه السبعة يسمون باهل المراتب والتمكين
ورايت واحدا متقدما على جميعهم يسمى عبد الله قال
وهؤلاء كلهم من العالين الذين لم يؤمروا بالسجود لادم
الحادية والعشرون في ذكر اصناف منهم فمنهم الحفظة قال تعالى
لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ

وهم عشر

120

وهم غير الكاتبين وعن عثمان رضى الله عنه سئل النبى صلى الله
عليه وسلم كم من ملك على الانسان فذكر عشرين ملكا وقال بعضهم
ان كل ادمى يوكل به من حين وقوع نطفة فى الرحم الى موته اربعماية ملك
كذا فى هداية المريد و فى بهجة الناظرين نقلا عن بعض التفاسير
وكل بالمؤمن ماية وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه
من ذلك على البصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة
العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته
الشياطين ومنهم الكاتبون واختلف فى عددهم فقيل ملكان
يلزمانه الى مماته واذا مات قاما على قبره يسبحان ويكبران ويهللان
ويكتب ثوابه للميت الى يوم القيمة ان كان مؤمنا ويلعنانه
الى يوم القيمة ان كان كافرا وقيل هم اربعة اثنان بالليل واثنان
بالنهار وقيل خمسة واحد لا يفارق فى الليل والنهار واربعة
يتعاقبون اثنان فى الليل واثنان فى النهار واختلف فيما يكتب
عليه فقيل كل شئ حتى انينه فى مرضه وقيل ما يكتب الا ما يوجر
عليه او يوزر وعن الحسن ان الملائكة تجتنب الانسان عند غائطه

والظاهر انه اراد الكتبة دون الحفظة ومنهم ملائكة الجنة قال الله تعالى
وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا
صَبَرْتُمْ ومنهم ملائكة النار قال تعالى وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ
إِلَّا مَلَائِكَةً قال الفخر ورئيسهم مالك واسماء جملتهم الزبانية
ومنهم الملائكة التي تزجر السحاب قال تعالى وَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا
ومنهم الموكلون بقبض الارواح وهم النَّازِعَاتُ وَالنَّاشِطَاتُ
فالاولى لارواح الكفار تنزعها من اقصى الابدان والثانية لارواح
المؤمنين ينشطون اي يخرجون ارواحهم برفق ومنهم الموكلون
بالمطر نقل الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا تنزل
نقطة من المطر الا ومعها ملك وفي الثعلبي عن ابن عيينة قال بلغنا
انه ينزل مع المطر اكثر من عدد ولد ابليس وولد آدم يحصون كل قطرة
حيث وقعت وما انبتت والفلاسفة يحملون ذلك الملك على
الطبيعة الحالة في تلك الجسمية الموجودة لذلك النزول قال بعضهم
فان قلت الملائكة النازلين مع المطر هل يغنون بغناية اولا فان
قلت لا وهو الحق لزم ان نضيق الارض بهم لان الملائكة متحيزة

على الحي

١٢١

على الصحيح كما نطقت به السنة النبوية ثم اجاب عنه بان الظاهر
انهم يصعدون الى السماء وينزلون مع المطر كل مرة لكونهم موكلين
اوانهم يذهبون في عامض علم الله واقول وجدت في بعض
الاثار انهم لا يصعدون بل يتعبدون في المساجد الخربة ولا مانع
من ان يوسع الله عليهم تلك الامكنة حتى تسعهم ومنهم الملائكة الموكلون
باحوال هذا العالم قال الفخر في تفسيره وهم المرادون بقوله تعالى
والصافات صفا وبقوله تعالى والذاريات ذروا وبقوله تعالى والنازعات
غرقا الى قوله فالمدبرات امرا قال وعن ابن عباس ان لله ملائكة
سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فاذا اصاب احدكم
عجز بارض فلات فلينادي اعينوا عباد الله رحمكم الله قال الجيلي
قدس سره في الانسان الكامل في الكلام على السماء الثالثة ثم ان ملائكتها
محيطون بالعالم مجيبون لمن دعاهم من بني ادم قال رايت من الملائكة
هذه السماء مؤتلفة لكن على انواع مختلفة فمنهم من وكله الله بالايحاء
الى النائم اما صريحا واما بضرب ما يعقله العالم ومنهم من وكله الله
بتربية الاطفال وتعليم المعاني والاقوال ومنهم من وكله الله

تعالى بتسلية المهموم وتفريج الغموم ومنهم من وكله الله بايناس
المستوحشين ومكالمة المتوحدين ومنهم من وكله الله بامتثال او
امر اهل التمكين ليخرج لهم ثمار الجنان على ايدى الحور العين ومنهم
من وكله الله باضرام نار المحبين فى سويداء اللب ومنهم من وكله الله
بحفظ صورة المحبوب لئلا يغيب عنه عاشقه الملهوب ومنهم
من وكله الله بابلاغ الرسائل بين اهل الوسائل انتهى وقال
قدس سره فى الكلام عن السماء الخامسة وملائكة هذه السماء
خلقهم الله تعالى مرائى للكمال ومظاهر للجلال بهم عبد الله
وبهم دان اهل التقليد للحق بالسجود جعل الله عبادة هذه
الملائكة تقريب البعيد وايجاد الفقيد فمنهم من عبادته تا
سيس قواعد الايمان فى القلوب والجنان ومنهم من عبادته
طرد الكفار عن عالم الاسرار ومنهم من عبادته شفاء المريض
وجبر الكسير المهيض ومنهم من خلق لقبض الارواح باذن
الحاكم ولا جناح وقال قدس سره فى الكلام عن السماء السادسة
جعل الله ميكائيل موكلا بملائكتها وهم ملائكة جعلهم معارج

الانبياء

الانبياء ومراقى الاولياء خلقهم الله تعالى لايصال الرقايق
الى من اقتضتها له الحقايق دابهم رفع الوضيع وتسهيل الصعب
المنيع يجولون فى الارض بسبب رفع اهلها من ظلمة الخفض
فهم اهل البسط بين الملائكة والقبض هم الموكلون بايصال الارزاق
الى المرزوقين على قدر الوفاق جعلهم الله من اهل البسط
والحظوة فهم بين الملائكة مجابون الدعوة لا يدعوا لاحد بشى
الا اجيب ولا يمرون بذى عاهة الا ابراء ويطيب اليهم
اشار عليه الصلوة والسلام فى قوله فمن وافق تامينه تامين
الملائكة اجيبت دعوته وحصلت بغيته فما كل ملك تجاب
دعوته ولا كل حامد يستطاب ثناؤه ومدحته قال ثم انى
رايت ملائكة هذه السماء مخلوقة على ساير الانواع الحيوانات
فمنهم من خلقه الله على هيئة الطير لا يحصر للحاصر وعبادة هذا
النوع خدمة الاسرار رفعها من حضيض الظلمة الى عالم الانوار ومنهم
من خلقه الله تعالى على هيئة الخيول المسومة وعبادة هذه
الطايفة المكرمة رفع القلوب من سجن الشهادة الى فضاء الغيوب ومنهم

من خلقه الله تعالى على هيئة النجائب وفي صورة الركائب وعبادة
هذا النوع رفع النفوس الى عالم المعاني من المحسوس ومنهم من خلقه
الله على هيئة البغال والحمير وعبادة هذا النوع رفع الحقير وجبر
الكسير والعبور من القليل الى الكثير ومنهم من خلقه الله على صفة
الانسان وعبادة هؤلاء تدبير الاديان ومنهم من خلقه الله على
ساير بسائط الجواهر والاعراض وعبادة هؤلاء ايصال الصحة الى اجسام
اهل الامراض ومنهم من خلق على انواع الحبوب والمياه وساير
الماكولات والمشروبات وعبادة هؤلاء ايصال الرزق الى مرزوقه
من سائر المخلوقات انتهى وقال قدس سره في الكلام على السماء الثانية
ان ملائكتها مخلوقة من نور القدرة لا يتصور شيء في عالم
الوجود الا وملائكتها المتولية لتصوير ذلك المشهود في دقايق
التقدير المحكمة في رقايق التصوير عليها يدور امر الايات القاهرة
والمعجزات الظاهرة ومنها تنشاء الكرامات الباهرة خلق الله
من هذه السماء ملائكة ليس لهم عبادة الا ارشاد الخلق
الى انوار الحق

تم هذا الكتاب بعون عناية الملك الوهاب يوم الاحد يوم العشر

في جماد الثاني سنة ١٠٨٥
وقد وقع فراغه في البصرة المحميه

123

١٢٥٨
١٠٨٥
٢٧٢

صفة ٣٥٠٢٤٠

حنظله درهم ١٧٠ افيون درهم ١٠ اوعرادنيحي درهم ٢٠

شراب درهم ١٠٠ يغلي الحنظله والافيون

والبيدر في الشراب الى ان يغلي

الشراب ثم يجفف في ارطل فاذا

شرب منه احد ذالك ...

... والسلام

عدد ورقاته المكتوبة مائة وتسعة عشر

قد تملك هذا الكتاب بفضل الملك الوهاب ... افندي

... بالشراء الشرعي وذلك في سنة ١٢٩٠

124

قد تملك هذا الكتاب بعون الملك الوهاب

124 folios

R.U. 15.2.1990

يتيمة العصر في المد والجزر، ابن مِيمي، عبد القادر بن أحمد بن علي

[خلفي-داخلي] (٢٦٠/٢٦٠)

